

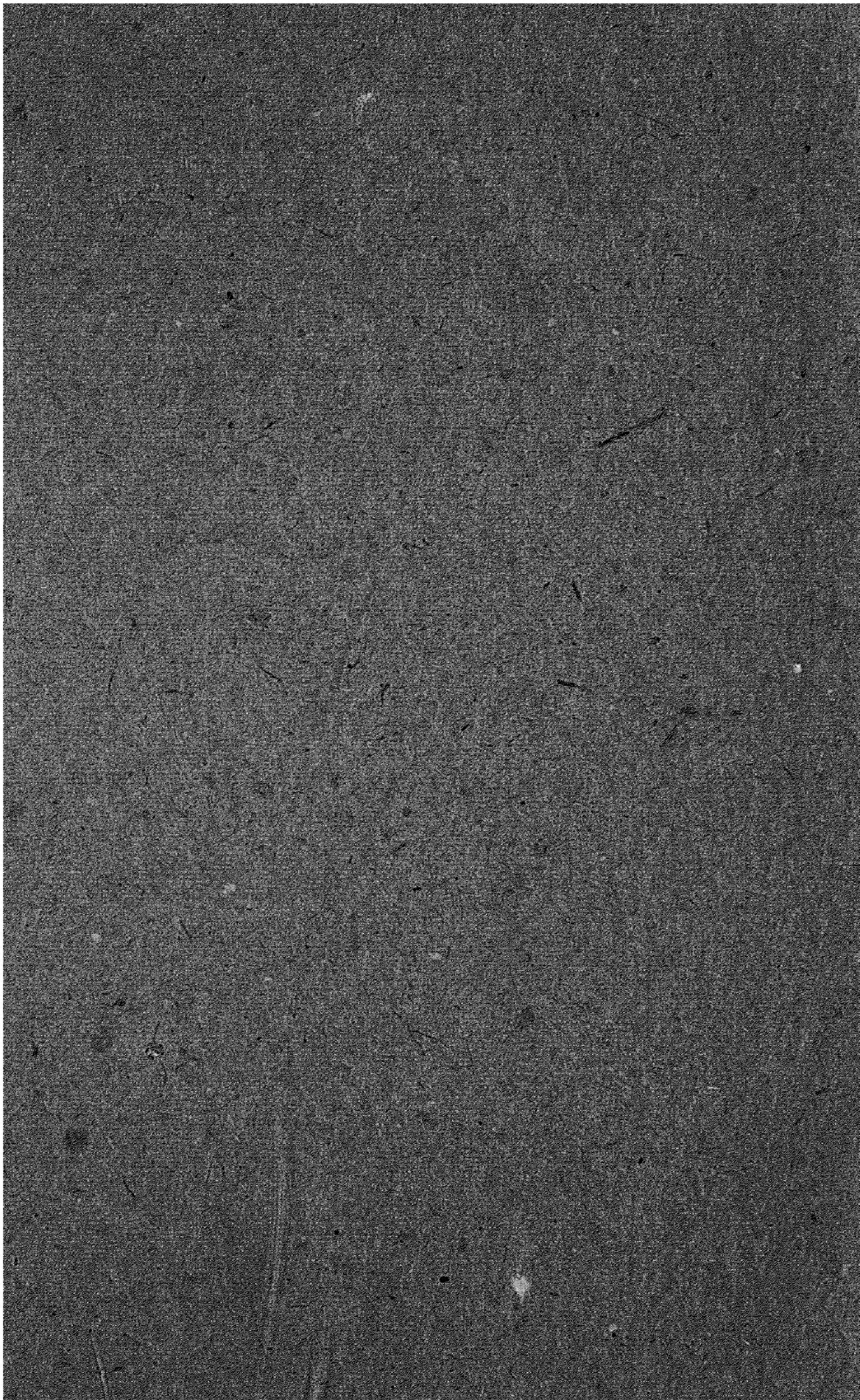
مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٤

المجلد الثالث

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة



مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٤

المجلد الثالث

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

رئيس التحرير : الاستاذ الدكتور محمد عبد الفنى سعودى .

ترسل المقالات والابحاث على العنوان التالى :

**الاستاذ الدكتور محمد عبد الفنى سعودى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة**

محتويات العدد الثالث ١٩٧٤

أولا - بحوث باللغة العربية

صفحة

- دكتور محمد عبد الفنى سعودى
١ - الوجود الاقتصادى الصينى فى افريقيا ١
- دكتور السعيد البدوى
٢ - افريقيا الاستوائية ٢٣
- دكتور شوقى عطا الله الجمل
٣ - اضواء جديدة على تاريخ مدينة قسنطينة ٥٩
- دكتور سعد زغلول عبد ربه
٤ - شركة جنوب افريقية البريطانية ودورها فى استعمار روديسيا الجنوبية ١١٣
- دكتور محمد محمد امين
٥ - شمال افريقيا والحركة الصليبية ١٤٩
- دكتور فاروق عبد الجواد شويقه
٦ - الاكلوجيا البشرية ١٨٣
- دكاتره محمد السيد غلاب ، نجيب نصار ، فاروق شويقه
٧ - التكرار الجينى لاليلات مجموعة الدم ٢٠٣
- دكتور احمد عامر
٨ - الاتجاهات الحديثة للنظام السياسى فى السودان ٢١١

ثانيا - المؤتمرات :

- دكتور محمد السيد غلاب
المؤتمر الدولى الثالث للافريكانيين ٢٤٧

ثالثا - بحوث بلغات غير عربية :

- 10 Genesis of political states in northern Africa. Dr. M. El. S. Challab. 1
- 11 Gambia. Sulayman Nyang. 7
- 12 Bedscha-Hadandowa. Dr. S. Shaaban. 17

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٣ لسنة ١٩٧٤

الوجود الاقتصادي الصيني في أفريقيا

للدكتور محمد عبد الفنى سعودى

استاذ ورئيس قسم الجغرافيا

بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة

THE ECONOMIC PRESENCE OF CHINA IN AFRICA

By

Dr, M.A. SEOUDY

China's appearance on the African stage began in the fifties, especially since Ban Dung conference in April 1955. It was not by accident that China met Africa in that decade. That period was characterized by a change in China's status from a regional power in East Asia to an ambitious state looking forward for a world position. On the other hand Africa began its emancipation and having its fate in her own hands.

The Chinese African relations were on the ground of peaceful co-existence, which Chou En Lai stressed in his African tour in 1964.

We can divide these relations in four main phases :

1. 1949-1955, there was no clear relations.
2. 1955-1960, China gained the recognition of four African states, Egypt, Sudan, Morocco, Guinea.
3. 1960-1965 : Twenty five African colonies gained independence, so there were frequent visits by Chou-En Lai, not only to North Africa, but also to Africa South of the Sahara. That period coincides with the Chinese- Soviet conflict.
4. 1955-1970, A period of concentration of relation with African countries.

The Importance of Africa to China may be summed in :

(a) After Independence, there have been a great number of African Sovereign states, so through establishing Diplomatic relations China would guarantee non isolation.

(b) Challenging U.S.A. and U. S. S. R. in Africa on the ground of the Afro-Asian struggle.

(c) Clarifying the Chinese revolution to the African countries which the other powers are denouncing.

China's trade with Africa is characterized by limitation in both quantity and quality, since the economies of Africa and China are not complementary. China's imports are concentrating on importing cotton from Egypt, Sudan and Uganda, and it is improbable that China would import cocoa or coffee at least in the near future. From time to time some African countries export grain to China as it happened in 1962/63 by Rhodesia and Nyassaland. China absorbs phosphate from Morocco and Tractors from Algeria and Morocco. No doubt Africa could supply China with strategic metals as copper, iron ore cobalt, uranium and petroleum. Africa is considered a good and wide market for Chinese commodities [such as textiles. In the future Africa may be a consumer for China's capital goods. Never the less, it is clear that China's export increased from \$ 33 million in 1956 to \$ 133 M. in 1966, and Africa's share in China's exports were 1.8% to 6% respectively. concerning imports from China, increased also from \$ 28 m. in 1956 to \$ 67 m. in 1967. Africa is more important to China, than China to Africa. Nevertheless China is considered an important client to some African countries. For example China's share in Uganda's exports was 8.5% in 1961, more than 7% for Egypt in 1965, and it is of considerable importance for some countries like Morocco, Sudan, Tanzania and Zambia.

China offered loans, grants and also experts for African countries. But the Chinese aid could not be compared with that of the U.S.A. or the U.S.S.R. In the end of 1969 its total aid to Africa was about \$900 m. covering twenty four African countries. (excluding the Aid for Tanzam Railway). While, it was \$ 6800 M. for the U.S.S.R. By the end of 1968, less than \$200 m. were consumed by Africa, most of the loans resulted for example in construction of light industries, as cigarette, match, textile factories, and instruction on by Chinese experts in soil analysis, irrigation schemes, rice and tea growing. In fact China puts priority to agriculture, whereas the Russian stress on industry.

In the competition between China and U.S.S.R. in aid for Africa, China tries to compensate quantity by quality. China does not charge interests for the loans it offers, and repayment is distributed on a long period.

Construction of the TanZam Railway is part of president Kuanda's plan to take Zambia out of the South African economic orbit. An appeal both to the world bank and the U.S.S.R. failed in 1964. China offered to undertake the project in 1965, after Nyerere's visit to Peking. On September 5, 1967 the railway agreement between Tanzania, China was signed in Peking. The Tanzam railway cost is \$ 167 million. Work in this project was inaugurated officially on 26 Sept. 1970.

If the Soviet economic achievements in Africa is crowned by the High Dam in Egypt, then the Tanzam railway is the spearhead achievement for China in Africa.

ظهور الصين على المسرح الافريقى

تطورت جمهورية الصين الشعبية فى العشرين عاماً الماضية ، وأصبحت ذات قوة اقتصادية وذات طموح سياسى . وليس من شك فى أن الصين الآن تعتبر من القوى العالمية ، القائمة بذاتها ، بعد أن خرجت من حظيرة الاحتواء السوفيتى وطورت بنجاح تجارتها الذرية ، ومن ثم بعد أن كانت الصين عام ١٩٥٠ قوة إقليمية آسيوية أصبحت فى أوائل السبعينات قوة عالمية ، ولئن اختلف الرأى فى مدى قوتها العالمية فإن مساحتها الضخمة وسكانها الذين يربون على السبعمئة مليون ومواردها الطبيعية وأخيراً كانت زيارة الرئيس الأمريكى لأرضها والاعتراف بها فى الأمم المتحدة مما لا يترك مجالاً للشك فى تطور أهميتها فى المجال الدولى .

وقد صادف تطور الصين من قوة إقليمية آسيوية إلى قوة عالمية ، تحول الأقطار الإفريقية من التبعية الاستعمارية إلى الإستقلال السياسى ، ومن ثم لم تعد الدول الإفريقية مغلقة أمام التأثيرات الخارجية غير الغربية . فقد كانت إقامة علاقات اقتصادية مع الدول غير الغربية فى حكم العدم . وكانت مصر هى الدولة الوحيدة التى تاجرت مع روسيا فى العشرينات ولكن نظراً لأن بريطانيا كانت مسيطرة على مصر تماماً ، فلم تكن تسمح بطبيعة الحال بعقد اتفاقات تجارية بين القطرين وكان حجم التجارة بينهما صغيراً حتى توقف النبض تماماً قبيل الحرب العالمية الثانية (١) .

(1) Rubinstein, G., «Aspects of Soviet African Economic Relations», Jour. of Modern African Studies, Vol. 5, No. 3, P. 388.

هكذا كان للتطور السياسى الذى شهدته الأقطار الإفريقية بعد الحرب الثانية أثره فى إمكانها إقامة علاقات سياسية وإقتصادية وفنية مع العالم الاشتراكى ومنه الصين كما كان للتغيرات فى الشئون العالمية منذ أوائل الخمسينات آثارها فى خلق الحوافز والفرص للقاء بين الصين والدول الإفريقية .

ويمكن القول بأن ظهور الصين على المسرح الإفريقى بصورة واضحة يرجع إلى أوائل العقد الماضى وأواخر الخمسينات وبصورة أكثر وضوحاً منذ مؤتمر باندونج فى أبريل ١٩٥٥ الذى كان بداية وافتتاحية لعلاقات صينية إفريقية^(١) . ومنذ ذلك التاريخ وتزداد أهمية إفريقية فى السياسة الخارجية الصينية التى تبذل جهداً كبيراً فى كسب الأصدقاء حتى أنه فى عام ١٩٦٩ كانت هناك ثلاثة عشر دولة إفريقية قد اعترفت بالصين ، كما ظهر أثر الصينيين فى تأييد حركات التحرر الإفريقية من ناحية ، وزيادة العون الإقتصادى من ناحية أخرى .

غير أنه لا يمكن فهم الوجود الإقتصادى الصينى فى إفريقية إلا على ضوء الظروف السياسة الدولية ، والدور الذى يلعبه القطبان الكبريان : الولايات المتحدة الإمريكية والإتحاد السوفيتى . فمنذ عام ١٩٥٦ بدأ النشاط الصينى فى إفريقية على المستويين الدبلوماسى والإقتصادى ، ونظراً لأن حركات التحرير لمعظم الدول الإفريقية تأخرت فى معظمها إلى العقد السادس ، ومن ثم كانت أكثر الاتصالات أهمية فى باندونج هى مع مصر التى كانت أول دولة إفريقية اعترفت رسمياً بجمهورية الصين الشعبية .

وكان أساس العلاقات الدبلوماسية بين الصين والدول الإفريقية هى مبادئ التعايش السلمى وهى عدم الاعتداء وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدولة الأخرى والمساواة والمصالح المتبادلة وقد أكد شواين لاي^(٢) هذه المبادئ أثناء جولته عام ١٩٦٤ فى إفريقية مؤكداً على أربع نقاط وهى : -

(1) Tareq, I. «The Peoples Republic of China and Africa», Jour. of Modern African Studies, Vol. 9, No. 4, 1971, P. 507.

(٢) بدأت زيارة شواين لاي لإفريقية مصحوباً بوفد مؤلف من ٦٠ صينياً من منتصف ديسمبر

عام ١٩٦٠ لمدة شهرين زار فيها عشر دول إفريقية فى شمال و غربى القارة ، راجع :

Scalapino, A.R. «Sino Soviet Competition in Africa», Foreign Affairs, Vol. 47, No. 4, 1964, PP. 641...644.

١ - إن الصين قد كسبت نصرها مبكراً. عن الدول الإفريقية وبالتالي تقوم بواجبها نحو مساندة الدول التي حققت بعد ذلك أى مؤخرأ وأن المصالح المتبادلة بين الصين والدول الإفريقية تفسر على أن أى إضعاف للإمبريالية يفيد الصين وأن السياسات الإفريقية التي تقوم على السلم والحياد وعدم الانحياز ذات أهمية للطرفين .

٢ - إن الصينيين يؤيدون الوحدة على مستويات متعددة للأفارقة : وحدة الشعب في أى قطر من الأقطار للنضال ضد الإتحادات الإمبريالية : وحدة الأقطار الإفريقية عن طريق إزالة الحدود الصناعية وبالشكل الذى يختارونه لأنفسهم وحدة الشعوب الإفريقية مع الشعوب الآسيوية وشعوب أمريكا اللاتينية في نضال مشترك .

٣ - يؤكد الصينيون مبدأ الاعتماد على النفس كفتح للتغلب على التخلف الإقتصادى والفقر ويعارض الصينيون الإعتداء والتدخل في شئون الدول الأخرى سواء بالقوة أو عن طريق مستتر (المعونة الإقتصادية) :

٤ - وعن مشاكل الحدود . أكد شوين لاي « أننا نفضل عدم التدخل للوقوف في صف أى جانب من الجوانب المعنية : ومادام الأفارقة أخوة فيجب أن يحلوا مشاكلهم في سلام .

ويمكن تقسيم مراحل تطور العلاقات الصينية الإفريقية إلى المراحل الآتية (١)

١ - الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٥ بعد ظهور الصين الشعبية وخلال هذه الفترة الأولى لم يكن هناك أثر صينى ذوبال في إفريقيا .

٢ - الفترة بين مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ونهاية العقد وتمثل بداية أو ارهاصات العلاقات الصينية الإفريقية وخلال هذه المرحلة كسبت الصين اعتراف أربع دول إفريقية وهي مصر (١٩٥٦) السودان (١٩٥٨) المغرب (١٩٥٨) غينيا (١٩٥٩) وأقيمت معارض صينية تجارية في كل من المغرب وتونس وما هو جدير بالذكر في هذه المرحلة أن الصين كانت البادئة في مديدها إلى الدول الإفريقية فقد اعترفت

(1) G.T. Yu, « China in Africa », in Year Book of World Affairs, Faculty of Laws, London, 1970, PP. 125—127.

بالسودان المستقل عام ١٩٥٦ ، ورغم ذلك لم تكن هناك استجابة من السودان حتى الحكم العسكري في أكتوبر ١٩٥٨ ، وكذلك حضر نائب رئيس الوزراء الصيني احتفالات غانا بالاستقلال ولكن اعتراف غانا الرسمي بالصين تأخر حتى عام ١٩٦٠ (١) لما كانت الصين الدولة الاشتراكية الوحيدة التي اعترفت بحكومة الجزائر المؤقتة عندما أعلنت الاستقلال عام ١٩٥٨ وزاد توثق العلاقات بأفريقية نتيجة تأييد الصين لمصر في أزمة السويس عام ١٩٥٦ وحضور مندوب صيني مؤتمر الوحدة الاسيوية الإفريقية في القاهرة عام ١٩٥٧ وزيارة وفد جزائري للصين عام ١٩٥٨ وكذلك زيارة رئيس الكمرون عام ١٩٥٩ . على العموم يمكن تلخيص هذه الفترة في أنها البداية الفعلية للعلاقة الصينية الإفريقية وأن معظم النشاط الصيني اقتصر على إفريقية شمال الصحراء وعلى القاهرة كقاعدة رئيسية .

٣ - الفترة ما بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٦٥ . وهذه مثلت طفرة في العلاقات الصينية الإفريقية ويرجع هذا النشاط الجهم إلى عاملين هامين :

أنه بين أول يناير ١٩٦٠ وآخر ديسمبر ١٩٦٥ حصلت تسع وعشرون مستعمرة إفريقية على إستقلالها في حين أنه في الفترة السابقة كانت هناك تسع دول فقط مستقلة ، اعترفت أربع منها بالصين . وهكذا كانت هذه الفترة تمثل قمة أو أوج النشاط الصيني في أفريقية . وفي أواخر هذه الفترة (٦٤-٦٥) تعددت زيارات شواين لاي وجولاته لا في شمال أفريقية ، بل في جنوب الصحراء وقام رؤساء الصومال ومالي وتزانيا بزيارة بكين ، وكانت ٧٠ ٪ من المساعدات الصينية في هذه الفترة موجهة نحو إفريقية ، واستطاعت الصين في هذه الفترة كسب اعتراف اثنتي عشر دولة أفريقية من الثمانية والعشرين التي حصلت على استقلالها منذ عام ١٩٦٠ ، وعقدت الصين مع الدول الإفريقية نحو من ست وعشرين معاهدة تراوحت ما بين الصداقة مع ترانيا (١٩٦٥) والتعاون في حقلي الاذاعة والتليفزيون مع الجزائر (١٩٦٤) واتفاقيات تجارة ودفع مع بوروندي (١٩٦٤) وقروض مع كنگو برازيل (١٩٦٤) .

بزيادة الصراع السوفيتي الصيني الذي بدأ مع فجر الستينات ، كان هم

(1) Tareq, I, op. ok., P. 057.

الصين تحدى السوفيت على الصعيد العالمى ، وكانت إفريقية ميدانا خصبا للززال الصينى السوفيتى ، خاصة وأن الصين تهم الاتحاد السوفيتى بأنه دولة أوربية وليس بآسيوية . وكان هذا واضحا فى مؤتمر وحدة شعوب آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية المنعقد فى هافانا فى يناير ١٩٦٦ .

٤ - الفترة ما بين ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ وتمثل مرحلة التركيز دون التعميم ، أو مرحلة تقلص دبلوماسية ، فبينما كانت هناك ثمانى عشر دولة إفريقية لها علاقة مع الصين عام ١٩٦٥ ، انخفض الرقم إلى خمسة عشر قطراً عام ١٩٧٠ (١) . فقد أنهت العلاقات الدبلوماسية مع غانا وداهومى وجمهورية أفريقية الوسطى ، بل وكان هذا الرقم أنيميا لأن بعضها مثل كينيا كانت علاقته بالصين إهمية فقط ، أما العلاقات الفعلية فكانت مع أقل من ست دول وهى كنفو برازافيل ، غينيا ، تنزانيا وزامبيا .

أهمية إفريقية بالنسبة للصين

ذكرنا أن الصين قوة آسيوية بالدرجة الأولى وقوة عالمية بالدرجة الثانية بحيث يمكن اعتبار آسيا المحال الأول للصين بينما تأتى إفريقية بعدد آسيا فى الأهمية وتتجلى أهمية إفريقية بالنسبة للصين فى عدة أمور يمكن إجمالها فيما يلى : -

١ - إقامة علاقات دبلوماسية مع عدد ضخم من الدول الإفريقية وبذلك يتحقق عدم انعزال الصين عن إفريقية وهى فى بداية صحتها ، خاصة وأن الدول الإفريقية أصبحت قوة يعمل لحسابها فى الأمم المتحدة فهى تؤلف أكثر من ٣٠ ٪ من أعضاء المنظمة الدولية .

(١) فى أكتوبر - نوفمبر ١٩٧٠ كان التمثيل الدبلوماسى الصينى فى إفريقية كالآتى : -

- إفريقية الشمالية : الجزائر - المغرب - السودان - مصر .
 - إفريقية الغربية : غينيا الاستوائية - غينيا - مالى - موريتانيا .
 - إفريقية الوسطى : كنفو - برازافيل - زامبيا .
 - إفريقية الشرقية : أثيوبيا - كينيا - الصومال - تنزانيا - أوغندا .
- مع ملاحظة أن التمثيل الدبلوماسى مع غانا وداهومى كان قد قطع تماما .

٢ - محاولة الوقوف أمام التأثير الأمريكى والسوفييتى فى القارة على أساس وحدة نضال الشعوب الآسيوية الإفريقية .

٣ - تنمية التجارة وضمان المواد الأولية والأسواق الإفريقية .

٤ - إجلاء صورة الثورة الصينية أمام الأفارقة والتي حاول المتأفسون تشويهها (١) (على حدة تعبيرهم) .

واستندت الصين فى هذا المجال إلى أنها صورة مماثلة لدولة نامية لها نفس مشكلات الدول الأفريقية ، وأنها ليست دولة بيضاء كالغرب ، وإنما غير بيضاء كالأفارقة ، ومن ثم تستطيع مساعدة الأفارقة وإنها حاربت وناضلت ومرت بنفس المشكلات التى يواجهها الإفريقيون ومن ثم فالهجرة بين الصين والدول الإفريقية ليست بنفس الاتساع كما هو الحال بين إفريقية والمغرب ، ومن هنا يمكن أن تشارك الصين فى نضال الدول الإفريقية ضد التخلف والمساعدة فى التنمية الإقتصادية .

ولاعطاء قوة للعلاقات الصينية الإفريقية كانت الصين سريعة فى استخدام وسائل رسمية تمثلت فى أشكال عديدة من الاتفاقيات مثل الاتفاقيات التقليدية الخاصة بالصدقة والتحالف وهى عادة ما تقوم على أساس مبادئ باندونج لتنمية التضامن والصدقة بين الجانبين على أسس من المساواة والمصالح المشتركة . وهذه الاتفاقيات عادة ما تبرم لمدة عشر سنوات . وفى عام ١٩٦٩ كانت الصين قد عقدت أربع اتفاقيات مع غينيا ١٩٦٠ ، غانا ١٩٦١ ، كنگو برازافيل ١٩٦٤ ، تنزانيا ١٩٦٥ ولم يكن غريبا أن تكون هذه الاتفاقيات مع دول اشتراكية ثورية .

وهناك الإتفاقيات الثقافية وتمثل نوعا آخر يتضمن تبادل الطلبة والمعلمين والصحف والفرق التمثيلية وغيرها من النشاطات التى تقع ضمن هذا المجال . وعقدت الصين ٢٤ إتفاقية من هذا النوع مع إحدى عشر دولة إفريقية حتى عام ١٩٦٨ . أما الإتفاقيات التجارية وعادة ما تعرف باتفاقيات التجارة والدفع ويحدد فيها حجم الصادرات من كل جانب من الجانبين ويعطى لكل جانب معاملة

(1) «Tow Chinas in Africa», The Bulletin, African Institute Bulletin, Preteria, Vol. 8, No. 10, 1970, P. 339.

تفضيلية . والموافقة على إقامة المعارض التجارية . وقد تضم قائمة بالسلع المتبادلة بين الجانبين (في معظم الأحوال السلع الصناعية الصينية في مقابل سلع زراعية إفريقية) . وقد عقدت الصين منذ عام ١٩٥٥ حينما وقعت الصين أول إتفاقية تجارية مع دولة أفريقية وهي مصر في عام ١٩٦٨ ثلاث وعشرين إتفاقية تجارية ودفع مع ستة عشر دولة أفريقية وبطبيعة الحال لم تقتصر الصين في علاقاتها التجارية على هذه الدول التي عقدت معها إتفاقيات تجارية . ففي عام ١٩٦٧ سجل صندوق النقد الدولي العلاقات التجارية للصين مع : نحو ثلاثين دولة إفريقية (١) . وكانت الدول الرئيسية ذات العلاقات التجارية هي غانا ، مالي . المغرب ، نيجيريا ، السودان ، ترانيبا ، أوغندا ، مصر .

تجارة الصين الخارجية

ولا يمكن فهم تجارة الصين الخارجية مع إفريقية إلا على ضوء فهم تجارة الصين الخارجية بوجه عام والتي تهدف إلى خلق صين قوية تتبوأ مكانة سياسية واقتصادية عالية . والتجارة الخارجية لاشك موجهة لخدمة هذا الهدف . فمن مبادئ أو أغراض السياسة التجارية الخارجية الصينية أنه لافصل بين السياسة والتجارة . وهذا المبدأ يسرى على معاملتها سواء مع الدول النامية أو الدول المتقدمة ويبدو أن سياسة الصين الإقتصادية مع الدول غير الاشتراكية عامة يتحكم فيها اعتباران هما زيادة التنمية الداخية للصين ذاتها وخدمة السياسة الخارجية الصينية (٢) . وبينما تحاول الصين تحقيق الغرضين معا خلال تجارتها مع الأقطار الأخرى إلا أنه قد يتغلب غرض على آخر حسب الظروف فاذا كان غرض الصين الأول من التجارة هو الحصول على المواد الحيوية كالمعدات الأجهزة والحوامات الصناعية . . الخ فان غرضها مع بعض الأقطار الأخرى هو الحصول على العملة الأجنبية لدفع ثمن الواردات كما هو الحال في تجارتها مع كندا ولستراليا وأوروبا الغربية بينما تجارتها مع الدول الإفريقية تفسرها الدوافع السياسية فضلا عن أن إفريقية مصدر للمواد الاستراتيجية وسوق للمنتجات الصينية مما منفصله فيما بعد .

International Monetary Fund, Direction of Trade, 1968.

(١)

An Economic Committee of the U.S.A. Congress, Praeger Special Studies (٢)
International Economics and Development, New York, 1968, P. 589.

وحتى عام ١٩٦٠ كان نمط تجارة الصين يسوده أو يتحكم فيه مبادلة الآلات والمواد الخام بالسلع الصينية الزراعية والمنسوجات التي تصلح لأن تكون قاعدة صينية صناعية وكان اتجاه التجارة أول الأمر مع الدول الاشتراكية نتيجة المقاطعة والحظر اللذين وضعهما الغرب على الصين عام ١٩٥٠ نتيجة تدخلها في الحرب الكورية ، ومن ثم لم تكن تتعامل مع الدول غير الاشتراكية إلا في السلع التي لا تجدها في الدول الاشتراكية ، وذلك قبل ١٩٦٠ ، أما بعد ١٩٦٠ فقد تغير التوزيع الجغرافي لتجارة الصين بصورة واضحة نتيجة نشوب الحلات الصينية السوفيتي في أوائل الستينيات حتى أن نصيب الدول الاشتراكية في تجارة الصين والذي كان يصل إلى ثلثي حجم تجارتها انخفض واصبح العالم الغربي مسئولاً عن ٧٠ ٪ من قيمة هذه التجارة . واستمر التركيب السلعي لتجارة الصين الخارجية بعد ١٩٦١ كما هو الحال تقريباً من استيراد المنتجات الزراعية (خاصة القمح والسكر والحبوب) ثم الأسمدة الزراعية التي استمرت تسود الواردات الصينية وكانت مسئولة عن ٤٧ ٪ من قيمة وارداتها عام ١٩٦٥ . وقد كانت هذه الأسمدة والمنتجات الزراعية مسئولة عن ٤ ٪ من مجموع واردات الصين عام ١٩٥٩ كذلك استمرت عملية استيراد الأجهزة والآلات . والاتجاه الواضح في صادرات الصين منذ عام ١٩٦٣ عودة الصادرات الزراعية إلى الظهور مرة أخرى بعد تخطي الأزمة ولأول مرة في السنين الأخيرة تعادلت واردات الصين من المواد الغذائية مع صادراتها منها وكان هذا عام ١٩٦٥ (١) إذ تصدر الصين المواد الغذائية ذات الطلب الكبير كاللحوم والخضروات والمعلبات الغذائية في مقابل المواد الغذائية الأقل قيمة كالقمح . وتأتي المنسوجات في المركز الثاني بعد المواد الغذائية . أما الخامات المعدنية والمعادن بوجه عام فهي في تناقص ويرجع هذا إلى طبيعة التصنيع الذي تقوم به الصين الآن .

حجم التجارة الصينية الإفريقية وبركيبها السلمي

لم تلق تجارة الصين مع الدول الأقل تقدماً بوجه عام إلا نجاحاً محدوداً سواء في آسيا أو أمريكا اللاتينية أو أفريقية لأن كل جانب من الجانبين يمثل مجتمعات زراعية

لها نفس المشكلات ولها نفس المنتجات . وإذا كانت تجارة الصين مع الدول الأقل تقدما قد نضاعت منذ ١٩٥٦ إلى ١٩٦٥ وبلغت في التاريخ الأخير ٨٥٢ مليون دولار أو ٢٢٪ من مجموع تجارة الصين الخارجية في ذلك العام ، فإن نصف هذه التجارة مع خمسة أقطار هي الأرجنتين وأندونيسيا والملايو ومصر وسيلان . وكانت هذه التجارة مع الدول الإفريقية للحصول على بعض السلع كالقطن من مصر والسودان وأوغندا والقرنفل من زنجبار ، وليس من المحتمل أن تكون الصين مستوردا رئيسيا للبن أو الكاكاو ولكنها قد تصبح مستوردا للمطاط وإن كانت تحصل عليه الآن من مورد أقرب منالا (جنوب آسيا) . ومن حين إلى آخر تعتبر إفريقيا مصدرا للحبوب كما هو الحال حين استوردت الصين الذرة العريضة من جنوب إفريقيا (واتحاد روديسيا - نياسالاند)^(١) في موسم ٦٢-١٩٦٣ و كما هو الحال في استيرادها للذرة من زامبيا كذلك تستورد الفوسفات من المغرب والجزائر من الجزائر والمغرب . ويشير البعض إلى أهمية المواد الاستراتيجية الإفريقية خاصة البترول والذهب والكوبالت واليورانيوم والليثيوم . فقد ازداد إنتاج البترول الإفريقي في السنوات الأخيرة حتى بلغت قيمة صادراته ١٤٨٩ مليون دولار عام ١٩٦٥ وبذلك تفوق من حيث القيمة على الذهب والنحاس .

وبلغ إنتاج إفريقيا ٢٧٢ مليون طن عام ١٩٧٠ أو نحو ١٢٪ من الإنتاج العالمي في ذلك العام . ويتميز البترول الإفريقي بانخفاض تكاليف إنتاجه فضلا عن ضخامة الفائض للتصدير وانخفاض نسبة الكبريت سواء كان في ليبيا أو الجزائر أو نيجيريا وبذلك يعتبر من النفط النادر وتنتج أفريقيا ٧٠٪ من الذهب العالمي الذي يعتبر أساس النظام النقدي العالمي . ويرتبط اليورانيوم التكوينات الحادية للذهب من ثم يعد اكتشاف أهمية اليورانيوم أصبحت معظم مناجم الذهب تعطي ذبا ويورانيوم في آن واحد . وينتج إقليم كاتانجا في زائري وحده أكثر من نصف إنتاج العالم (دون السوفييت) من هذا المعدن . وكان كل سلاح ذري حتى عام ١٩٥٠ يستمد اليورانيوم اللازم من الكنفو وتسهم أفريقيه بنحو ٧٠٪ من إنتاج الكوبالت العالمي والذي يستخدم في تقوية الصلب . ولا تتفوق على زامبيا والكنغو في إنتاج النحاس سوى

(١) قاطعت الصين التجارة مع جنوب إفريقيا وروديسيا لاصرارهما على السيطرة البيضاء عدم اتفاق السياسة مع سياسة الصين والدول الإفريقية المتحررة .

شلى فى أمريكا اللاتينية ويقدر أن المغرب باعت للصين شحنتين من الكوبالت عام ١٩٦٠ قدرهما ٣٩٨٥ طنا. ورغم تنبيه الولايات المتحدة الأمريكية للمغرب بعدم بيع الكوبالت للصين فقد تبين إنها باعتها ٤ آلاف طن عام ١٩٦٣. هذا وقد تضمن الإتفاق مع المغرب عام ١٩٦٤ شراء الصين لخمسة آلاف طن من المعادن غير الفلزية ويرجح أن المقصود بها الكوبالت (١) أما عن اليورانيوم فقد اكتشفت تكويناته فى أراضي الصين وخاصة فى سيكيانج. ورغم أن خبراء البترول الصينيين قد زاروا الجزائر عام ١٩٦٤ فما لاشك فيه إنها تهدف إلى الوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي البترولى أكثر من التجارة فيه. ويذهب البعض إلى أن بناء خط حديد نزام هو للوصول إلى نحاس زامبيا. ولكن يذهب البعض إلى أن المعادن الاستراتيجية لا تبدو أهميتها ضخمة لإقامة علاقات إقتصادية مع الدول الإفريقية، فبحسب تقديرات أيكستين يبدو أنه حتى بالتقديرات المتحفظة لمعادن الصين وقواها الحركة يمكن قيام مستوى عالى للتصنيع دون حاجة إلى الخارج (٢). وفى نفس الوقت تعتبر إفريقية سوقا ضخمة للمنسوجات القطنية الصينية إذا استطاعت الصين أن تحتفظ بقوة تنافسية من حيث الجودة والسعر. ومع مرور الزمن فقد تستطيع الصين تصدير السلع الرأسمالية إلى إفريقية.

وإذا كانت تجارة الصين مع الدول النامية قليلة بوجه عام فما لا شك فيه أيضاً أن تجارتها مع إفريقية تمثل جزءاً متواضعا من هذه التجارة.

وتتدخل بعض العوامل التى تحد من حجم التجارة بين إفريقية والصين. وقد ذكرنا منها طبيعة وحاجات إقتصاد كل من الطرفين وتمثل فى أن القاعدة الاقتصادية لكل من الصين ومعظم الدول الإفريقية هى أساسا الزراعة. غير أن الظروف السياسية لها شأنها فى هذا السبيل. فعندما كانت العلاقات بين الصين وغانا فى ذروتها عام ١٩٦٥ بلغ حجم التجارة بين الحارنين ٢٠,٤ مليون دولار ثم انخفض هذا الرقم إلى ٥ مليون دولار عام ١٩٦٧ بعد عزل تكروما وإنهاء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين (٣).

Bruse, D. Larkin : « China and Africa, 1949—1970 », University of California Press, Berkly, Los Angelis, 1971, P. 92.

Eckstein, A., Galencos, W., Liu, T.C. « The Economic Trends in Communist China » Edinburgh 1968, P. 92.

Op. cit., P. 133.

(١)

(٢)

(٣)

ويظهر من جدول تجارة الصين مع دول إفريقيا النامية لارتفاع صادرات الصين إلى إفريقيا من ٣٣ مليون دولار عام ١٩٥٦ إلى ٣٥ مليون دولار عام ١٩٦٦ ومن حيث النسب المئوية لنصيب إفريقيا من الصادرات الصينية يظهر أيضاً زيادة هذا النصيب إذ تراوح النسبة ٩ و ١٪ عام ١٩٥٦ ، ٦٪ عام ١٩٦٧ . أما من حيث الواردات الصينية من إفريقيا فقد كانت بدورها في زيادة مع ذبذبات بطبيعة الحال من ٢٨ مليون دولار عام ١٩٥٦ إلى أقصاها ١١٥ مليون دولار عام ١٩٦٥ ثم انخفض إلى ٨٠ ، ٦٧ مليون دولار عامي ١٩٦٦ . ١٩٦٧ على

تجارة الصين مع دول إفريقيا النامية (بالمليون دولار فوب) (١)

صادرات الصين واردات الصين

مجموع صادرات الصين	صادرات الصين إلى إفريقيا	صادرات العالم إلى الصين	واردات الصين من إفريقيا	مجموع واردات الصين
١٩٥٥	١٤٢٠	٢٢	٥٠٩٠	١٤٩٠
١٩٥٦	١٧١٠	٣٣	٥٤٦	١٦١٠
١٩٥٧	١٧١٠	٤٣	٦٠٤٠	١٥٠٠
١٩٥٨	١٩٧٠	٤٢	٥٩٨٠	١٩٨٠
١٩٥٩	٢٢٣٠	٤٥	٦٠٠٠	٢٩١٠
١٩٦٠	٢٠٦٠	٤١	٦٤٧٠	٢٠٩٠
١٩٦١	١٦٠٠	٤٦	٦٥٤٠	١٦٠٠
١٩٦٢	١٦٨٠	٤٩	٦٢٨٠	١٣٥٠
١٩٦٣	١٧٢٠	٥٢	٦٧٦٠	١٤٢٠
١٩٦٤	١٨٧٠	٥٨	٧٧٩٠	١٦٤٠
١٩٦٥	٢٠١٠	٧٨	٨١٧٠	٢١٢٠
١٩٦٦	٢٢٩٠	١٣٥	٨١٨٠	٢٢٩٠
١٩٦٧	٢٠٧٠	١٢٥	٨٣٣٠	٢٣٥٠

الترتيب أو تراوحت النسبة المئوية بين ١,٧٪ في العاملين المذكورين مع ذبذبات خلال تلك الفترة . وواضح من الجدول أيضاً أن مجموع قيمة تجارة إفريقيا يمثل ما يتراوح بين ثلاث وأربع مرات قدر تجارة الصين ، من ثم فإن هذه التجارة ليست

على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لإفريقية قدر أهميتها بالنسبة للصين . ورغم هذه الحقيقة فإن الصين تأخذ نصيبها الهام من صادرات بعض الدول الإفريقية فإن الصين على سبيل المثال كان نصيبها ٨,٥ ٪ من صادرات أوغندا عام ١٩٦١ وأكثر من ٧ ٪ من صادرات مصر عام ١٩٦٥ ومن بداية ١٩٦٦ إلى فبراير ١٩٦٧ اشترت الصين ١٠,٥ ٪ من محصول قطن موسم ٦٦-١٩٦٧. هذا ويلاحظ أن أكثر الأقطار الإفريقية تعاملات تجارية مع الصين هي السودان والمغرب وتزانيا وزامبيا ونيجيريا .

المعونة الصينية الاقتصادية والفنية لإفريقية

دخلت الصين ميدان المعونات الاقتصادية والفنية سواء من طريق القروض أو المنح أو الخبراء ولكنها في هذا المجال لا يمكن أن تقف على قدم المساواة مع الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة الأمريكية : فقد بلغ مجموع معونتها المعروفة سواء كانت قروضا أو منحا في نهاية ٦٩ نحو ٩٠٠ مليون دولار وتغطي أربعاً وعشرين دولة إفريقية . (هذا الرقم لا يشمل قرض تزانيا - زامبيا) الخاص بمد الخط الحديدي والذي بلغت تقديراته نحو ٤٠٥ مليون دولار (رغم ضخامة العروض الصينية ، فهي لا تقارن بقروض الاتحاد السوفيتي التي بلغت في ذلك التاريخ ٦٨٠٠ مليون دولار أو عروض دول أوربا الشرقية باستثناء يوغسلافيا وتقدر بنحو ٣٢٠٠ مليون دولار (١) . كما يجب أن نذكر أيضاً أن القروض التي استغلت من جانب الدول الإفريقية أقل من هذا بكثير وبعض هذه القروض لم يستغل إلا على الإطلاق فقد قدرت القروض المستغلة في نهاية ١٩٦٨ بنحو ١٠٠ مليون دولار من مجموع القروض المعروضة في ذلك التاريخ وقيمتها ٨٥٠ مليون دولار فعلى سبيل المثال لم تستغل غانا سوى قدراً ضئيلاً من القروض المعروضة عليها ، بينما لم تستغلها كينيا على الإطلاق .

وهذا يعكس مرة أخرى صورة إمكانيات الصين المحدودة إذا ما قورنت بالاتحاد السوفيتي وتكرر نفس الصورة في مجال المعونة الفنية . فمن مجموع العشرة الآلاف خبير الذين خرجوا من الدول الاشتراكية نجد أن ٧٠ ٪ منهم من

Adie, W.A.C. «The Communist Power in Africa», Conflict Studies, London, (١)
No. 10, Dec./Jan. 1970/1971.

الاتحاد السوفيتي ، ٢٠٪ من دول شرق أوروبا ، ١٠٪ من الصين الشعبية . هذا كما أن برامج الصين للمعونة الفنية أقل انتشارا من تلك الخاصة بالاتحاد السوفيتي . . غير أنه في مجال المنافسة يحاول الصينيون تعويض النقص أو الضعف الكمي إلى قوة نوعية فيينا نجد أن مساعدات الصين أقل من مساعدات الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة الأمريكية فإن قروض الصين دون فوائد في معظمها لأنهم على حد قولهم لا يرغبون منها الربح والكسب . كما أنها ترد على أقساط تبدأ بعد مدة كافية كما هو الحال في خط تزام الحديدى .

المساعدات الاقتصادية الصينية الإفريقية بالمليون دولار (١)

التاريخ	منح	قروض	القطر الممنوح
١٩٥٦	—	٥	مصر
١٩٥٨	٠.١٧	—	الجزائر
١٩٥٩	١٠	—	الجزائر
١٩٦٠	٢.٨	—	كينغو ستانلى فيل
١٩٦٠	—	١٠	غينيا
٥٩ — ٦٠	نوعية	—	غينيا (١٥ ألف طن من الأرز)
١٩٦١	—	١٩.٦	غانا
١٩٦١	—	١٩.٦	مالى
١٩٦١	٠.٦	—	تونس
١٩٦١	٠.١٣	—	الصومال
١٩٦٢	نوعية	—	الجزائر — (٩ آلاف طن من القمح . ٣ آلاف طن حديد مبروم ٢١١ طن مواد طبية) .
١٩٦٣	٠.١	—	المغرب

(١) منذ عام ١٩٦٦ لم تذكر الصين قيمة المنح والقروض الخارجية ، وكثير من الاشارات الخاصة بالمساعدات لا تميز بين المشروعات التى تستخدم القروض السابقة من تلك التى تستخدم قروضا جديدة .

التاريخ	منح	قروض	القطر الممنوح
١٩٦٣	٣	٢٠	الصومال
١٩٦٣	—	٥٠	الجزائر
١٩٦٣	٠,٠٢	—	الجزائر
١٩٦٤	٠,١	—	الجزائر
١٩٦٤	٠,٥	٢٢,٤	غانا
١٩٦٤	٠,٥	—	زنجبار
١٩٦٤	٢,٨	١٥	كينيا
١٩٦٤	٠,١	—	تنجانيقا
١٩٦٤	—	١٤	زنجبار
١٩٦٤	٢,٨	٤٢	توانا
١٩٦٤	—	٥	كنغو برازافيل
١٩٦٤	٠,٠٢	—	الجزائر
١٩٦٤	—	٤	جمهورية إفريقيا الوسطى
١٩٦٤	—	٢٠	كنغو برازافيل
١٩٦٤	—	٨٠	ج. ع. م.
١٩٦٥	٢,٩٩	١٢,٤	أوغندا
١٩٦٦	٢,٨	٥,٦	توانا
١٩٦٦	—	٤	ماني
١٩٦٦	—	٢,١	توانا (لتشغيل خط ملاحى)

الذى يبدأ دفع أقساطه عام ١٩٨٣ لمدة ثلاثين عاماً بمعدل ٦,٦ مليون دولار سنوياً . هذا لما يصر الصينيون على أن يعيش خيراؤهم الذين يقومون ببرامج المعونة الفنية في نفس مستويات نظرائهم في الدول النامية . فلا يسمح للخبراء الصينيين بطلب أى مزايا خاصة أو التمتع بتسهيلات غير ممنوحة لغيرهم . وقد أشار شوين لاي وأكدي في جولته الإفريقية الشهيرة على مبادئ المعونة الصينية ومنها أن الحكومة

الصينية تحترم تماماً سيادة الدولة المستقبلية للمعونة ، ولا تطلب الصين أى امتيازات منها أو تلحق بالمعونة شروطاً خاصة وأن الغرض من المعونة الصينية لا أن تعتمد الدولة الممنوحة على الصين بل لمساعدتها لتقف على قدميها وتوجه في طريق الاعتماد على النفس والإستقلال الإقتصادى خطوة بعد أخرى . كما تتعهد الحكومة الصينية بإرسال أجود المعدات والمواد اللازمة من انتاجها المحلى بأسعار الأسواق الدولية وإذا ثبت أن هذه الآلات دون المواصفات المتفق عليها فإن الحكومة الصينية تتعهد باستبدالها (١) .

غير أن هناك فوارق أخرى بين المعونات الإقتصادية او الفنية الصينية وبين نظائرها في الدول الأخرى إذ يضع الصينيون الزراعة في المقدمة على حين يهتم الروس ببرامج التصنيع وحمية الصيادين في الإهتمام بالزراعة إنها تعطى فرصة أكبر للعمالة والإعتماد على النفس ، كما أنها لا تتطلب استثمارات ضخمة بينما تعطى عائداً سريعاً حتى يمكن لحكومة الدولة الممنوحة أن تجمع رأس المال عن طريق زيادة دخلها في فترة قصيرة . لذلك كثيراً ما تسمع عن معونتهم الفنية في مجال زراعة الشاي أو تحليل التربة أو تخطيط الري أو زيادة الإنتاج الرأسى للأرز . ولكن ليس معنى هذا أن مجال المعونة الفنية الصينية يقتصر على الزراعة ، فهم يشتركون في التصنيع وفي المجالات الأخرى غير الزراعة وخاصة المشروعات الأساسية منها بالنسبة للدول الإفريقية كصناعة النسيج القطنى الذى تتوافر خاماته في كثير من هذه الدول . ويسهمون في مشروعات البنى التحتية الأساسية infrastructure .

كالنقل ومشروع الخط الحديدى من زامبيا إلى تنزانيا خير شاهد في هذا السبيل ، كما كانت الصين قد اتفقت مع مالى قبل عزل موديبو كيتا عام ١٩٦٨ على مد خط حديدى من ياماكو (عاصمة مالى) إلى كوناكرى (عاصمة وميناء غينيا) بتكاليف نحو ٢٠ مليون دولار . ومن مشروعاتهم الأخرى في أفريقية معمل للصباغة في مالى ومعمل تكرير بترول ومحطة توليد كهرباء في غينيا ، ومحطة توليد كهرومائية في كنفو برازافيل وبناء ستاد ومصنع أحذية وورشه آلات

(١) Neilsen, W.A., The greatpowers and Africa Pall Mall, 1969, PP. 224...225.

زراعية ودار طباعة فضلا عن المعونة الفنية الطبية في زنجبار وهذه على حد قول الصينيين لاكتساب العقول والقلوب في آن واحد هذا كما قام الرئيس نيريري بوضع حجر الأساس عام ١٩٧٠ لتشييد ميناء بحري آخر بالقرب من دار السلام لاستعمال القوات المسلحة البحرية (١) .

هذا وتمنح المعونة أولا على هيئة أجهزة كاملة ومعدات فضلا عن المساعدة الفنية مع تحويل ضئيل أو لا تحويل بالعملة الأجنبية، وهذا ليس بغريب فالصين ذاتها دولة نامية مما يجعل عملية تصديرها للعملة الأجنبية أمراً صعباً . فهل يا ترى كانت عدم قدرة الصين على مقابلة احتياجات الدول النامية برؤوس أموال نقداً من الأسباب الرئيسية لعدم نجاح المعونات الاقتصادية الصينية ؟

مصر والصين :

ذكرنا من قبل أن تجارة الصين كانت على نطاق ضئيل مع افريقية قبل عام ١٩٥٥ وكان معظمها أساسه تصدير الصين للشاي الأخضر لكل من مصر والمغرب وتعتبر مصر نقطة البداية للتوسع التجاري والاقتصادي في القارة ، إذ أن أول مكتب للبعثات التجارية أنشئ في القارة كان مركزه القاهرة في أغسطس ١٩٥٥ وقعت الصين أول اتفاق تجاري مع مصر مدته ثلاث سنوات وكانت العلاقات السياسية بين مصر والقوى الغربية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تمر بمرحلة نتيجة امتناع الأسواق الغربية عن شراء القطن المصري بأسعار مقبولة وكان هذا بمثابة ضربة للاقتصاد المصري الذي كان القطن يمثل عماده . وتقدم الاتحاد السوفيتي والصين للشراء وحضر وفد صيني إلى القاهرة في ذلك للعام وعقد صفقة قوامها ١٣ ألف طن من القطن المصري أضيف إليها ألف طن بعد ذلك . على أن تشتري مصر ٦٠ ألف طن من الحديد المبروم الصيني . وهذا النمو في العلاقات الاقتصادية له دلالاته السياسية أيضاً ، فنزول الصين والاتحاد السوفيتي إلى الميدان وشراء كميات كبيرة من القطن المصري في وقت هبطت فيه أسعار القطن معناه مسانده وتدعيم للاقتصاد المصري في فترة حرجية ، وزادت العلاقات توتراً بعد أزمة

(١) Adie, W.A.C. «China's year in Africa», Africa Contemporary Record, London, 1970/1971, PP. A 55, 57.

السويس واعتراف مصر بالصين الشعبية. فقد عقد اتفاق مقايضة بمقتضاه أن تبادل مصر ٤٥ ألف طن من القطن بالفين وخمسمائة طن من الصلب الصيني ، كما أعلنت للصين عن منحة قدرها ٤,٧ مليون دولار نقداً وقرضاً قدره ٢٠ مليون فرنك سويسرى بعد أزمة السويس مباشرة (١).

مقارنة بين تجارة كل من الصين والإتحاد السوفيتى مع مصر

بالمليون جنيه مصرى (٢)

السنة	واردات مصر من الصين	صادرات مصر إلى الصين	واردات مصر من الإتحاد السوفيتى	صادرات مصر من الإتحاد السوفيتى
١٩٥٥	٠,٣	٨,٥	٢,٣	٧
١٩٥٦	٣,١	٨,٤	٧,٩	٥,٦
١٩٥٧	٧,٢	١٤,٧	١٨,٦	٣٩,٣
١٩٥٨	٨,٧	١٢,١	٣١,٧	٢٨,٦
١٩٥٩	٨,٣	١١,٨	٢٦,٨	٢٨,٣
١٩٦٠	٦,٨	١٥,٥	١٢,٩	٣٠,١
١٩٦١	٦,٦	٥,١	٢٧,٧	٢٥,٤
١٩٦٧	٧,٧	٧,٧	٢٤,٦	٢٤,١
١٩٦٣	٨,٧	٧,١	٢١,٣	٤٤,٢
١٩٦٤	١,٧	٤,٣	٤,٣	١٢,٢
١٩٦٥	١١,٦	١٩,٦	٣٦,٦	٥٦,٧
١٩٦٦	١٧,٥	١٤,١	٤٠,٧	٦٢
١٩٦٧	١٠,١	٨,٢	٧١,٨	٦١,٤
١٩٦٨	٨,٩	٨,٢	٤٦,٢	٧٦

(١) أنظر البنك الأهل المصرى المنشرات الاقتصادية لعامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .

(٢) البنك الأهل المصرى ، النشرة الاقتصادية ، المجلد ٢٣ ، العدد ١٩٧٠ .

ويتضح من الجدول الخاص بتجارة الصين مع مصر زيادة هذه التجارة من ٢٨ مليون دولار عام ١٩٥٥ إلى ٣٥ مليون دولار عام ١٩٥٦ ، ٦٣ مليون دولار عام ١٩٥٧ ، وفي عام ١٩٥٨ أصبحت الصين ثاني دولة مستورة للقطن المصري بعد الاتحاد السوفيتي ولكنها في عامي ٦٧، ٦٨ انحدرت إلى المكان الحادي عشر (١) وأما من حيث كونها دولة مصدرة إلى مصر فحتى عام ١٩٥٧ عندما كانت في قمة صادراتها إلى مصر كانت ترتيبها التاسع بين الدول المصدرة لمصر .

وقد تعددت الاتفاقيات التجارية بين مصر والصين منها اتفاق فبراير ١٩٦٠ والذي بمقتضاه أن يصد وكل طرف إلى الآخر ما قيمته ١٥٤ مليون جنيه استرليني سنويا وآخر في فبراير ١٩٦١ بأن يزيد ما يصدره كل طرف إلى الآخر إلى ٣٠ مليون جنيه استرليني في ذلك العام . وفي عام ١٩٦٣ وقع اتفاق ثالث لصادرات بين الطرفين قيمتها ١٥ مليون جنيه .

وفي عام ١٩٦٤ وافق الصينيون على أن يمدوا مصر بمعونة لتنفيذ برامج التصنيع وتعهدت الصين بمد مصر بمعدات صناعية قيمتها ٨٠ مليون دولار على مدى عشر سنوات وبدون فوائد على أن يتم السداد على عشرة أقساط ابتداء من عام ١٩٧٢ . وكانت القائمة تشمل مصانع للنسيج والورق وتكرير السكر ومعدات أخرى للصناعات الحفيفة .

وتطورت الواردات المصرية من الصين وكذلك الصادرات المصرية إليها ، في عام ١٩٦٤ نص الاتفاق على أن تستورد مصر المحولات الكهربائية ومعدات التعدين والأجهزة اللاسلكية في مقابل أن تصدر مصر إلى الصين القطن والمنسوجات والأحذية وإطارات السيارات والآلات الكاتبة والأثاث المعدني . وفي الحادي عشر من يونيو ١٩٦٧ منحت الصين مصر ١٥٠ ألف طن من القمح فضلا عما قيمته عشرة ملايين دولار من العملة الصعبة دون فوائد أو تحديد ميعاد الدفع (١) .

(١) البنك الأهلي المصري ، المجلد ٢٣ ، العدد الثاني ، ١٩٧٠ ، جلد ٢ ب .

(٢) الأهرام في ١١ يونيو ١٩٦٧ .

وفي يوليو ١٩٦٨ وقعت الصين مع مصر إتفاق تجارة لمد الصين بالقطن الحام والأرز والمنسوجات الكياوية وزيت الديزل في مقابل الشاي والبن واللحوم المحفوظة والأخشاب والآلات المعدنية وقطع الغبار بقيمة هذا الاتفاق الأخير ٣٠ مليون جنيه .

خط جديد تزام أو تنزانيا - زامبيا والصين :

لما كانت هناك عدة برامج للتنمية الاقتصادية اشتركت فيها الصين الشعبية في أفريقية فان مشروع خط حديد تزام قد غطى على هذه المشروعات جميعاً بالنسبة لضخامة الإستثمار الصيني فيه ، إذ تقدر تكاليفه بنحو ٤٠٥ مليون دولار .

وفي الحق لقد تشابكت الظروف السياسية والاقتصادية على أبراز هذا المشروع إلى الوجود من ناحية، وعلى اشتراك الصين فيه من ناحية أخرى ، ذلك أن استقلال تنزانيا ، وروديسيا الشمالية (زامبيا) عامي ١٩٦١ ، ١٩٦٤ غير من الأنماط السياسية والاقتصادية في جنوب وشرق القارة ، بتحول هذه المستعمرات إلى أقطار مستقلة تنتهج سياسات مغايرة للسياسات التي كانت تتبعها القوى الاستعمارية السابقة . وفي نفس الوقت كان الإعلان غير الشرعي لإستقلال روديسيا عام ١٩٦٥ بواسطة الأقلية البيضاء مما أدى إلى تدهور العلاقات بين زامبيا وروديسيا وكانت هناك فكرة توجيه زامبيا نحو الشمال أي نحو تنزانيا التي تتفق معها في سياستها التحررية واللاعنصرية بدلا من الاتجاه التقليدي نحو الجنوب أي نحو روديسيا . ولا يمكن فهم هذه الحقيقة إلا على ضوء الوضع الجغرافي لزامبيا دولة حبيسة Landlocked States لامتد لها على البحر إلا عن طريق روديسيا وموزمبيق ، ذلك أن نحاس زامبيا كان يجد طريقه إلى البحر عبر هذين البلدين حيث يصل من ميناء Beira في موزمبيق البرتغالية . ولما كان النحاس يمثل ٩٦٪ من قيمة صادرات زامبيا ، كان معنى هذا أنه في إمكان رودوسيا والبرتغال التحكم في اقتصاد زامبيا بغداد أن اتجهت اتجاهات معادية لهما أي اتجاهات تحررية .

(٢) Ten Zam هي الحروف الأولى من تنزانيا Tanzania وزامبيا Zambia

وقد ثبت أنه لاقاء بين حكام روديسيا أو جنوب أفريقيا مع زامبيا وثرانيا على شعار « أفريقية للأفريقيين » من ثم كان خط التزام للخلاص من هذا الوضع الذى يشل يدها تماما عن القيام بأى دور سياسى فى المنطقة ، وبالنسبة لثرانيا يعتبر المشروع مفيدا لها اقتصاديا لأنه سيوجه تجارة زامبيا نحوها ونحو مينائها دار السلام بما يقويهما معا أمام جبهة الأقلية البيضاء فى جنوب القارة . ذلك أن الخط الحديدى سيمتد من نطاق النحاس فى زامبيا إلى ميناء دار السلام بطول نحو ١٢٠٠ ميل .

وقد مر هذا المشروع بنفس المشكلات التى مربها مشروع السد العالى فى مصر حتى أنه يمكن القول فعلا ما أشبه اليوم بالبارحه ، فلم تتقدم الدول الغربية للمساعدة حينما أعلن المشروع ، بل ورفض البنك الدولى للانشاء والتعمير الاقراض عليه على اعتبار أنه مشروع غير اقتصادى ، رغم أن عمليات المسح وتقدير التكاليف قام به كونسرتيوم من حكومتى المملكة المتحدة وكندا (١) وأشار الكونسرتيوم إلى أن المشروع اقتصادى حتى ولو مد طريق سيارات إلى جواره . ومن هنا حينما عرضت الصين القيام بالمشروع رحبت الحكومتان فى ثرانيا وزامبيا بهذا العرض لأن الصين حولت الحلم الذى احبطه الغرب إلى حقيقة . وكانت البداية الرسمية لتحقيق الحلم فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٦٧ حين وقع الاتفاق المبدئى بين الصين وثرانيا وزامبيا فى بكين وبدأت احتفالات مد الخط رسميا فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٠ (٢) وكان من ضمن مشكلات المشروع النفقات الداخلية للمشروع كله رواتب الخبراء والذين وراء المعدات المتطورة محليا . ولكن الصين حلت المشكلات عن طريق التجارة بالاتفاق مع حكومة البلدين على أن تصدر لها سنويا سلعا تباع فى الجمعيات التعاونية الحكومية وتستخدم ارباحها فى تمويل التكاليف المحلية وفى هذا المجال ربطت الصين بين التجارة والمعونة . على العموم لقد بدأ المشروع الذى يعتبره الغرب أكبر استعراض لكفاءة الصين الاقتصادية والفنية خارج حدود أراضيها .

(1) Africa, An International Business, Economic. Monthly, London, No. 3/1971, P. 50.

(2) W. O. Adie, «China's year in Africa» Africa contemp. Record, 1970/1971, P. A 98.

« أفريقيا الاستوائية »

« دراسة في علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية »

د . السعيد البدوي

EQUATORIAL AFRICA

THE RELATION BETWEEN POPULATION AND ECONOMIC
DEVELOPMENT

by

S. EL BADAWY

This is the second paper in this series related to Equatorial Africa. It deals with the racial groups, the distribution of population and their densities. The main purpose of this paper is to throw lights upon population increase and its reflections on economic development. The principal conclusion is that economic development in this area is not impeded by overpopulation, as it is underpopulated area, but the main reasons for that are :-the rarity of skilled labour and experts, absence of scientific organisations, insufficient capitals, in addition to the absence of comprehensive studies related to the area.

! في مقال سابق تناولنا الظروف الجغرافية الطبيعية في أفريقيا الاستوائية وانعكاسها على النواحي الاقتصادية والاجتماعية في هذه المنطقة (١) .

وفي هذا المقال نتناول دراسة علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية في هذه المنطقة .
وفي هذا الاطار سوف نركز على النقطتين الاساسيتين الآتيتين :
أولا : الظروف الجغرافية العامة في المنطقة وانعكاسها على توزيع السكان
سلاليا وكميا .

ثانيا : السكان والتنمية الاقتصادية .

(١) مجلة الدراسات الافريقية - العدد الثاني . أفريقيا الاستوائية - دراسة في الجغرافيا الطبيعية .

وبادىء ذى بدأ ، وكما سبق أن أشرنا فى المقال السابق فإن أفريقيا الاستوائية وأفريقيا المتوسطة من الألفاظ الشائعة والتي يختلف فى تحديد مجالها كثير من الباحثين وكذلك التنظيمات الاقليمية والعالمية . ولذا فان دراستنا لهذه المنطقة تركز على التحديد الجغرافى ، ومن هنا فإن الدول التى يشملها مجال دراستنا هى :

الكنغو (زائير) ، الكونغو الشعب (برازافيل) ، جابون ، الكامرون ، أفريقيا الوسطى ، غينيا الاستوائية . على اعتبار أن هذه الدول هى التى تسود فيها الظروف الاستوائية على وجه الخصوص (١) .

أولا - الظروف الجغرافية وتأثيرها على السكان

هذه المنطقة الاستوائية المشار إليها تبدو كما لو كانت دائرة مركزها الرئيسى حوض الكونغو . وهى تبدأ فى الغرب بمنطقة ساحلية سهلية رملية تنتشر بها المستنقعات الساحلية بالإضافة إلى الغابات التى تعوق التوغل الأرضى داخل القارة . وينفتح هذا الساحل على المحيط الأطلنطى الذى ظل غير معروف حتى القرن الخامس عشر وكان يعتبر فى ذلك الوقت نهاية العالم La limite du monde وقد أقام الأوروبيون على هذا الساحل مجموعة من المراكز التموينية Entrepot فى طريقهم إلى جزر الهند الشرقية وكانت هذه المراكز التموينية أو المخازن بمثابة موانئ أقدم ساحلية وليس بقصد التوغل فى القارة التى كانت فى ذلك الوقت غامضة وموحشة .

أما الجزء الأوسط من هذه المنطقة فيوجد حوض ضخم تشغله الغابات الكثيفة المظلمة . وتجرى به المجارى المائية التى تعترضها بين آوتة وأخرى المساقط المائية التى تعرقل التوغل النهري إلى داخل القارة . ولكن فى نفس الوقت توجد مسافات من هذه الأنهار صالحة للملاحة تربط المناطق الداخلية ببعضها ببعض ولكنها فى نفس الوقت لا تساعد على حركة الاتصال العام من وإلى الداخل . أما فى الشرق والشمال والجنوب فتوجد حافات هضبية ذات شكل شبه دائرى hémicycle de hauts plateaux

(١) تذكر بعض المؤلفات الاقليمية والدولية أن أفريقيا الوسطى Central Africa

تضم جانب هذه الدول المذكورة كلا من تشاد - أنجولا - رواندا - بوروندى - أنظر فى هذا الصدد :

Survey of Economic Conditions in Africa 1971

United Nations (Eca).

حيث توجد التربة الصلدة وشبه العارية ولكن هذه المنطقة لا تشكل عقبة حقيقية أمام الاتصالات أو التعمير خصوصاً في الأجزاء الشرقية حيث اتصلت بالمحيط الهندي والبحر الأحمر وبالتالي غرب آسيا والبحر المتوسط منذ قديم الزمن .

ومما سبق يتضح أنه توجد في هذه المنطقة الاستوائية ثلاثة أجزاء متميزة اكل منها صفاتها الذاتية المفردة داخل الاطار العام الاستوائى هي : الساحل الغربى ، الحوض الداخلى . المرتفعات المحيطة ونكاد تغلق الحوض تماماً .

ونتيجة لهذه الظروف الجغرافية التضاريسية أساساً والتي تنعكس على الظروف الطبيعية الأخرى فإن حركة السكان داخل هذه المنطقة لم تكن سهلة وفي نفس الوقت كان التعمير صعباً أيضاً حيث أتت الغزوات البشرية من الخارج وعلى وجه الخصوص من الشمال والشرق . كما أن هذه الظروف الجغرافية تفسر أيضاً التوزيع الحالى للجماعات البشرية داخل المنطقة حيث أتت الموجات البشرية المتوالية والتي كانت تزيح عناصر السكان الأقدم نحو مناطق العزلة في الغابات والمرتفعات النائية . وأخيراً فإن هذه الظروف تفسر تلك المحاولات الحضارية التي اتجهت نحو سكان الغابة المنعزلين . وتركزت هذه المحاولات في نقطتين :

الأولى : في الهضاب انشمانية والشرقية المرتبطة بالحضارات الآسيوية .

الثانية : الساحل الأطلنطى حيث بدأت محاولات الازربيين أولاً عن طريق مراكز التكوين الساحلية ثم بعد ذلك بالتغلغل داخل القارة (١) .

وإذا ما حاولنا تتبع مسار حركات التعمير البشرى السلالى داخل هذه المنطقة منذ القدم فانه لا توجد لدينا أدلة نابهة كافية توضح لنا ظروف الاستقرار والتحركات البشرية في عصر ما قبل التاريخ ولكن هناك بعض الشواهد التي توضح لنا الموقف الحالى للسكان الوطنيين *Auto-ctones* في أفريقيا الاستوائية .

فبالنسبة لأصل الأقزام *Negrilles* أو *Pygmés* بصفاتهم الجسدية المعروفة كانوا يشغلون كل المنطقة ذات المناخ الاستوائى من الهضاب التي تقع إلى الشمال من نهر أوبانجى (الرافد الشمالى لنهر الكونغو) إلى منطقة كاتنجا في الجنوب وكانت لهم

Ggeog. Universelle. Tome XII. Afrique centrale et orientale ; Publie sous la (١) direction de P.V. de la Blache et I. cgallois paris 1938 P. 38.

أسماء مختلفة مثل أككا Akka : تيكى تيكى ، Tikki-Tikki ، مامبوتى Mamboutti باتوا Batoua . . . الخ وقد طاردت هذه الجماعات القزمية عناصر قزمية أصدية أيضاً فى كاتنجا وطردها إلى الجنوب من كاتنجا ، ومن هنا فقد احتلوا فى جماعات مبعثرة أنحاء أفريقيا الوسطى الاستوائية .

وفى هذا الوقت كان يسكن شمال أفريقيا جماعات زنجية Negritiens بصفاتهم الجسدية المعروفة وقد بدأت هذه الجماعات الزنجية السوداء تتجه نحو الجنوب والغرب عندما بدأت الجماعات الحامية القادمة من آسيا إلى أفريقيا الشرقية — والذين أصبحوا فيما بعد يعرفون بالأحباش Abyssinians — أو جماعات البربر الحامية التى كانت تضغط من الشمال . وقد اختلط بعض الزنوج بهذه الجماعات الحامية خصوصاً فى الشرق وقد أعطى هذا الخليط عنصر الاثيوبيين Ethiopians وبناء على هذه الضغوط اتجهت الجماعات الزنجية من الشمال نحو الجنوب أو من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى حيث ظهروا على المضارب فى أفريقيا الاستوائية وكذلك فى الغابات الوسطى عن الأنهار الموجودة بها . وقد اختلط هؤلاء الزنوج مع الأقزام وكونوا فيما بعد الجنس الذى يعرف بالبانتو الذى يسكن الآن الجزء الأعظم من أفريقيا الاستوائية . ويذكر هنا أن هذه الجماعات نقلوا من آسيا بلا شك بعض الحاصلات إلى موطنهم الجديد فى أفريقيا وأهمها الموز الذى أصبح الحصول الغذائى الرئيسى فى هذه المنطقة أما بالنسبة للأقزام الذين لم يختلطوا بالزنوج فقد انعزلوا فى أعماق الغابات الوسطى واعتمدوا على الجمع والالتقاط مكوّنين جماعات منعزلة بائسة .

وجدير بالذكر فى هذا المجال أن البانتو — العنصر السائد فى هذه المنطقة — لا يكونون جنساً قائماً بذاته ومتجانس Race homogène خصوصاً فى الأجزاء الهامشية من المنطقة حيث يختلطون فى الشمال مع الزنوج الخاص True Negros ، الذين ظلوا على نقائهم العنصرى نسبياً . وفى الشرق اختلطوا مع الحاميين أو مع أشقائهم الزنوج الذين اكتسبوا صفات حامية ويطلق عليهم أشباه الزنوج مثل الحالا والموسى . هذا فى حين أن مناطق الغابات يوجد بها عنصر البانتو الذى اختلط بالأقزام عبر آلاف السنين . ولكل جماعة من هذه الجماعات البانتوية صفاتها الجسدية والثقافية الخاصة حتى أن لفظ (بانتو) نفسه يعنى « الناس » دون تحديد إلى أى

جنس ينتمى هؤلاء الناس . وفي داخل هذه الجماعات البانتوية توجد صفات متنوعة ضمن الاطار العام للعنصر البانتوى (١) .

وفي شمال المنطقة وعلى حدود النطاق السودانى نجد سفانا الغضاب التى يعيش فيها الزنوج سواء السودانىون أو النيلوتيون الذين اختلطوا بدرجة أو بأخرى بالبانتو . نجد مثل هذا الخليط فى الكمرون وفى أجزاء من أعالي نهر سنجبا Sanga وخصوصاً فى المنطقة التى تقع إلى الشمال من نهري الأوبانجى ، أو يلى حتى حوض النيل الأعلى حيث يعيش الأزاندى والمانجبتو ، وهنا نجد صفات خاصة بالزنوج حيث السيقان الطويلة وكذلك القامة والفك البارز وقد نقلوا صفاتهم هذه إلى القبائل البانتوية التى اختلطوا بها . وقد توقف تقدم الزنوج على حواف المنطقة الاستوائية الأصلية بين خطى عرض ٤ ، ٥ شمالاً . وربما يرجع هذا إلى أن السكان الذين كانوا يعيشون فى هذه المناطق كانوا أقل من أن يستغلوا المنطقة التى يعيشون فيها ولم تكن لديهم قدرة كافية على المقاومة . والمرجع أن ذلك يرجع إلى أن هؤلاء الزنوج لم يجدوا فى الجنوب أكثر من منطقتهم الحالية الظروف الطبيعية الملائمة لزراعة الحبوب التى يعيشون عليها فتركوا المناطق الاستوائية للبانتو الذين يزرعون المانيوق ولذا يذكر فى هذا الخيال أن أهل الذرة العويجة تركوا المكان لأهل المانيوق «Les peuples du mil» laissaient la place aux peuples du manioc».

وبدون شك فأننا نجد حداً طبيعياً مشابهاً لذلك فى الأجزاء الشرقية من أفريقيا الوسطى الاستوائية حيث نجد الغضاب المرتفعة فى شرق أفريقيا . وهنا نجد اختلاطاً بين بانتو أفريقيا الاستوائية وبانتو الشرق حيث تبدو هنا القامة أكثر طولاً والتقاطيع أكثر دقة واللون أقل قتامة ، وقد تسربت هذه الصفات من العناصر الحامية . وقد انعكست هذه الظروف الجغرافية على النواحي السيكولوجية للسكان سواء هؤلاء البانتو الذين يعيشون فى الغابات أو هؤلاء الذين يعيشون فى السفانا .

geog. Universelle op. cit. pp. 29, 42...44

(١) أنظر فى هذا الصدد :

و كذلك Murdock, g.p. : Africa, its peoples & their culture history London 1959. pp. 271, 272...278.

و كذلك Denis, J., Vernetier, P., wilmet, J. : L'Afrique centrale et orientale paris 1971. PP. 72...74.

و كذلك . د . محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ص ٧١ - ص ٨٦ .

فرجل البانتو في الغابة يعيش في بيئة كلها غابات كثيفة والطرق فيها صعبة بل حتى ضوء الشمس لا يصل إلى الأرض إلا قليلاً . . كل هذا جعل انسان البانتو في الغابة إنسان حذر يشك في كل غريب كما أنه بالتالي عدواني أمام الغرباء لأن الظروف الطبيعية القاسية حتمت عايه أن يكون كذلك . هذا في حين أن إنسان البانتو في مناطق السفانا يعيش في ظروف جغرافية أكثر يسرا وسهولة ، فالبيئة مفتوحة والجو صحو والشمس تظهر كل شيء - هنا الإنسان أكثر هدوءا وأقل ريبة وشكا كما أنه يتصف بالمرح ويتعاون مع جيرانه الأمر الذي ينعكس على تقبله للمجديد والغرباء والتأثيرات الخارجية .

أما عن حيث التأثيرات الخارجية على هؤلاء السكان الوطنيين فليس لهذا تأثير واضح ، إذ أنهم ظلوا دون تغيير يذكر في تكوينهم السلالى composition ethnique حتى الوقت الراهن . ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض التأثيرات الأجنبية في بعض المواقع بعد كشف القارة سواء بسبب التبادل التجارى أو التطور السيامى ، وقد كان هذا التأثير من جهتين المحيط الهندى من ناحية والأطلنطى من ناحية أخرى . فبالنسبة للمحيط الأطلنطى جاء البرتغاليون إلى هذه المنطقة سواء قبل « دى جاما » أو بعده وأنشأوا المراكز البحرية كنقط للوصول إلى الهند . ثم جاء بعد ذلك الأسبان وأنشأوا لهم مراكز بحرية أيضاً ثم أقاموا لهم امبراطورية في أمريكا الجنوبية وزرعوا مناطق واسعة منها وكان ذلك يستدعى أيدي عاملة كثيرة ومن ثم فقد اتجهوا نحو أفريقيا . ومن هنا بدأت تجارة الرقيق حيث قام زعماء القبائل الأفريقية الذين كانوا يوردون المطاط والذهب والعاج وغيرها بتوريد العمال الأفريقين سواء من شاطئ أنجولا أو ساحل موزمبيق . وقد كان للبرتغال تأثير واضح في هذا الصدد في منطقة المضاب الوسطى بين الكونغو والزمبىزى .

ومن المحيط الهندى مارس العرب نفس الدور أولاً بالتجارة وبعد ذلك بالتعاقد وقد جاء هؤلاء العرب من الشرق والشمال الشرق عبر النيل . وكانوا وسطاء تجارة بين آسيا وأفريقيا حتى أنهم وصلوا إلى مناطق أعالي الأوبانجى وأراضى الأزاندى والمنجبتو Mangbettou أما في الشرق فقد بدأ نفوذ العرب من سلطنة زنجبار (أرض الزنج) تلك السلطنة التى ظلت تابعة لسلطنة عمان حتى عام ١٨٦١ وامتدت في شرق أفريقيا حتى نهر لوالابا ورافده لومامى في شرق

الكنغو ، وفي عام ١٨٦٨ أنشأت مستعمرة على نهر لوالابا في منطقة Nyangoué وامتد نفوذها نحو الجنوب أيضاً حتى وصل إلى أعالي نهر لوالابا في الجزء الشرقي من هضبة الكونغو - الزمبيزي وإلى بحيرة بنجويلو وبالتالي سيطرت على جزء كبير من كاتنجا . وقد أقام العرب سلطنات لهم بجانب الممالك الوطنية أو بينها ، وكان بداية التأثير العربي بالتجارة في منتجات البلاد المحلية وأهمها العاج ثم بحثوا عن العمال الذين يحملون هذه البضائع الثقيلة نحو الساحل وأخيراً أصبحت تجارة الرقيق جزءاً من نشاطهم - ومن هنا فقد سيطر العرب - والبرتغاليون حتى نهاية القرن التاسع عشر على تجارة الرقيق في أفريقيا الاستوائية الممتدة من الأوبانجي شمالاً حتى كاتنجا جنوباً ومن الأخيرة حتى نهر الكونغو الأدنى . ونتيجة لكل هذا تغيرت الملامح « السياسية » في المنطقة حيث بدأت تتكون ممالك قوية تشابه تلك الممالك السودانية في الشمال . ومن هذه الممالك القوية مملكة لوانجو Loango عند مصب نهر الكونغو . وممالك بالوندا . باروتزي . كاتنجا في الجنوب . وممالك أورووا Ouroua أوانيا Ouanyema باتشмба Bachimba . رواندا . أورووندي ، أونيامويزي في الشرق . إلا أن القضاء على تجارة الرقيق سرعان ما أدى إلى إنبهار هذه الممالك لأن هذه التجارة كانت سبب وجودها وبقائها Raison d'être ومن ثم فقد أرتدت البلاد مرة أخرى إلى قبائل عديدة ومفككة أو ما يطلق عليه « دتراب القبائل Poussière de tribus » ولقد كان لهذا النظام انعكاساته الاقتصادية والاجتماعية على هذه المنطقة حيث جاءت محاصيل من أمريكا وآسيا وفي نفس الوقت كانت هذه التجارة « الآدمية » ذات تأثير مدمر على السكان الوطنيين (١) .

وكما أن لهذه الظروف الجغرافية تأثيراتها على التوزيع السكاني والتأثيرات الخارجية التي طرأت عليهم فإن لها أيضاً تأثيرها الواضح على توزيع السكان من حيث الكثافة . إذ أن الطبيعة هيأت بعض الأماكن التي يستطيع فيها السكان المعيشة بيسر وسهولة وفي نفس الوقت أوجدت الأجزاء الصعبة التي ينفر منها السكان ولا يعيش فيها إلا قليل . ومن المعروف أن الكثافة العامة في القارة الأفريقية منخفضة بصفة عامة عن غيرها من القارات إذ أنها لا تزيد عن ١٢ نسمة في الكيلومتر المربع وفقاً لإحصائيات

Geog. Univ. Op. cit. p. 40

(١)

Denis : L'Afrique centrale op. cit p. 79.

و بالنسبة لتأثير تجارة الرقيق أنظر

الأمم المتحدة (عام ١٩٧٠) (١) . ولكن الكثافة في أفريقيا الاستوائية أقل بكثير من هذا المتوسط العام للقارة الأفريقية الذي يعتبر منخفضا بالنسبة للقارات الأخرى ، إذ أن سكان هذه المنطقة يعتبروا أقلية بالنسبة للمساحة الضخمة التي يعيشون عليها ولذلك يطلق عليها بعض الكتاب « عالم المداريات الشاغر monde de tropiques vide » ومع ذلك فانه داخل هذه المنطقة توجد اختلافات واضحة في الكثافة ، مثلا في الكنفو الشعبي (برازافيل) ، جابون وجمهورية أفريقيا نجد أن الكثافة ٢ نسمة فقط في الكم ٢ ، وفي الكنفو زائير تصل الكثافة ٧ نسمة في الكم ٢ . في حين أننا لو قارنا ذلك بشرق أفريقيا نلاحظ أن الكثافة في كينيا ١٨ وفي أثيوبيا ٢٠ وفي أوغندا ٣٤ أما في بوروندي فان الكثافة تصل إلى ١٢٢ نسمة وتصل الذروة في رواندا ١٢٩ - نسمة . وفيما يلي بيان يوضح إختلاف الكثافة بين دول أفريقيا الوسطى وغيرها (عام ١٩٦٨) (٢)

دول أخرى للمقارنة		أفريقيا الإستوائية			
الكثافة	الدولة	الكثافة في الكم ^٢	السكان	المساحة بالكم ^٢	الدولة
١٢٩	رواندا	١٢	٥,٥٦٢,٠٠٠	٤٧٥,٤٤٢	الكمرن
١٢٢	بوروندي	١٠	٨٧١,٠٠٠	٢٨,٠٥١	غينيا الاستوائية
٣٤	أوغندا	٧	١٦,٧٣٠,٠٠٠	٢,٣٤٥,٤٠٩	الكنغو زائير
١٨	كينيا	٣	٧٨٠,٠٠٠	٣٤٢,٠٠٠	الكنغو (برازا)
١٣	تنزانيا	٢	٤٨٠,٠٠٠	٢٦٧,٦٦٧	جابون
٢٠	أثيوبيا	٢	١,٤٨٨,٠٠٠	٦٢٢,٩٨٤	أفريقيا الوسطى
٤	الصومال				جزيرتا (ساوتومي وبراينسب)
٤	أقليم آفار وعيسى	٦٧	٦٥,٠٠٠	٩٦٤	

الكثافة العامة في أفريقيا المتوسطة التي تضم كل الدول والمناطق المذكورة = ١,٠٦

(١) Survey of Economic conditions in Africa 1971. U.N. (ECA) P. 18.

(٢) Denis : L'Afrique centrale op-cit p. 78.

Caldwell J.c. & Olonjo, c. (editors) : The population of tropical Africa Longman 3d 1969 P. 188...9.

والواضح مما سبق أن كثافة السكان في أفريقيا الوسطى الاستوائية منخفضة بصفة عامة فيما عدا الجزر الساحلية وأهمها برنسيب وساوتومي البرتغاليتين حيث تصل الكثافة فيهما أقصاها (٦٧ نسمة) نتيجة للمشروعات الزراعية الضخمة القائمة عليها بسبب خصوبة التربة البركانية الأمر الذي يؤدي إلى استجلاب العمال من المناطق المجاورة من جانب الشركات الأوربية التي تستغل هذه الجزر. وإنخفاض كثافة السكان في المنطقة يرجع إلى الظروف الصحية غير المناسبة التي تؤدي إلى ارتفاع نسبة الوفيات بشكل واضح ، بالإضافة إلى كثافة الغابات الموجودة في المنطقة وبصفة عامة فإن تجمعات السكان تتركز حول المجارى المائية رغم إنتشار ذبابة تسي تسي ، لأن هذه المجارى المائية تعتبر وسيلة المواصلات الهامة في هذه المنطقة ، وفي نفس الوقت تعتبر همزه الوصل بالنسبة لانتقال السكان من حقل إلى آخر ، أما بالنسبة للغابات التي توجد في المناطق التي تقع بين المجارى المائية وبعضها فإنها أقل من حيث توطن السكان وتقتصر السكنى فيها على الأقزام أما البانتو فنادرا ما يستقرون كما أسلفنا . أما في المناطق الهضبية التي تختلط فيها الأشجار بالسفانا في الأجزاء المجاورة لحوض الكونغو نفسه فإن لها نظاما خاصا في الشمال والشرق والجنوب من الحوض . فبالنسبة لهضاب الأوبانجى والكونغو الأوسط فإنها مأهولة نسبياً بعكس تلك الهضاب التي توجد في الشرق بين بحيرتي ألبرت وادوارد ، وبحيرة ألبرت ونهولوالابا ، كما أن المناطق التي توجد في الجنوب في كاتنجا وأنجولا مغلخلة السكان بشكل لا يتلاءم مع ظروفها الطبيعية الجيدة ، ويلاحظ أن مناطق انخفاض السكان في هذه المناطق تتطابق مع تلك التي مارس فيها البرتغاليون والعرب تجارة الرقيق نظراً لأن السكان كانوا يهربوا نحو الداخل في الغابات خوفاً من إقتيادهم كرقيق ، ولكن بعد إنتهاء هذه التجارة عاد السكان إلى التوطن مرة أخرى في هذه المناطق الهامشية من حوض الكونغو خصوصاً في منطقة كاتنجا التي جذبت إليها السكان لاستغلال الموارد المعدنية الموجودة بها . ولذا فإن أفريقيا الاستوائية تحتاج في الوقت الراهن إلى تحسين الظروف الصحية والمعيشية للسكان بقصد استغلال الإمكانيات الاقتصادية الموجودة بها إستغلالاً أمثل لصالح السكان (١) .

ولكن هذه الكثافة العامة لا تنطبق على جميع أجزاء المنطقة بالطبع إذ أن السكان يتركزون في المناطق الملائمة للاستغلال خصوصاً في المناطق الملائمة للزراعة ويبدو ذلك من الجدول الآتي : (١) الذي يوضح عدد السكان الكلي وعددهم في الكم ٢ في الأراضي القابلة للزراعة بما فيها الأراضي المزروعة بالمحصولات الدائمة والكثافة الريفية (١٩٧٠) .

الدولة	(١) عدد السكان بالآلاف	(٢) عدد كثافة السكان في الكم ^٢ في الأراضي القابلة للزراعة	
		(أ) كل السكان	(ب) في الريف
الكمرون	٥,٨٣٦	٨٠	٧٥
أفريقيا الوسطى	١,٦٠٠	٢٧	٢٤
الكنغو الشعبي	١,٠٢٠	١٦٢	١٢٤
غينيا الاستوائية	٢٨٥	١٢٩	٥٣
جابون	٥٠٠	٣٩٤	٣٦٤
زاير	٢٠,٦٣٨
كل السكان	٣٠,٦٧٩		

هذا في حين أننا لو قارنا هذه الأرقام بالدول الأخرى في أفريقيا فأننا نجد مثلاً أن عدد السكان في مصر في بند ٢ أ = ١,١٦٧ نسمة وفي البند ٢ ب = ٧٠٠ وفي الجزائر ٢٠٢ . ١٤٠ على التوالي وهما مثالان من أفريقيا الشمالية أما في أفريقيا الغربية فان نيجيريا ٣٠٤ . ٢٤٨ على التوالي وفولتا العاها ٦٢ . ٥٩ على التوالي وفي أليوبيا ١٩٤ . ١٨٣ . وتزانيا ١١٣ . ١٠٨ على التوالي وهما من شرق أفريقيا . ويتضح مما سبق أن ضغط السكان population pressure على الأراضي الزراعية في أفريقيا الوسطى الاستوائية غير وارد ومعنى ذلك أن هذه الأراضي الزراعية تستطيع أن تتحمل أعداداً أخرى دون أن يتأثر إنتاجها

وذلك يستدعى فى نفس الوقت تحسين وسائل الإنتاج الزراعى وترشيد الإنتاج نفسه وفى نفس الوقت المحافظة على التربة . وسوف نشير فى ذلك فيما بعد عند دراسة التنمية الزراعية وعلاقة ذلك بالنمو السكانى .

ثانياً – السكان والتنمية الاقتصادية

فى دراسة هذه النقطة يمكن تناول ثلاثة محاور فرعية :

الأول : نمو السكان فى المنطقة والعوامل المؤثرة فى هذا النمو .

الثانى : النمو الاقتصادى فى المنطقة بفروعه المختلفة .

الثالث : علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية .

١ – النمو السكانى

تعتبر قارة أفريقيا من مناطق الزيادة السريعة فى السكان فى العالم . وليس أدل على ذلك من أن عدد السكان بها بلغ فى منتصف عام ١٩٧٠ حوالى ٣٦٠ مليون نسمة أى حوالى ١٠ ٪ من سكان العالم وقد وصلت القارة إلى هذا الرقم الكبير فى فترة وجيزة حيث أن نسبة السكان بها فى عام ١٩٢٠ لم تكن تتجاوز ٧,٥ ٪ بالنسبة لسكان العالم ورغم هذه الزيادة الواضحة فى عدد السكان فى القارة إلا أنها مازالت من مناطق العالم القليلة السكان بالنسبة للمساحة ، إذ أن الكثافة العامة حوالى ١٢ نسمة فقط فى الكم ٢ (١٩٧٠) . هذا فى حين أن الكثافة فى القارة الآسيوية حوالى ٦٨ نسمة فى الكم ٢ .

وقد قدرت نسبة الزيادة السنوية فى القارة الأفريقية فى عام ١٩٧٠ بحوالى ٢,٥ ٪ بمعدل مواليد مرتفع نسبياً يصل حوالى ٤٦ فى الألف ومعدل وفيات يصل ٢١ فى الألف . وهذان المعدلان يرتفعان عن أى مكان آخر فى العالم . ولكن نسبة الزيادة الطبيعية فى السكان فى القارة لا تأتى فى المرتبة الأولى وإنما تحتل المكانة

الثانية بعد أمريكا اللاتينية التي وصل معدل المواليد بها في نهاية الستينات حوالى ٤٠ فى الألف ومعدل الوفيات ١١ فى الآن (١) .

وإذا كان معدل الزيادة الطبيعية للسكان فى قارة أفريقيا مرتفعا بصفة عامة فانه فى المناطق المدارية منها أكثر وضوحاً فى الإرتفاع وذلك لارتفاع نسبة المواليد بشكل واضح ، إذ أنه من الملامح البارزة فى مجال النمو السكانى فى أفريقيا المدارية بصفة عامة ارتفاع نسبة الخصوبة *Fertility rate* فى معظم دول هذه المنطقة بشكل واضح . ورغم أن نسبة الوفيات مازالت مرتفعة بالمقاييس العالمية إلا أنها تتناقص بسرعة ، ولهذا فان الزيادة الطبيعية فى معظم الحالات تبلغ ضعف ما شهدته أوربا فى عهد التصنيع فى القرن التاسع عشر ، فنسبة المواليد فى أفريقيا المدارية أعظم إرتفاعاً من تلك الموجودة فى العالم الغربى ، كما أنه من غير المستطاع فى عديد من دول هذه المنطقة أن تخفض نسبة الوفيات بدرجة ملحوظة فى فترة زمنية محدودة (٢) وفى داخل هذه المنطقة المدارية الافريقية توجد أفريقيا الوسطى الأستوائية التى يختلف فيها معدل المواليد والوفيات ، ولو أنهما بصفة عامة مرتفعين الأمر الذى يؤدى إلى ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية . ففى الكرون يصل معدل النمو ٢,١ ٪ وكذلك فى جمهورية أفريقيا الوسطى أما فى الكونغو الشعبى فإن معدل النمو ينخفض إلى ١,٧ ٪ فقط وفى غينيا الأستوائية ١,٤ ٪ فقط ثم ينخفض أكثر فى جابون ١,٢ ٪ أما فى زائير فان النسبة ترتفع إلى ٣ ٪ وهى أعلى نسبة فى أفريقيا الأستوائية كلها . والملاحظ أنه لا يصل إلى هذا المعدل المرتفع فى القارة كلها سوى ليبيا (٣,٨ ٪) وساحل العاج (٣ ٪) وليبيريا (٣ ٪) وبتسوانا (٣ ٪) ومالاوى (٣,٣ ٪) تنزانيا (٣ ٪) (٣) .

ويرجع التزايد السريع فى نمو السكان فى عديد من الأقطار (النامية) ومنها أفريقيا الوسطى إلى التطبيق الناجح للوسائل الصحية الحديثة . كما أن ذلك

Survey of Economic conditions in Africa P. 17.

(١)

Caldwell & Okonjo : The population of tropical Africa. P. 333.

(٢)

Survey of Economic conditions op. cit. p. 17...18.

(٣)

يرجع في نفس الوقت إلى ارتفاع نسبة الخصوبة في هذه المنطقة إذ أن معدل الخصوبة يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ في الألف ويصل في بعض الأحيان إلى ١٦٠ في الألف وفيما يلي بيان يوضح معدلات الخصوبة والوفاء في بعض دول المنطقة (١)

. Measures of fertility and mortality

الدولة	معدلات الخصوبة			معدلات الوفاة	
	معدل المواليد الأصلي	معدل الخصوبة العام	معدل إعادة الإنتاج	معدل الوفاة الأصلي	معدل وفيات الأطفال
	بالألف	بالألف	الكل	بالألف	بالألف
زائير	٤٣	١٥٦	٢,٤	٢٠	١٠٤
الكامرون	٣٧	١٣٢	٣,٢	١٨	٧٦
أفريقيا الوسطى	٤٨	١٥٧	٢,٥	٢٦	١٩٠
الكنغو الشعبي	٤١	١٤٩	٢,٥	٢٤	١٨٠
جابون	٣٥	١١٦	٢,١	٣٠	٢٢٩
سإوتومي					
وبرنسيب	٥١	٢٦٠	٠ . ٠ .	١٨,٤	١٤٠

ملحوظة : هذه الأرقام تقديرات لسنوات مختلفة ، والقصد منها الإشارة وليس التحديد .

وتعطي هذه الأرقام دلالات واضحة على ارتفاع نسبة الخصوبة في دول هذه المنطقة الأمر الذي ينعكس على معدل المواليد وكذلك على نسبة إعادة الإنتاج Reproduction (ويقصد بذلك عدد البنات الأحياء لكل سيدة) وتعطي هذه النسبة الأخيرة مؤشرات هامة للحياة الديموجرافية وتوقعات الزيادة في المستقبل حيث أن المعدل العام في المنطقة كلها يتراوح بين ١,٤ ، ٣,٢ وينخفض المعدل في جابون إلى أدناه فيصل ٢,١ ورغم وجود بعض التقديرات الأخرى التي تعطي

نسبا أقل لاعادة الإنتاج في دول المنطقة وتجعلها تتراوح بين ١,٤ - ١,٧ ، إلا أن اختلاف الأرقام لا يغير إلا التفاصيل وتظل الدلالة واضحة وهي إرتفاع نسبة الخصوبة وكذلك نسبة أعادة الإنتاج (١) .

هذا هو الإطار العام لمعدلات المواليد والوفيات والخصوبة واعادة الإنتاج ولكن في داخل هذا الإطار العام توجد تفصيلات كثيرة داخل دول المنطقة المدروسة منها نسبة العقم المرتفعة الموجودة في بعض أجزاء المنطقة فقد بينت الدراسة التفصيلية لديموجرافية زائير أن المتوسط العام للمواليد ٤٥ في الألف في حين أنه توجد اختلافات إقليمية واسعة فهي في أويلي الأدنى Bas uele ٢٠ فقط . أما في شمال وجنوب كيفو فتصل إلى ٦٠ في حين أن درجة العقم بالنسبة للنساء فوق سن ٤٥ سنة اللاتي لم يحمان مطلقا تتباين بين ٥٪ (كيفو) إلى ٥٠٪ في أويلي الأدنى والمتوسط العام للدولة ٢٠ في المائة . وهناك منطقة واسعة تبدو فيها إنخفاض نسبة الخصوبة في أواسط الكنفو على طول النهر وروافده وتتفق هذه المنطقة مع توزيع جماعة المونجو Mongo وهي مجموعة يزيد عدد سكانها على مليون نسمة . وهناك منطقة أخرى تبدو فيها ظاهرة إنخفاض الخصوبة واضحة جدا وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من الكنفو على طول نهر أويلي ويعيش فيها حوالي مليون نسمة من الأزاندي والمونجبتو Mongbetu . ونظرا لانخفاض نسبة الخصوبة بشكل واضح لدرجة أنها لا تستطيع أن تعطي نسبة الوفيات العالية في هذه المنطقة فإن تناقص السكان هنا depopulation يشكل خطرا يواجه هذه المنطقة وعموما فإن حوالي نصف سكان الكنفو زائير يعانون من إنخفاض نسبة الخصوبة بشكل ما فهناك حوالي ٢٢٪ من السكان نسبة المواليد لديهم أقل من ٣٥٪ في الألف وحوالي ٧٪ من السكان نسبة المواليد عندهم أقل من ٢٥ في الألف . وتقابل نفس المشكلة جمهورية أفريقية الوسطى حيث أنه وفقاً للدراسات التفصيلية التي أجريت تبين أن نسبة المواليد انخفضت في مناطق Baya, Sara, M'Boum Mandjia . وغيرها من أكثر من ٥٥ في الألف إلى ٢٠ في الألف فقط في منطقة Mzakara ويعيش في هذه المنطقة الأخيرة سكان يمتون بصلة إلى الأزاندي الذين يعيشون في الكنفو والسودان

وترتفع بينهم نسبة العقم . وتتأثر أجزاء من جابون والكمرون كذلك بانخفاض نسبة الخصوبة فقد تبين من دراسة شمال الكمرون أن نسبة المواليد بين المسلمين ٢٩ في الألف فقط . وأن نسبة النساء في سن ٢٥ - ٤٥ اللاتي ليس لديهن أطفال Childlessness حوالي ٣٥ ٪ كما أن دراسة أخرى أجريت على منطقة الكمرون البريطاني (سابقاً) على جامعة Bakwari أظهرت أن نسبة العقم بينها واضحة (١) .

ومن هذا العرض المفصل تمكن استخلاص بعض الملامح منها أن انخفاض نسبة الخصوبة توجد في بعض مناطق أفريقيا المدارية بصفة عامة ، وأن هناك علاقة ما بين الموضع الجغرافي geogr. position والتعرض للاحتكاك الخارجي والموقع الجغرافي Location مثل القرب من نهري الكنغو وأويلي أو بحيرة فكتوريا وبين انخفاض نسبة الخصوبة . إلا أنه بدون المعلومات التفصيلية لا يمكن أن نصل إلى الفهم الكامل (لمكانيزم) لانخفاض الخصوبة في بعض الأجزاء والعوامل المؤثرة فيها . ولكن هناك بعض التوجيهات التي تعطى كعوامل لوجود العقم في بعض المناطق منها العوامل الفسيولوجية خصوصاً الأمراض التناسلية والعوامل الاجتماعية مثل طرق الزواج والعوامل المرتبطة بأمراض سوء التغذية (١) (يقصد بمعدل الخصوبة العام عدد المواليد بالنسبة لكل ١٠٠٠ سيدة في سن ١٥ - ٤٥ سنة) .

أما بالنسبة للوفيات فإنها مازالت مرتفعة كما سبق أن أشرنا ولكنها مرتفعة بصفة خاصة بين الأطفال فهي في الكنغو (براز) ١٨٠ في الألف وفي جابون ٢٢٩ في الألف . وبصفة عامة فإن نسبة الأطفال الذين يبلغون سن الخامسة لا يتجاوز الثلث فقط . ولا يدخل في هذا المجال الحالات الاستثنائية كالأوبئة والمجاعات والحروب كما حدث مثلاً في منطقة كويلو Kwilu بالكنغو زائير في الفترة من ٦٣ حتى ١٩٦٥ حيث انسحب الناس إلى الغابات وقت القلاقل والاضطرابات ثم عادوا بعد ذلك إلى قراهم القديمة وقد قدرت نسبة الأطفال الذين ماتوا حوالي ٥ ٪ من عدد الأطفال الذين ولدوا خارج منطقتهم الأصلية أي أثناء وجودهم

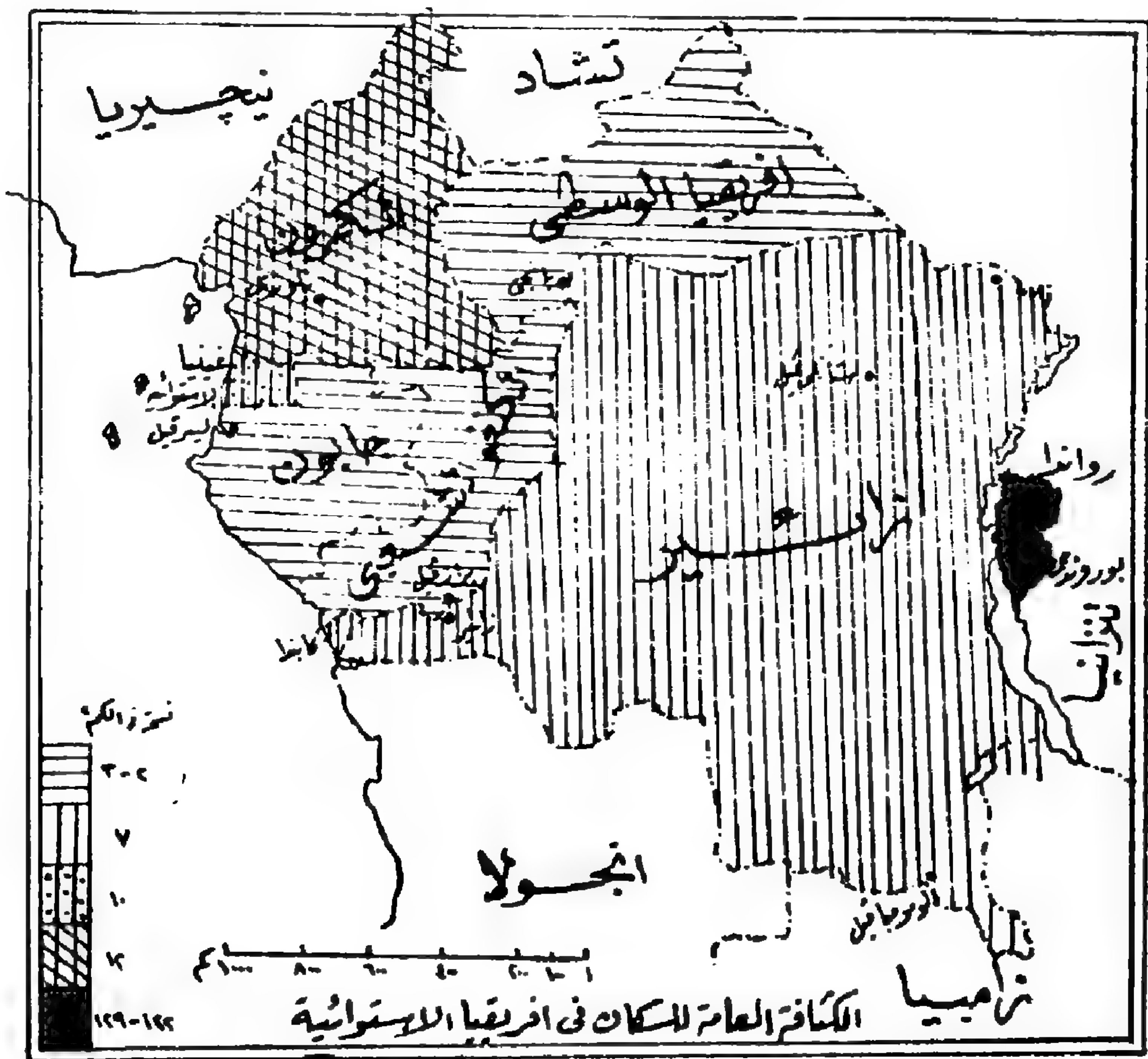
The population of Tropical Africa op. cit. p. 215.

(١)

Ibid. pp. 220, 222, 223, 216.

(٢)

في الغابات ، وثبتت الدراسة التي أجراها J. McGregor في غمبيا أن الفترة الحرجة في وفيات الأطفال هي من ٩ - ١٤ شهراً وليس كل الفترة الأولى من حياتهم . ويفسر ارتفاع نسبة وفيات الأطفال متوسط السن المنخفض بصفة عامة والذي يتراوح بين ٢٧ ، ٣٥ عاماً ولكن هذا لا يمنع من وجود أناس على قيد الحياة وهم في سن الثمانين (١) . ولهذا ينبغي الاهتمام بالأطفال والنساء الحوامل في هذه المنطقة بصفة أولى . إذ أن ذلك لا يؤدي فقط إلى انخفاض نسبة الوفيات ولكن يؤدي في نفس الوقت إلى أن الأطفال الذين يعيشون يتمتعون بصحة طيبة ، تنعكس على الإنتاج والتعليم ومجالات الحياة المختلفة بعد ذلك كذلك فإن الأطفال في هذه الأقطار تحت سن ١٤ سنة تصل نسبتهم إلى حوالي النصف وهذا يحتاج إلى الاهتمام بهم بشكل واضح ، وبصفة خاصة ينبغي القضاء على الأمراض



الوبائية التي تؤثر على الأطفال وأهمها الملاريا . هذا بالإضافة إلى الاهتمام بترقية الأحوال الصحية بصفة عامة . ولهذا ينبغي على السياسة الصحية أن تهدف إلى تحسين صحة كل المجتمع ، مع وضع أولويات مختارة على نطاق واسع ولكن ليس بصفة مطلقة تؤدي إلى اخطار ، فبدأ الأطفال والنساء الحوامل أولاً لا ينبغي أن يستحوذ على كل المزايا وإنما ينبغي أن يكون الهدف مزدوجاً بحيث يؤدي إلى تقليل نسبة الوفيات في الجماعة المعرضة للخطر بصفة عالية **High risk group** وفي نفس الوقت لتقليل نسبة الأمراض واعتلال الصحة بالنسبة للجماعات المنتجة اقتصادياً . ومثل هذه السياسة المتوازنة تؤدي إلى تخفيف حدة الضغط الناتج عن زيادة السكان على التنمية الاقتصادية وذلك عن طريق تعويض ذلك بالكفاءة الاقتصادية التي يقوم بها السكان الذين هم في سن العمل والإنتاج (٢) .

ورغم ارتفاع نسبة الوفيات فإن الزيادة الطبيعية مرتفعة وتتراوح بين ١,٥ - ٣ ٪ سنوياً . ويتراوح المعدل في الغالب بين ٢ . ٢,٥ ٪ وإذا كان المعدل ٢ ٪ فإن السكان يمكن أن يتضاعفوا خلال ٣٦ عاماً . أما إذا كان المعدل ٢,٥ ٪ فإن السكان يتضاعفوا خلال ٢٧ أو ٢٨ عاماً . وإذا عرفنا أن متوسط وفيات الأطفال على وجه الخصوص يمكن أن تنخفض بشكل واضح فإن معدل المواليد سوف يظل كما هو لفترة طويلة وبالتالي نعرف مدى سرعة نمو السكان (١) أي أن عدد سكان المنطقة الذين يبلغ عددهم الآن حوالي ٣٢ مليون نسمة يمكن أن يصبحوا عام ٢٠٠٠ حوالي ٦٤ مليون نسمة . ولكن رغم ذلك فإن المنطقة تستطيع أن تتحمل هذا العدد من السكان خصوصاً وأن الكثافة هنا منخفضة كما سبق أن أشرنا ومن ثم فإنه لا يتبقى خلال فترة الانفجار السكاني الحالية إلا أن يعمل الشباب بكل قواهم لرفع مستوى المعيشة إذ أن زيادة السكان الواضحة تلهم التقدم الاقتصادي البطيء .

وجدير بالذكر في نهاية هذا الموضوع أن تشير إلى الهجرة سواء أكانت جبراً أو اختياراً فقد حدثت في الماضي جبراً من أفريقيا إلى أمريكا . كذلك هناك الهجرة

Pop. of tropical Africa PP. 377...8.

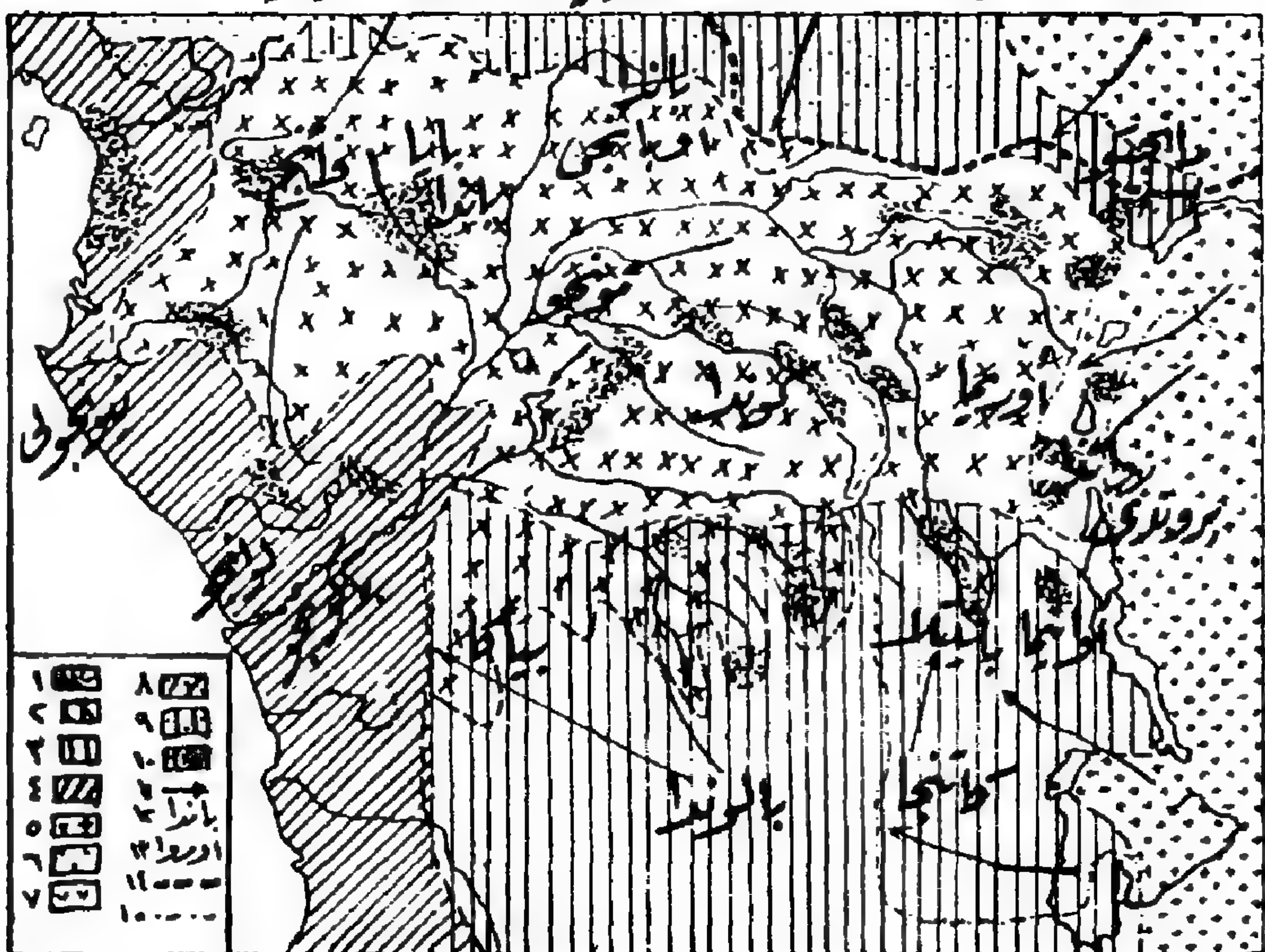
(١)

L'Afrique centrale et orientale pp. 82—3.

(٢)

الداخلية فهناك النيلوتيون والهاميون الذين اتجهوا نحو الجنوب حيث الرعي والمتكلمين بالبانوية الذين احتسروا بالغابات واشتغلوا بالزراعة . وفي نفس الوقت نجد في الوقت الحالي هجرة فصلية أو دائمة من مناطق إرتفاع الكثافة نحو مناطق أقل كثافة من رواندا إلى كيفو وأوغندا والكنغو كذلك هناك هجرة من مناطق منخفضة الكثافة والكنها فقيرة إلى مناطق اغنى رغم أنها عالية الكثافة من ذلك هجرة البندى pende والسوكو Suku والـ Tshokwe من جنوب كوانجو Kwango نحو منطقة كويلو Kwilu الغنية . ولكن هذه الهجرات المحلية

عناصر السكان في أفريقيا الاستوائية



- ١- الأقزام - بانسو الغابات - ٣- بانسو السقانا - ٤- بانسو الأطلسية
- ٥- بانسو أفريقيا الشرقية - ٦- زنوج - ٧- نيلوتية - ٨- خليط من بانسو الأطلسية والزنوج - ٩- خليط من بانسو السقانا والزنوج - ١٠- خليط من بانسو الغابات وبانسو السقانا - ١١- الاتجاهات الرئيسية للهجرات القبلية
- ١٢- أسماء القبائل الكبرى - ١٣- القبائل التي كانت في الماضي مركز المحال
- ١٤- مدار التوسع التجاري للعرب - النوبيين (١٨٧٠-١٨٨٠) Nubians
- ١٥- مدار التوسع التجاري للعرب زنجبار (١٨٧٠-١٨٩٢)

ليس لها تأثير واضح على ظهور مشكلة تكديس في المناطق التي يتجهون إليها بل أنها تؤدي إلى استغلال الموارد الاقتصادية الموجودة بها ، ولا يتبقى بعد هذا إلا الاسراع في التنمية الاقتصادية لمقابلة زيادة السكان المرتفعة .

٢ - التنمية الاقتصادية

كان النمو الاقتصادي في أفريقيا في عامي ٦٩ ، ١٩٧٠ معتدلا أو متوسطا فقد كان نمو الناتج المحلي الكلي Gross domestic product وفقا للأسعار السائدة ٤,٢٪ وفي عام ١٩٧١ قدر أن معدل النمو سيكون حوالي ٤٪ وكان من الواضح أن أفريقيا الشمالية هي المنطقة الوحيدة في أفريقيا « النامية » developing Africa ^(١) التي ترتفع فيها معدلات النمو في الناتج المحلي الكلي . هذا في حين أننا نجد أن في أفريقيا الوسطى إنخفض معدل النمو في خمس من دولها - في الناتج المحلي الكلي في عامي ٦٩٪ ١٩٧٠ عما سبق . وان كانت زائير التي تعتبر الدولة الضخمة سواء بالمساحة أو السكان في هذه المنطقة قد سجلت زيادة في النمو وصلت إلى ١٢,٤٪ . الأمر الذي رفع من نسبة النمو العام داخل المنطقة ككل وأصبح معدل النمو العام بها ٦٪ ويوضح الجدول الاتي مقارنة بين أقاليم أفريقيا (٦٩-١٩٧٠) في معدل النمو في الناتج المحلي الكلي ^(٢).

عدد الدول ومعدل نمو الناتج المحلي الكلي بها

المنطقة	بالسلب	١ إلى ٢٪	٢,١ إلى ٤٪	٤,١ إلى ٦٪	٦,١ أو أكثر
أفريقيا الشمالية	—	—	٢	٣	١
أفريقيا الغربية	٢	٢	٣	٣	٤
أفريقيا الوسطى ^(٣)	٥	١	—	٢	١
أفريقيا الشرقية	٣	١	٢	٤	٢
المجموع	١٠	٤	٧	١٢	٨

(١) يقصد بأفريقيا النامية كل دول أفريقيا ما عدا جمهورية جنوب أفريقيا.

Survey of Economic conditions op. cit. p. 1.

(٢)

(٣) يقصد بأفريقيا الوسطى هنا كل من : بوروندي ، رواندي ، رواندا ، زائير ، جابون ،

غينيا الاستوائية ، تشاد ، جمهورية أفريقيا الوسطى ، الكرون ، الكنتو الشعبي (برازا) .

وفي عام ١٩٧١ قدر النمو بالسلب بالنسبة للفترة السابقة في أربع من دول أفريقيا الوسطى في الناتج المحلي الكلي وفي دولة واحدة يزيد عن ٤٪ .

والواضح أن معدل التنمية في أفريقيا في ١٩٧٠ ، ١٩٧١ لا يختلف عنها في الستينيات ، إذ أن معدل النمو في معظم الدول حول ٤٪ ولا يزيد عن ذلك في نصف عدد دول أفريقيا فقط . ويرجع هذا في بعض الأحيان إلى الظروف غير الملائمة كالحفاف أو ظروف تجارة الحام وخصوصاً المعادن في الاسواق الدولية ، كما حدث بالنسبة للزراعة في عام ١٩٧١ وما بعدها إذ أنه رغم أن الزيادة في هذا القطاع كانت ٣,٩٪ بدلاً من ٢٪ في عام ١٩٧٠ إلا أن سيادة الحفاف في بعض الدول خفض النسبة العامة للنمو في القارة ككل . كذلك نجد أن تقلبات الأسعار العالمية أثرت على العائد من المعادن مثل النحاس الذي انخفض سعره في عام ١٩٧١ وأثر ذلك على زائير بشكل واضح ، هذا في حين أن الدول المنتجة للبترول استفادت في خلال هذا العام والأعوام التالية نتيجة لضغط منظمة (الأوبك) على الشركات الأجنبية المنتجة للبترول (١) .

وإذا ما قارنا الناتج المحلي الكلي بالنسبة للفرد في بعض أقطار أفريقيا الاستوائية بغيره من الأقطار الأفريقية أو غير الأفريقية فإننا سوف نجد تبايناً واضحاً كما يبدو في الجدول الآتي : (بالدولار الأمريكي) عام ١٩٦٦ (٢) .

الدخل الفردي	بعض دول أفريقيا الاستوائية	الدخل الفردي	بعض دول أخرى أفريقية	الدخل الفردي	دول غير أفريقية
٣٩٣٩	جابون	١٩٠	مصر	١٩٠	الولايات المتحدة
١٩٠٨	الكنغو الشعبي	٢٨٦	زامبيا	٢٨٦	المملكة المتحدة
٩٨٩	الكامرون	٦٤٥	ج. جنوب أفريقيا	٦٤٥	الاتحاد السوفيتي
	ج أفريقيا الوسطى	١١٠٩	ليبيا	١١٠٩	
	زائير	٩٢	ساحل العاج	٢٦٦	
			تونس	٢١٥	

Survey of Economic conditions op. cit. 1971, p. 2.

« « « « « « 1968, p. 5.

(١)

(٢)

والملمح الواضح في التنمية الاقتصادية في أفريقيا بصفة عامة انخفاض المستوى ليس في النواحي الاقتصادية فقط ولكن أيضاً في مستويات التنمية بصفة عامة والتي يمكن أن يطلق عليها مختلف العناصر الخاصة (بالنظام الاجتماعي) بمعنى أن تحسن الظروف الصحية والتعليمية سوف يؤدي إلى المساهمة في تحسين أوضاع أخرى تؤدي إلى زيادة «الإنجاز» وترشيده. more Efficient work performance and increased output. وتوضح الأرقام الواردة في البيان السابق الانخفاض العام لمستويات التنمية في القارة الأفريقية إذا ما قورنت بغيرها من الدول كما أن هناك اختلافات تفصيلية داخل أفريقيا نفسها كما رأينا بالنسبة لبعض دول أفريقيا الوسطى وغيرها من الدول .

ومن ناحية أخرى توضح الاحصائيات أن النمو في الإنتاج الحقيقي للفرد growth of real product يسير ببطء شديد. إذ أن الإنتاج الفردي كان في عام ١٩٦٠ = ٥٠ دولاراً فقط في إحدى وعشرين دولة أفريقية. ١٥٠ دولار في ستة عشر دولة : ٢٥٠ في ست دول فقط . وكان متوسط الزيادة السنوية للنمو في الفترة من ١٨٦٠ - ١٩٦٠ أي خلال قرن من الزمان ١٠٪ - فقط وفي المجموعة الثانية ١,٢١ أما الثالثة فكان ١,٧٢ . هذا في حين أننا لو قارنا ذلك ببريطانيا في الفترة من ١٧٨٠ حتى ١٧٨١ نجد أنه كان ١,٧٢ وكان النمو في الاتحاد السوفيتي في الفترة من ١٩١٣ حتى ١٩٥٨ = ٢,٧٠٪ .

أما في الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٦٦ فكان معدل النمو في الإنتاج الكلي بالنسبة للفرد بطيئاً ومنخفضاً في ٤٣ دولة إفريقية . وفي خمس دول لا نستطيع أن نطلق عليها أن تقدمها كان سريعاً وإنما هي في مرحلة انتقالية (١) .

وتوضح الاحصائيات أن النشاط الزراعي يكون النسبة الكبرى في الإنتاج الكلي القومي كما يبدو من الجدول الآتي : (وفقاً لأسعار ١٩٦٦) (٢) .

Survey of Economic conditions 1968. p. 7.

(١)

Ibid p. 8.

(٢)

الدولة	الزراعة	التعدين	الصناعة التحويلية
الكومون	٤٣,٩٪	١,١٪	٨,٥٪
ج أفريقيا الوسطى	٥١,٧	٥,٧	٩,١
جايون	٢٦,٧	٢٢,٤	٥,٩
الكنغو الشعبي	٣٤,٨	٦	٩,٥
الكنغو زائير	٢١,٥	٦,٤	١٦,٩

ورغم اعتماد الإنتاج القوي على النشاط الزراعي في هذه الدول إلا أن الوسائل المستخدمة في الزراعة وكذلك الطرق التي تمارس بها مازالت بدائية ويضاف إلى ذلك تعرض هذا الإنتاج للأوبئة الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى انخفاض الإنتاج بشكل واضح . ومن ناحية أخرى فإن الاعتماد على محصول واحد أو محصولين له أخطار متعددة بالنسبة للدخل القومي وذلك بسبب انخفاض الأسعار العالمية وذبذبتها من عام لآخر وينطبق هذا أيضاً على المواد الخام المعدنية التي تصدر إلى الخارج (١) .

ونتيجة للأسباب السابقة فإن نمو الإنتاج الزراعي في أفريقيا بصفة عامة وأفريقيا المدارية بصفة خاصة بطيء ومنخفض في نفس الوقت . ولقد كانت نسبة النمو في عام ١٩٧٠ في الإنتاج الزراعي لا تتجاوز ٢٪ في القارة الأفريقية (النامية) وكان هذا العام سيئاً بصفة عامة في الإنتاج الزراعي إذ أن النمو في هذا القطاع في العام السابق له (١٩٦٩) كانت ٤٪ . ورغم ذلك فلقد كانت أفريقيا الشمالية ذات نمو زراعي معقول حيث كانت نسبة النمو بها ٣,٤٪ هذا في حين أن نسبة النمو في أفريقيا الاستوائية منخفضة بشكل واضح . وفيما يلي بيان يوضح حجم الإنتاج الزراعي في أجزاء أفريقيا المختلفة من ١٩٦٧ . إلى ١٩٧٠ (مع اعتبار أن الفترة ١٩٥٦ - ١٩٥٠) (٢) .

(١) أنظر في هذا الاقتصاد الأفريقي والتجارة الخارجية - د . محمد سمودي ص ٣٥٥ - ٤٠٠ .

Hance, W. = The geography of modern
Africa. New York, 1965, P. 26.

و كذلك

المنطقة	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	نسبة النمو من ٦٩ حتى ١٩٧٠
أفريقيا الشمالية	١٣٣	١٤٨	١٤٨	١٥٣	٣,٤٪
أفريقيا الغربية	١٤٩	١٤٣	١٥٤	١٥٦	١,٣٪
أفريقيا الوسطى	١٣٣	١٣٩	١٤٤	١٤٦	١,٤٪
أفريقيا الشرقية والجنوبية ^(١)	١٤٥	١٤٧	١٥٥	١٥٨	١,٩٪
أفريقيا النامية	١٤٠	١٤٥	١٥١	١٥٤	٢-٪

ومن المقدّر أن يكون عام ١٩٧١ أفضل من العام السابق في الإنتاج الزراعي وقد رت نسبة النمو بحوالي ٣,٩٪ في افريقيا (النامية) .

أما بالنسبة للإنتاج الزراعي للفرد فأنها بطيئة النمو للإنتاج الزراعي بصفة عامة . إذ أنه إذا اعتبرنا الفترة من ٥٢ - ١٩٥٦ - ١٠٠ فإن النمو في الإنتاج الزراعي في أفريقيا الوسطى في عام ١٩٦٧ = ١٠٤ فقط أرتفعت في عام ١٩٦٨ إلى ١٠٧ وفي عام ١٩٦٩ = ١٠٩ ثم إنخفضت في عام ١٩٧٠ إلى ١٠٨ فقط . أما بالنسبة للإنتاج الغذائي فكانت النسب على التوالي ٩٣ ثم ٩٦ ثم ٩٧ في عامي ١٩٦٩ . ١٩٧٠ ومعنى ذلك أن الإنتاج الفردي في المحاصيل الغذائية قد تناقص عن سنة الأساس ولم يكن هذا في أفريقيا الوسطى فقط ولكن أيضاً في أفريقيا الغربية أما أفريقيا الشرقية والجنوبية فكان هناك نمو ضئيل وفي أفريقيا الشمالية كان هناك نمو ضئيل في عام ١٩٦٨ وتناقص في عامي ١٩٦٧ . ١٩٦٩ أما في عام ١٩٧٠ فكانت النسبة ١٠١ فقط (١) .

وإذا ما استعرضنا بالتفصيل الإنتاج الزراعي في أفريقيا الاستوائية في خلال الفترة القليلة الماضية ونسبة التغير سواء بالنقص أو بالإيجاب فأتينا نورد الجدول الآتي (٢) :

(١) الدول النامية فقط .

Survey of Economic Op. cit. P. 67.

(٢)

Ibid PP. 254...261.

(٣) جدول تجميعي من

نسبة التغير %

الدولة أو المنطقة والمحصول	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧٠/٦٩
(١) زيت النخيل (بالالف طن مترى) الكمر	٦٠	٤٦	٣٥	٤٩	١٤- %
زائير	٢٠٣	٢٤٤	٢٢٤	١٩٧	١٢- %
كل أفريقيا الوسطى	٢٧٥	٣٠٢	٢٧١	٢٤٩	٨- %
(٢) المطاط (بالالف طن مترى) زائير	٣٢	٤٠	٤١	٤٣	٥ %
الكمر	٢١	١٣	١٢	١٣	٨ %
كل أفريقيا الوسطى	٥٤	٥٤	٥٤	٥٧	٦ %
(٣) الكاكاو (بالالف طن مترى) غينيا الاستوائية	٩٣	١٠٢	١١٠	١٠٥	٥ %
كل أفريقيا الوسطى	١٣٨	١٤٥	١٥١	١٥١	١٧ %
(٤) البن (الف طن مترى) زائير	٦٠	٦٠	٦٦	٧٢	٩
الكمر	٨٠	٨٢	٨٨	٩٠	٢
كل أفريقيا الوسطى	١٩٠	١٩١	٢٠٣	٢١٧	٧

تابع الجدول السابق :

نسبة التغير %

الدولة أو المنطقة والمحصول	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧٠/٦٩
(٥) القطن (بالالف طن مترى) ج. أفريقيا الوسطى زائر	١٨	٢٢	٢٢	١٧	— ٢٣ %
الكمر	٨	١٢	٢٠	١٥	— ٢٥ %
الكمر	١٨	٢٥	٣٤	١٤	— ٥٩ %
كل أفريقيا الوسطى	٨٦	١١٩	١١٩	٨١	— ٣٢ %
(٦) الفول السوداني (بالالف طن مترى) الكمر	١٩٨	٢٠	١٨٨	١٩٥	٤
زائر	١٦٨	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	صفر
كل أفريقيا الوسطى	٥٥٦	٦٢٩	٦١١	٦٢٨	٣
(٧) البطاطا واليام (بالالف طن مترى) أفريقيا الوسطى	١,٧٩٩	١,٨١٨	٢,٠١٧	٢,٢٩٦	١٤
(٨) الكسافا (الف طن مترى) أفريقيا الوسطى	١٠,٣٧٨	١١,٩٠٩	١٤,١٢١	١٤,٧٣٦	٤

وواضح من الجدول السابق أن النمو في بعض المحاصيل الزراعية ضئيل في خلال هذه الفترة الماضية كما أن بعض المحاصيل الأخرى نموها بالسلب نتيجة للظروف الطبيعية والبشرية التي سبق أن أشرنا إليها . وفي الحقيقة فإنه يمكن أن يقال أنه بدون إجراء تحسين أساسي في الزراعة التقليدية Traditional agri. بقصد مساهمة هذا النوع من الإنتاج في التطور الصناعي في الداخل والتصدير نحو الخارج وبحيث تشكل هذه السياسة العنصر الأساسي في استراتيجية التنمية والتطوير في أفريقيا بصفة عامة فإنه من الصعوبة تطوير الاقتصاد الوطني ككل .

ولا شك أن ظروف كل دولة في الإنتاج الزراعي تختلف عن الأخرى إلا أنه ينبغي الاهتمام بتخصيص جزء مناسب من الميزانية العامة للدولة لتطوير الإنتاج الزراعي ، وأول الأمور التي ينبغي الاهتمام بها هي (تحسين المعلومات) improvement of knowledge بمعنى التعرف على المعلومات الايكولوجية والسيكولوجية والاقتصادية عن المنطقة المدروسة ، إذ أنه عند تطوير الزراعة التقليدية ينبغي أن ندرس المحصولات التي يمكن أن تزرع والأسواق المتاحة لها والعمالة وأثرها ، فإن هذه المعلومات هامة ، ضمن أشياء أخرى لتحديد الحدود التي ينبغي أن يصل إليها التوسع في خطوط الإنتاج الزراعي القائم ولوضع السياسة اللازمة للملائمة لانتقال العمل والأسعار المتغيرة ، وذلك كله سوف يصحب التطوير الزراعي إن عاجلا أو آجلا .

ويمكن تطوير الإنتاج الزراعي عن طريق تنويع المحصولات الزراعية القائمة ومدّها برأسمال والوسائل الفنية المتقدمة ويمكن استيعاب العمالة الزائدة عن الزراعة في القوى العاملة في المدن . كذلك ينبغي الاهتمام بجانب ذلك بالخدمات اللازمة مثل البذور المنتقاة والأسمدة والقروض والتسويق وجعل المزارع على اتصال مباشر بالاقتصاد الواسع المفتوح wider economy . كذلك ينبغي إعطاء الحوافز للمزارع عن طريق تسويق الفائض عن حاجته وتسهيل حصول المزارع التقليدي على السلع العادية ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق تدعيم شبكة المواصلات العامة والفرعية . فالأساس الأول الذي ينبغي للحكومات أن تقوم به هو ترغيب المزارع العادي في تحسين وسيلته في الزراعة مع تزويده بالارشادات اللازمة لتحسين هذه الوسائل . ويرتبط هذا بعملية الإصلاح الزراعي Land reform وذلك بتجميع الملكيات الصغيرة في وحدة كبيرة نسبيا ذات حجم اقتصادي معقول مع تأمين ملكية المزارعين ولكن ليس معنى الاهتمام بتطوير الزراعة التقليدية إهمال المشروعات الزراعية الكبيرة ولكن يجب بها الاهتمام بسبب ما تضيقه من إنتاج زراعي وأثرها المنعكس على قطاع الزراعة بصفة عامة . فينبغي أن تقام المشروعات الكبيرة على الأنهار ويؤدي هذا إلى خلق التعاون بين أكثر من دولة ، كذلك ينبغي أن يؤدي هذا وغيره من الإجراءات إلى زيادة التجارة بين الدول الأفريقية في المحصولات والخامات الزراعية حتى يتسع السوق المحلي وبالتالي يتطلب هذا زيادة في الإنتاج (١) .

أما فيما يتعلق بالانتاج الحيواني فإنه رغم وجود ثروة حيوانية في المنطقة إلا أن الظروف الطبيعية وما ينعكس نتيجة لها على وجود الحشرات الضارة بالحيوان خصوصاً ذبابة تسي تسي وكذلك الظروف البشرية وخصوصاً تلك المتعلقة بتربية الحيوان والعادات والتقاليد المرتبطة بها لا تجعل من هذه الثروة قوة اقتصادية ذات تأثير على الهيكل الإقتصادي ، حيث توضح الإحصائيات أن الزيادة السنوية في اللحوم والألبان في أفريقيا الاستوائية حوالي ١٪ ، ٢-٢,٥٪ فقط على التوالي بينما نلاحظ أن زيادة السكان ٢٤٪ سنوياً . ويظهر ذلك في الجدول الآتي :

(بالآلاف طن) في أفريقيا الوسطى

النوع	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	نسبة التغير في ٦٩-٧٠
اللحوم	٣٥٢	٣٦٤	٣٦٦	٣٧٠	١+
الألبان	٣٧١	٣٧٢	٣٧٨	٣٨٧	٢+
البيض	١٤	١٦	١٦	١٧	٦+

وإذا قارنا هذه النسب في أفريقيا الوسطى بغيرها من مناطق أفريقيا فانا نلاحظ أن كلا من أفريقيا الشمالية والغربية يتفوقان عليها في مجال اللحوم (٢ ، ٣٪ على التوالي) أما أفريقيا الشرقية فانها مساوية لها . أما في الألبان فان أفريقيا الشمالية ٤٪ وكل من أفريقيا الغربية والشرقية ١٪ فقط . أما بالنسبة للبيض فان أفريقيا الوسطى تأتي في المقدمة ^(١) . وكذلك الحال بالنسبة للثروة السمكية حيث أن الزيادة السنوية فيها ضئيل فقد كانت الكميات المستغلة من هذه الثروة في عام ١٩٦٧-٢٩٨ ألف طن ارتفعت في عام ١٩٦٨ إلى ٣٢٢ وفي ١٩٦٨ إلى ٣٢٧ وفي عام ١٩٧٠ إلى ٣٥٣ ويعتبر الكنغو الشعبي على رأس الدول المنتجة للأسماك في أفريقيا الاستوائية (١٢٢ ألف طن عام ١٩٧٠) وذلك إذا ما اعتبرنا أن تشاد خارج دول هذه المنطقة ثم يليها بعد ذلك الكمرون حوالي ٧١ ألف ثم زائير (١٥ ألف) ثم جابون (حوالي ١٣ ألف) .

أما فيما يتعلق بالموارد المعدنية في المنطقة فإنها غنية خصوصاً في النحاس والماس والكوبالت والزنك والرصاص والقصدير والمنجنيز والبتروول الخام ، وقد بلغت قيمة الإنتاج المعدني في جابون في عام ١٩٧٠ - ٩٦,٦ مليون دولار - أمريكي وبما يعادل ٣٢,٢ ٪ من مجموع الدخل القومي الكلي . وفي زائير بلغت قيمة الإنتاج المعدني ١٥١ مليون دولار وبما يعادل ٧,٥ ٪ من مجموع الدخل القومي . وأهم الدول المنتجة للبتروول الخام هي جابون (حراً إلى ٥,٥ ، مليون طن عام ١٩٧٠) والكنغو الشعبي بكميات ضئيلة (١٩ ألف طن في نفس العام) أما الغاز الطبيعي فتنتج جابون ٣٢ ألف متر ٢ أما الذهب فأهم منتج له في المنطقة زائير (٥,٥ طن عام ١٩٧٠) أما النحاس فتنتج زائير ١٨٥ ألف طن متري (١٩٧٠) كذلك تحتل زائير المرتبة الأولى في إنتاج الماس (١٤ مليون قيراط متري عام ١٩٧٠) وبناء على ذلك فإن دول أفريقيا الاستوائية غنية في بعض المواد المعدنية وفقيرة في بعض المعادن الأخرى . أما بالنسبة للطاقة الأولية فإن المنطقة غنية بها خصوصاً في مجال توليد الكهرباء من المساقط المائية فتوضح الإحصائيات أن مجموع الطاقة المولدة من هذا النوع في عام ١٩٧٠ - ٢,٠٩٧,٠٠٠ بما يوازي طن الفحم ، ٧,٠٧١,٠٠٠ - البتروول الخام أما الفحم والغاز الطبيعي فإن المنطقة فقيرة فيهما - وقد سبق أن أشرنا إلى تقلبات الأسعار في المواد الخام سواء الزراعية أو المعدنية وأنعكس ذلك على الدخل القومي .

وبالنسبة للصناعة التحويلية فإن أفريقيا الاستوائية من المناطق المتخلفة في هذا المجال ، وأن كانت هناك بعض الصناعات القائمة على الإنتاج المحلي المعدني والزراعي ففي الكمرون توجد صناعات السكر والأخشاب والأسمنت والزجاج أما في الكونغو الشعبي فإن أهم الصناعات النسيج والأسمنت وفي جابون تكرير البتروول والنسيج والأخشاب - ويلاحظ أن نسبة النمو السنوي في المجال الصناعي بطيئة أيضاً كما هو الحال في مجال التنمية الزراعية .

ويوضح الجدول التالي مدى مساهمة كل قطاع في الناتج القومي الكلي في الفترة من ٦٨ - ١٩٧٠ بالمليون دولار أمريكي وفقاً لعامل التكاليف الجارية .
(1) at current factor cost.

الدولة والسنة	الزراعة	التعدين	الصناعة (١) التحويلية	الأنشاءات	التجارة	النقل	المجموع وغيره
الكومرون :							
١٩٦٨	٢٩٩,٧	٢, —	١١٧	٥٠	١٣٨	٤٤	٧٨١
١٩٦٩	٣٣٤	٢, —	١٣٠	٥٦	١٥٤	٤٨	٨٦٥
١٩٧٠	٣٠٦	٢, —	١٤١	٦٢	١٧٤	٥٣	٨٩٥
ج. أفريقيا الوسطى							
١٩٦٨	٦٦	١١	٢٦	٥	٢٣	٤	١٧٥
١٩٦٩	٦٧	١٠	٢	٥	٢٦	٤	١٧٤
١٩٧٠	٥٩	٨	٢٦	٥	٢٩	٥	١٧٠
الكنغو الش.بي							
١٩٦٨	٢٨	٢, —	٢, —	٢١	٥٣	٢٧	٢٠٠
١٩٦٩	٢٨	١, —	٢٦	٢١	٥٦	٢٩	٢١٤
١٩٧٠	٢٣	١٠, —	٢٧	١٦	٥٨	٣٠	٣٢٠
جابون							
١٩٦٨	٤٤,١	٨١	١٨,٣	١٥,٨	٤٢,٨	١٣,٧	٢٥١,٦
١٩٦٩	٤٨,٥	٩٤,٧	١٩,٦	١٧,٧	٤٦,٢	١٥, —	٣٨١,٣
١٩٧٠	٥٠,٣	٩٦,٦	٢١٥	١٩,٧	٥٠, —	١٦,٣	٣٠٠,٤
غينيا الأستوائية							
١٩٦٨	٤٣	—	٣, —	٤	٤	١, —	٦٤
١٩٦٩	٤٦	—	٣, —	٤	٥	١, —	٦٩
١٩٧٠	٤٩	—	٢, —	٤	٥	١, —	٧٤
زائير							
١٩٦٨	٣٧٤,٦	١١٨,٦	٢٩٨,٣	٦٢,٢	٢٦٢,٦	١٠٤,٤	١٦٧٦,٣
١٩٦٩	٣٦٤,٢	١٢٦,٩	٣٣٠,٩	٨١,٧	٢٨٧,٩	١١٣,٣	١٧٨٥,٧
١٩٧٠	٤٢٧, —	١٥١, —	٣٧٩, —	١٠١, —	٣٢٠, —	٣٢٠, —	٢٠٠٧

(١) الانتاج الصناعى التحويل والصناعة والكهرباء .

ويتضح من الجدول السابق الملاحظات الآتية :

١ - الزيادة المستمرة في الإنتاج وإن كانت ضئيلة إلى حد ما في معظم القطاعات :

٢ - انخفاض الناتج الزراعي خلال عام ١٩٧٠ في كل من الكمرون وأفريقيا الوسطى والكنغو الشعبي عن السنتين السابقتين :

٣ - انخفاض الإنتاج التعدين في عام ١٩٧٠ في أفريقيا الوسطى وفي عام ١٩٦٩ في الكونغو الشعبي .

٤ - انخفاض الناتج من القطاع الصناعي في أفريقيا الوسطى في عام ١٩٧٠ .

٥ - تمثل جمهورية زائير منطقة اقتصادية تتمتع باقتصاد متوازن في القطاعات المختلفة كما أنها تمثل أكبر دولة في المنطقة في كل قطاع من هذه القطاعات .

٣ - علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية

أشرنا فيما سبق إلى معدلات زيادة السكان وكذلك معدلات النمو الاقتصادي ولا حظنا أن معدل المواليد مرتفع وفي نفس الوقت فإن معدل الوفيات في انخفاض مستمر نتيجة للتقدم في الخدمات الصحية العامة الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية باستمرار ، خصوصاً وأنه لا توجد حركة تهجير خارج القارة كما حدث مثلاً بالنسبة لأوروبا خلال فترة الانفجار السكاني التي مرت بها :

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين السكان والتنمية الاقتصادية فإنها قوية واضحة سواء بالنسبة لعدد السكان بالموارد الطبيعية المتاحة ، أو بالنسبة لنوع السكان ومدى استغلالهم لهذه الموارد :

وبادىء ذي بدء فإن أفريقيا الاستوائية تضم امكانيات واسعة سواء معدنية أو غابية أو زراعية ولكن هذه الامكانيات تحتاج إلى الاستغلال المنظم الرشيد (١) أي أن

(١) أنظر في هذا الصدد مقالة للمؤلف العدد الثاني من مجلة الدراسات الأفريقية عن : أفريقيا الاستوائية دراسة في الجغرافيا الطبيعية .

هذه المنطقة ما زالت غير مستغلة استغلالاً كافياً Under utilize ومن ناحية أخرى فإن إنخفاض الدخل الفردي يعوق تكوين رأس المال الداخلى الذى عن طريقه يمكن استغلال هذه الموارد خصراً وأن هناك عيوباً ومخاطر لرأس المال الأجنبى ، وهناك بالإضافة إلى هذا عديد من المشكلات التى يمكن سردها ولكنها كلها تصب فى محور واحد هو أن أفريقيا يمكن أن تكون أغنى وأكثر تقدماً إذا ما وجدت القوى العاملة الفنية ورأس المال ووسائل التكنولوجيا المتقدمة . . . الخ المطلوبة للسيطرة ولاستغلال هذه الموارد الطبيعية (١) .

ونظراً لأن أفريقيا الاستوائية لا تعتبر من المناطق الأفريقية أو غير الأفريقية كثيفة السكان ، فإن السكان من الناحية الكمية لا يشكلون عقبة أمام التنمية الاقتصادية . ومن هنا فإن المشكلة الحقيقية هى فى العلاقة بين بطء نمو التنمية الاقتصادية أمام سرعة نمو السكان كما سبق أن أشرنا . كذلك فإن المشكلة تتركز أيضاً فى عدم وجود الخبرة الفنية اللازمة لاستغلال الموارد ورغم أن الحكومات الأفريقية اتجهت فى الفترة الأخيرة إلى الإهتمام بالتوسع فى التعليم والتدريب إلا أنه يقابلها مشكلة عدم وجود الأماكن اللازمة للتعليم والتدريب نتيجة لنقص رؤس الأموال وقلة الخبرة الفنية اللازمة للتدريس والتدريب من ناحية أخرى . وتوضح الإحصاءات أن نسبة النمو السنوى فى المستويات التعليمية المختلفة فى أفريقيا الاستوائية (الوسطى) كانت كالتالى :

	١٩٦٥ - ١٩٧٠	١٩٦٠ - ١٩٦٥
إبتدائى	٨,١%	٧,٣%
ثانوى	١٨,٠%	١٦,٥%
عالى	٢٠,١%	٩,٥%

وإذا ما قارنا ذلك بالعدد الكلى للسكان فالتا نجد أنه فى المرحلة - الإبتدائية حوالى ١٤% وفى الثانوى ١,١% وفى التعليم العالى ٠,٥% فقط وذلك فى خلال عام ١٩٧٠ (٢) وتوضح لنا هذه الذب إلى أى مدى تنخفض نسبة التعليم فى هذه

Survey of Economic. 1972. op. cit. p. 27.

(١)

Survey of Economic. op. cit. p. 42.

(٢)

المنطقة في جميع المستويات بسبب الصعوبات التي سبق أن - أشرنا إليها . وينعكس النقص في عدد المتعلمين على النظم العلمية الموجودة في المنطقة حيث تفتقر إلى الكفاءات العلمية اللازمة لتطوير الإمكانيات الموجودة بها الأمر الذي يؤدي إلى عدم وجود الأجهزة العلمية المتخصصة سواء في الزراعة أو الصناعة أو غيرها فمثلا لا نجد بحوث زراعية سوى في زائير فقط ولا نجد بحوث صناعية في كل دول المنطقة وكذلك البحوث الطبية كذلك لا نجد تخطيط علمي عام سوى في الكمرون وزائير فقط . . . الخ كذلك لا توجد معاهد للتعليم العالي في كل من أفريقيا الوسطى وغينيا الاستوائية أما في الكمرون فيوجد ستة وزائير ١٥ وجابون والكنغو الشعبي واحد لكل منهما ، أما عدد الباحثين فانه ضئيل في جميع النواحي إذ أنه لا يزيد في المنطقة كلها عن ٦٤٠ باحثا (كل الوقت) و ٣٤٥ باحثا (بعض الوقت) ولو قارنا هذه المنطقة بأفريقيا الشمالية مثلا نجد اختلافاً واضحاً - ٢١١٠ ، ٢٣٨١ على التوالي مع ملاحظة أن أفريقيا الشمالية تعتبر في عداد الدول (النامية) أيضاً .

وهناك مشكلات أخرى خاصة بالتنمية الاقتصادية وعلاقتها بالسكان منها الهجرة من الريف إلى المدن خصوصاً العواصم نتيجة لوجود خدمات أفضل وفرص أكبر للعمل فيها الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تضخم هذه العواصم أكثر من اللازم وفي نفس الوقت إلى خلق المشكلات المترابطة سواء تلك الخاصة بالإسكان أو - الخدمات الصحية أو العمل (١) . . الخ هذا في حين أن الريف يحتاج إلى أيدي عاملة إذ ما تم تطوير الإنتاج الزراعي سواء عن طريق التوسع في الزراعة رأسياً أو أفقياً واستخدام الوسائل الحديثة في الإنتاج . ونتيجة لتكدس السكان في مناطق معينة أكثر من اللازم تتولد البطالة سواء الظاهرة أو المقنعة رغم انخفاض عدد السكان بصفة عامة بالنسبة للموارد المتاحة ، إذ أن نسبة البطالة في أفريقيا الوسطى بالقياس بالقوى العاملة في عام ١٩٧٠ - ١٠,١٪ وهذه نسبة مرتفعة في مجتمع لا توجد لديه حتى الآن المؤسسات الاجتماعية اللازمة للتأمينات ضد البطالة ، ومن المقدّر أن تكون هذه النسبة في عام ١٩٨٠ حوالي ٨,٣٪ وهي نسبة مرتفعة أيضاً (٢) .

(١) أنظر في هذا المجال - جمال حمدان - أفريقيا الجديدة ص ١٥٧ حجم العواصم .

Survey of Economic op. cit. p. 38.

(٢)

ونتيجة لهذه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بدأت الدول الأفريقية في وضع الخطط الشاملة منذ العقد الماضي فمثلا وضعت حكومة الكونغو زائير خطة من ٦٤ - ٦٩ تستهدف رفع الدخل القومي بنسبة ٨,٢ تحقق منها في الفترة من ٦٤ % ١٩٦٧ رفع الدخل بنسبة ٢١٣٪ وكان معدل الإنجاز خلال هذه الفترة الأخيرة ٢٨٪ فقط . وفي الكونغو الشعبي وضعت خطة ٦٣ - ١٩٦٨ لرفع الدخل القومي بمعدل ٧,٢٪ تحقق منها في الفترة من ٦٣ إلى ١٩٦٧ ٢,٤٪ - بمعدل إنجاز ٣٣٪ فقط . ويلاحظ من هذا إنخفاض نسبة النمو الفعلية في الدخل القومي بالإضافة إلى إنخفاض معدل الإنجاز حتى إذا قارنا ذلك بدولة أفريقية أخرى هي مصر إذ كانت الخطة من ٥٩ - ٦٠ إلى ٦٤ - ٦٥ تستهدف رفع الدخل القومي بنسبة ٦,٨٪ وتحقق فعلا خلال هذه الخطة رفع الدخل بنسبة ٧٪ وكانت نسبة الإنجاز ١٠٣٪ ويرجع هذا اختلافا ظروف كل دولة عن الأخرى في النظام الإداري والكادر العلمي والفني ونوعية تكوين رأس المال إذ أن التخطيط المؤثر والفعال يعتمد على الكفاءة الإدارية المتقدمة Highly developed administrative capacity بالإضافة إلى المعرفة الكاملة والتفهم الشامل للاقتصاد الأفريقي ، ويعتمد بجانب ذلك على تحديد وتقييم وإنجاز المشروعات النوعية individual projects بطريقة متكاملة وهذه المتطلبات تعتمد بلا شك على الحكومات ، كما أنها تحتاج أيضاً إلى الأفراد المتخصصين في هذا المجال . وقد أشرنا إلى تخلف أفريقيا بصفة عامة وأفريقيا الاستوائية بصفة خاصة في الخبرة الفنية ولهذا لا نندهش إذا ما تم تنفيذ هذه المشروعات بطريقة خاطئة أو غير كاملة ، ولكن هذا لا يمنع من القول من أن التخطيط خدم مجالات متعددة سواء في التعليم أو الخبرة العملية التي تعتبر من الأسس الهامة في أي ظروف من الظروف للتنمية الشاملة . ويعاب على الخطط الأفريقية أنها ذات مراحل طويلة كما أنها طموحة أكثر من اللازم ولذا فإنه ينبغي أن تكون الخطط قصيرة ولكن ذات معدل نمو مرتفع وفي نفس الوقت تؤدي إلى نمو سريع وقوى في المدى الطويل .

وتعطي الدراسة السريعة للخطط الأفريقية إنطباعاً بأن الزراعة فيها لا تحظى بما ينبغي أن يكون لها ، إذ أنه بالرغم من أن هناك بنود تشير إلى أنها خاصة بالزراعة إلا أنه بمراجعة الاستثمارات الفعلية نجد أن الزراعة لا يخصصها جزء

ملائم ، مع أن الزراعة في أفريقيا عموماً هي الأساس الاقتصادي كما سبق أن أشرنا . هذا في حين أن الصناعة تحظى بنصيب كبير ، ومن هنا نأتى إلى النقطة الأساسية وهي تحسين المعلومات أو المعرفة - الاقتصادية العامة عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية في كل دولة improving general economic knowledge

إذ أنه على الرغم من أن الإنتاج الزراعى ما زال يكون الجزء الأعظم من الدخل القومى الكلى وكذلك في قيمة الصادرات في معظم الدول الأفريقية إلا أن الدخل الفردى في المناطق الريفية ما زال منخفضاً للغاية ، ولهذا نخلص إلى النتيجة الهامة الآتية وهي أنه بالرغم من عديد المشروعات التى تجرى تنفيذها الآن أو التى اكتملت فإن التقدم الريفى ما زال أقل مما ينبغى أن يكون لحل المشكلات المرتبطة به . وقد حدد مؤتمر التنمية الريفية الذى انعقد في غرب أفريقيا ، بعد مؤتمر مماثل خاص بدول أفريقيا الوسطى ، في عام ١٩٧٠ بأن التنمية الريفية Rural development يقصد بها (عملية إيجاد تغيرات كمية ونوعية بين سكان منطقة ريفية تؤدي إلى تحسين ظروف الحياة للسكان عن طريق كفاءة إنتاجية متزايدة) وهذه التغيرات الكمية والنوعية هي التى تحاول الحكومات الأفريقية في الوقت الحالى تنفيذها في المناطق الريفية ولكن هذه المحاولة ينبغى أن تكثف وتزداد مع إيجاد المشاركة الفعالة من جانب السكان لتحقيقها . مع مراعاة أن تكون هذه المشروعات والبرامج متكاملة وليست منعزلة Integrate Rural development الكى تؤتى ثمارها المطلوبة .

وإذا كان هذا الاتجاه يمكن تنفيذه في مناطق محددة ومحدودة إلا أنه من الصعب تنفيذه على مستوى الدولة بأكملها ولذا فإن الاتجاه الأمثل في هذا المجال هو اتباع مبدأ المشروعات الشاملة Overall projects مع التركيز على التطوير الريفى في نفس الوقت . وبلا شك فإن هذا التطوير سوف تنعكس فائدته على نواحي الحياة المختلفة وكذلك على السكان الذين يعيشون في المنطقة بحيث تتغير المفاهيم الاجتماعية السائدة لديهم ، وخصوصاً مفهوم الأسرة القليلة العدد المتقدمة اقتصادياً واجتماعياً . وأنه لمن الواضح أنه سوف يأتى قريباً ذلك اليوم الذى يجعل فيه الدول الأفريقية اتجاهات السكان الموضوع الأساسى والشامل

في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي وليس مجرد بند يؤخذ في الاعتبار في خططها، وهناك دول عديدة في العالم تبني الآن هذا الاتجاه خصوصاً وأنه من ضمن قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة أنها أعطت للأمم المتحدة إمكانية تقديم الخدمات المعاونة والتدريب على إنشاء البرامج في مجال السكان إذا ما طلبت الدول التي تحتاج إلى معونات في هذا المجال (١).

د . السعيد البدوي

أنظر التفصيل في هذا المجال في :

(1) The population of trop.

Afric pp. 197, 333, 360.

Survey of Economic P. 210.

وكذلك

أضواء جديدة على تاريخ مدينة قسنطينة

(في ضوء ثلاث مخطوطات - بدار الوثائق بالرباط)

للدكتور شوقي عطا الله الجمل

THE HISTORY OF CONSTANTINE IN THE LIGHT OF THREE MANUSCRIPTS IN THE ARCHIEVE DEPARTMENT-RABAT MOROCO.

By

Dr. SHAWKY EL GAMAL

Constantine is one of the most important towns in Algeria because of its strategic situation.

It was always in the way of the political waves that blew upon that part of Africa.

Its history thus is a vital picture of the accidents that took place in North Africa.

This paper is based on three manuscripts in the archieve Department in Rabat, Moroco.

1. El' Antary, Mohamed Saleh :

The events of the Turkish occupation to constantine.

2. Ibn Saleh Bay, Ahmed Ibn Ismail :

A short account about the days of Saleh Bay El Azmerly.

3. Ibn El 'Anttari, Ahmad Ibn El Mobarek :

The history of the town of Constantine.

The three manuscripts are dealing with the history of Constantine during the Turkish Rule and the beginning of the French occupation to Algeria (1518—1847).

The three Authors had their own parts in the events of that period.

This paper gives an analytic study to three worth manuscripts related to a Critical period in the history of North Africa, specially that of the City of Constantine, documented and interpreted by three maps and reproduced specimens of the said manuscripts.

أولا - لمحة عن تاريخ قسنطينة

مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية التي احتفظت أكثر من غيرها بطابعها الإسلامي ومظهرها العربي ، ولأهميتها التاريخية ، والاستراتيجية اختارها كما نعلم الزعيم الفرنسي (ديجول) لإلقاء خطابه الذي أعلن فيه مخططة الجزائرى الإقتصادى الذى ارتبط منذ ذلك التاريخ باسم قسنطينة فأصبح يعرف باسم (مشروع قسنطينة) (١)

ولموقعها الحصين هذا ولقربها من المغرب الأدنى كانت دائماً في مهب التيارات السياسية المختلفة التي هبت على المنطقة كلها ، كما كانت مثاراً للتنافس بين الأسر الحاكمة في المغرب الأدنى ، والأوسط بل والأقصى أيضاً - فتاريخها في الواقع صورة صادقة الأحداث التي ألمت بالشمال الأفريقى كله .

تمتد جذور هذا التاريخ إلى النفوذ الفينيقي في الشمال الأفريقى ، كما شهدت قسنطينة صوراً من الكفاح بين القرطاجنيين والرومان ، ذلك الكفاح الذى استمر ، أكثر من قرن من الزمن ، وانتهى بالقضاء على السلطان السياسى للفينيقيين وإحراق (قرطاج) نفسها عام ١٤٦ ق . م . وإن كان الأثر الفينيقي الحضارى لم ينمح من شمال أفريقيا قط .

وأصبحت قسنطينة عاصمة لولاية (نوميديّة) ، واهتم الرومان بإعداد وتمهيد الطريق ما بين مدينة (قرطاج) ووادي (شليف) ماراً بقسنطينة ، وسطيف ، فسور الغزلان التي تطلق عليها المراجع الأجنبية اسم أومال Aumale (٢)

وانتقلت المسيحية إلى هذه البلاد وانتشرت بها كما في غيرها من بلدان الشمال الأفريقى التي وجد سكانها في مبادئ الديانة المسيحية ما يكفل لهم حياة أفضل وحقوقاً

(١) يشير أحد بن المبارك العطار (الملقب بالقسنطيني) في مخطوطه تاريخ بلاد قسنطينة إلى الخلاف حول الشخصية التي بنت (قسنطينة) ، وسنوضح هذه النقطة في حينها عند دراستنا للمخطوط .
(٢) للدراسة التفصيلية انظر : جوليان ، شارل اندري : تاريخ أفريقيا الشمالية (تعريب مزالي ، بن سلامة) تونس (١٩٦٩) ص ١٤٦ وما بعدها « ونفس المرجع عن تأسيس مدن سطيف (stifis) ر اومال (أوزيه) ص ٣٢ ، ١٨٠ .

كانت تحرمهم روما منها ، ولكن قاومت روما هذه الحركة الجديدة ، وقد أوقفت حركة الاضطهاد الديني حين اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية (٣٠٥م) .
لكن عاد الاضطهاد على أشده بسبب الخلاف الذي حدث بين كنيسة روما والكنيسة الأفريقية .

وأدى ضعف سلطة الرومان بشمال أفريقيا إلى أن طمع الفندال في أملاكهم بهذه الجهات فاكثروا الشمال الأفريقي وقضوا على الإمبراطورية الرومانية وملبوا نفوذهم في عام (٤٣٠ م) حتى مدينة (عنابة) ثم سقطت (قرطاج) بعد ذلك في أيديهم .

وقد عاشت الإمبراطورية الفندالية ما يقرب من قرن من الزمان ثم استولى البيزنطيون على الشمال الأفريقي فكان بمثابة إرجاع لسلطة روما على هذه البلاد ، وقد أُرهِق البيزنطيون الأهالي بالضرائب الباهظة بالإضافة إلى الاضطهاد الديني لإجبارهم على اعتناق المذهب الكاثوليكي - مما أدى لاشتعال نار الثورة ضدهم خاصة في الأماكن الصحراوية البعيدة .

وكان استيلاء المسلمين على مصر عام (٦٤١) م إيذانا بامتداد سلطانهم غرباً ، صوب بلاد الشمال الأفريقي ، فتوالى حملاتهم على هذه البلاد .

وكان أول غزو لأفريقية (تونس) في عهد عثمان بن عفان . فقد أرسلت حملة بقيادة (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) عامل مصر ، واستطاعت هذه الحملة أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج ، وتم الصلح بين الطرفين بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة .

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان - جهز جيشاً ضخماً من عشرة آلاف مقاتل انتفى (بالبربر) والبيزنطيين وتوغل الجيش الإسلامي في تونس .

وفي عام (٦٦٦) م أعطيت قيادة الجيش في الشمال الأفريقي (لعقبة بن نافع الفهري) فبنى مدينة (القيروان) في قلب البلاد التونسية ، وذلك ليطلع الفتح بطابع الاستقرار فكانت هذه بمثابة الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إسلامية بهذه البلاد (١) هـ

(١) الجليلي ، عبد الرحمن بن محمد : تاريخ الجزائر العام (الجزائر ١٩٥٤) ج ١ ص ١٤٨ ،

وفي خلافة يزيد بن معاوية - أنتدب (عقبة بن نافع) مرة أخرى سنة (٦٨١ م) لإمارة أفريقية فأخذ يعد العدة للاستيلاء على الشمال الأفريقي كله ، فسار في فتوحه صوب المغرب الأقصى ، وعُرج في طريقه على (تلمسان) ودخل (طنجة) واحتل مدن المغرب ، وتقدم إلى التحوم حتى بلغ المحيط الأطلسي ، فبلغ عقبة بن نافع في غزواته إلى (السوس الأدنى) و (السوس الأقصى) ، ويقال إنه أدخل فرسه حتى بلغ الماء لب الفرس ، وشهر القائد سيفه ورفع بصره إلى السماء وهو يقول :
واللهم لولا هذا البحر لبقيت في البلاد أقاتل الكفر حتى لا يعبد أحد سواك « (١).

ولكن حدث في أثناء عودة عقبة وبعض رجاله - وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين - أن ثار عليهم البيزنطيون والبربر ، وعلى رأسهم زعيمهم (كسيلة) فأوقعوا بهم عند مدينة (تهوده) بالقرب من (مسكرة) وقتلوه ، وكان ذلك في عام (٦٣ هـ - ٦٨٢ م) ودفن عقبة هناك ولا يزال قبره - كما يقول ابن خلدون - قائماً إلى الجنوب الشرقي من مدينة مسكرة يزوره الناس لليوم تبركاً ، وبعد هذه الواقعة سار (كسيلة) إلى القيروان فاستولى عليها وقامت دولة بربرية جديدة استمرت حوالي ست سنوات (٢).

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان - أرسلت حملة استطاعت أن تقضي على (كسيلة) الزعيم البربري ، وأرسل عبد الملك بن مروان في عام (٧٦ هـ - ٦٩٥ م) حملة أخرى بقيادة (حسان بن النعمان) لمتابعة الفتح (٣).

وسار (حسان بن النعمان) إلى (القيروان) ثم هاجم (قرطاج) براً ، وبحراً واستولى عليها ، لكن اصطدمت قوات حسان بقوات البربر عند (واد سكثانة) بعمالة قسنطينة بزعامة امرأة بربرية تدعى (الكاهنة) (٤).

(١) الجليلي : مرجع سابق ج ١ ص ١٥٢ - وكذلك الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب (قطعة منه حققها المنجي الكعبي) (تونس ١٩٦٨) ص ٤٤ وما بعدها.

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٧ .

(٣) اختلف المؤرخون العرب في تحديد تاريخ هذه الحملة ، فبعض الكتب العربية ترجعها إلى عام ٥٧٣ هـ ، وبعضها ترجعها إلى ٧٩ هـ ، ولكن الأرجح أنها ترجع لعام ٧٦ هـ حسبما جاء في أغلب ما كتبه مؤرخو الروم .

(٤) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٢١ (نشر دوزي) =

وقصة هذا الصدام بين المسلمين والكاهنة ، وما أصاب البلاد من تخريب وتدمير على أيديها يرويها لنا أيضاً الحاج أحمد بن المبارك العطار في مخطوطه وسنشير لذلك عند معالجتنا للمخطوط المذكور (١) .

وانتهى أمر الكاهنة بقتلها ... كما سنوضح ودخل البربر بعد ذلك في الاسلام وكان منهم اثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين ، وعقد لابن الكاهنة الأكبر على قومه من (جراوة) الى جبل (أوراس) ، وكان ذلك في رمضان سنة (٨٢ هـ - ٧٠١ م) (٢) :

= وابن حذارى المراكشي الذي يفصل لنا احداث هذه الفترة - هو ابو العباس أحمد بن محمد وقد عاش سنة (٧١٢ هـ - ١٢١٢ م) .

وقد نشر دوزي الجزء الأول من الكتاب المتعلق بتاريخ المغرب إلى قيام دولة المرابطين ، ونشر الجزء الثاني (القسم الأول منه الخاص ببلاد الأندلس حتى وفاة ابن أبي عامر وهو جزء مبتور) بليدن فيما بين عامي ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ ، كما نشرت في بيروت سنة ١٩٥٠ طبعة مقيمة .

ونشر (ليون بروفنسال و كولان ، جورج) - ١ ، ٢ بليدن مصححاً من مخطوط مغربي عثر عليه أما - ٢ (قطعة أخرى) فقد نشرها بروفنسال من مخطوط يقاس ، وقد ظن بروفنسال إنها الجزء الثالث ، وهي خاصة بتاريخ الأندلس من موت ابن أبي عامر إلى ٤٦٠ هـ بينما يذكر المؤلف أنه وصل حتى ٤٧٨ هـ فلا تزال إذا (١٨) سنة ناقصة .

وفيما بين ١٩٦٠ ، ١٩٦٩ نشرت كلية الآداب بالرباط الجزء الثالث المتعلق بتاريخ الأندلس والمغرب العربي من انتهاء دولة المرابطين إلى عام (٦١٧) بمثابة المستشرق امبروسى وثى مراندا ومحمد بن تاريت ، ومحمد ابراهيم الكتاني من مخطوط عثر عليها الكتاني في زاوية تامكروت الناصرية .

(١) أحمد بن المبارك العطار : تاريخ بلاد قسنطينة (المخطوط ص ٢٥٨) .

(٢) تاريخ ابن خلدون - ٦ ص ١٠٩ .

المنجى الكعبي : تحقيق الرقيق القيرواني - قطعة من كتاب تاريخ أفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨) ص (٦٤) .

ملاحظة : كان للكاهنة ولدان هما (قويدر) ، (يابين) . وقد إنفرد بذكر إسمهما الرقيق القيرواني . . أنظر : الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب (قطعة محققة بمعرفة المنجى الكعبي تونس ١٩٦٨) ص ٥٨ . والمعروف أن كتاب الرقيق القيرواني الذي أصبح منذ القرن السادس عمدة المؤرخين عن أخبار شمال أفريقية والمغرب ، والذي نقل منه ابن حذارى ، والنويرى ، وابن خلدون ، والحسن الوزان ، و التيجاني وغيرهم - قد فقد بعد القرن الثامن الهجرى .

والقيرواني اشتغل بديوان الرسائل في البلاط الصنهاجى مدى نصف وعشرين سنة (انظر مقدمة القطعة المنشورة من كتابه) .

هذا وقد تأثر مسلمو الشمال الأفريقي بالأحداث التي ألمت بالعالم الإسلامي بعد مقتل الخليفين عثمان وعلي - خاصة بعد أن فر فريق من الخوارج إلى الشمال الأفريقي فأخذوا يبنون أفكارهم بين البربر ، وكانت أكثر مذاهب الخوارج انتشاراً في هذه البلاد مذهب (الصفريّة) و (الاباضية) ، وقد استقلت بعض القبائل الجزائرية تحت إمارات أباضية تمركزت في بعض مدن وفيافي الجزائر (١) .

ولما زالت دولة بني أمية - وآلت الخلافة إلى بني العباس - أدى هذا الانقلاب إلى خروج الشمال الأفريقي كله من نفوذ الخلافة العباسية باستثناء تونس التي أصبحت تحت سيطرة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦ هـ) (٨٠٠ - ٩٠٩ م) (٢) .

ووجدت الدعوة الشيعية بيئة صالحة للظهور ، فتنامت (دولة الإدارة) العلوية بالمغرب الأقصى ، وبايعت قبائل (زنّقة) إدريس الأول بالإمامة في ٤ رمضان سنة (١٧٢ هـ - ٧٨٩ م) في بلده (ويلي) (٣) .

وبعد أن استقر الأمر للأدراسة بالمغرب الأقصى - زحفوا على المغرب الأوسط (الجزائر) فدانت لهم ، وأسس الأدراسة مدينة (فاس) واتخذوها عاصمة لهم (٤) .

(١) الصفريّة : أتباع زياد بن الأصفر ، والبعض يرجع التسمية إلى صناعة الصفر ، أي النحاس أما الاباضية : فهم أتباع عبد الله أباض التميمي ، والبعض يرجع نسبهم إلى (أباض) وهي قرية بأرض اليمامة .

(٢) سالم : المغرب الكبير - ٢ ص ٣٦٤ وما بعدها ، ابن خلدون - ٤ ص ٤١٩ .

ملاحظة : اتخذ إبراهيم بن الأغلب مدينة (القيروان) عاصمة لولايتيه ، لكنه أسس سنة ١٨٥٠ جنوب القيروان مدينة سماها (العباسية) وانتقل إليها بأهله وذلك تعبيرا عن ولائه للعباسيين .

أنظر سالم : المغرب الكبير - ٢ ص ٣٧٥ .

(٣) ابن عذاري - ١ ص ١٠١ ، الاستقصاء - ١ ص ١٥٢ .

(٤) اختلفت الآراء حول تأسيس مدينة فاس وتاريخ هذا العمل .

وقد جمع Blachere كل بيانات الجغرافيين عن فاس في مقال بعنوان « فاس عند الجغرافيين العرب - في المصور الوسطى » في مجلة Hesperis الجزء الثامن عشر سنة ١٩٢٤ ص ٤١ إلى ٤٨ . وقد أفاض في ذلك على بن أبي زرع الفاسي : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ١٩٧٣) .

ويبدو أن (فاس) مدينتان أحدهما بناها إدريس الأول سنة ١٧٢ هـ والأخرى بناها إدريس الثاني بالقرب من المدينة الأولى وأصبح اسم (فاس) يطلق على المدينتين معاً .

وقد ظهرت على مسرح الأحداث بالشمال الأفريقي دولة شيعية جديدة هي (الدولة العبيدية - الفاطمية) التي تنسب إلى عبيد الله المهدي الشيعي مؤسس هذه الدولة بالمغرب، وكان ابتداء ظهور هذه الدعوة الشيعية بالجزائر حوالي سنة (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) بواسطة الدعاة الذين كان ظهورهم لأول مرة بناحية قسنطينة (فج الأنخيار)، وقد استطاع أبو عبد الله المحتسب الصنعائي الشيعي الداعية الأكبر لهذه الدعوة الشيعية أن يوقع بالأغلبة فاستولى على سطيف وقسنطينة وسائر بلاد الجزائر الشرقية (١).

واحتل القيروان سنة (٨٩٦ هـ - ٩٠٩ م) وتقدم إلى (رقادة) عاصمة الأغلبة فاستولى عليها وقضى على دولة الأغلبة، وجاء عبيد الله المهدي فاختار مكاناً حصيناً على الشاطئ الشرقي في تونس حيث بنى عاصمة ملكه التي سماها (المهدية) (٢).

واستطاع العبيديون بعد ذلك فتح الجزائر الغربية، كما استطاعوا إخماد الثورة التي أشعلتها قبيلة (زناته) التي ساء لها اعتماد أبو عبد الله على قبيلتي (كتامة) و(صنهاجة) وتميزه ذماً - إلا أن العبيديين اتجهوا بانظارهم نحو الشرق فاستولوا على مصر وبنوا مدينة (القاهرة).

وفي ٥ رمضان ٣٦٢ هـ (٩ يونيو ٩٧٣ م) دخل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله القاهرة - بينما ترك الأمر في الشمال الأفريقي للصنهاجيين المواليين جزاء مساعدتهم للفاطميين فعهد الفاطميون (لبلكين بن زيري بن مغار الصنهاجي) بالإمارة على

(١) أبو عبيد الله الصنعائي - سمي بالمحتسب لأنه كان ولي الحسبة، والصنعائي لأنه جاء من اليمن. وفج (الأنخيار) المكان الذي اختاره قرب قسنطينة لجمع الاتباع، خاصة من قبيلة كتامة التي عرفت بكثرة عددها وصلابة عودها - لعله مكان حصين في الجبال المحيطة بقسنطينة، وكذا أطلق عليه (دار الهجرة).

أنظر البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (باريس ١٩١١) ص ٦١، ٦٤،
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٩.

(٢) رقادة : بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب في جنوب القيروان (٢٦٣ هـ - ٨٧٦ م)

أنظر - ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث (تحقيق العبادي، وإبراهيم الكتاني) ص ٢٦، ٤٥.

المغرب باستثناء طرابلس ، ومضارب قبيلة (كتامة) التي كانت هي الأخرى^١ موالية للفاطميين ، وكانت مدينة (سطيف) هي أكبر مراكز هذه القبيلة ، ولقبه الخليفة بلقب (سيف الدولة) وكان ذلك يوم (٢٥ ذى الحجة ٣٦١ هـ - ٤ أكتوبر ٩٧٢ م) وكانت هذه بداية الدولة الزيرية الصنهاجية بهذه الجهات :

وحين ثارت قبيلة (كتامة) التي كانت ترى أنها أولى من (صنهاجة) في أخذ الإمارة لما قدمته للدولة الفاطمية من خدمات ، لم يتأخر (المنصور بن بلكين) الذي أخذ الإمارة بعد وفاة والده في عام (٣٧٣ هـ - ٩٨٤ م) - عن مقاتلتها ، فحاصر أتباعها في مدينة (ميله) القريبة من قسنطينة ، كما دخل (سطيف) أكبر مراكز كتامة وعين بكل من المدينتين خليفة عنه .

على أن الدولة الزيرية الصنهاجية لم تلبث أن انقسمت إلى إمارتين إحداهما شرقية قاعدتها (القيروان) والأخرى غربية كانت (لبني حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي) وقاعدتها (القلعة) التي أنشأها حماد في عام (٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م) وقد شملت هذه الدولة الغربية تقريباً حدود عمالة الجزائر وقسنطينة المعهودة اليوم .

وقد تعرضت قسنطينة للنهب والتخريب بسبب غارات (بني هلال) ، وكان الخليفة المستنصر الفاطمي قد شجع هذه القبائل من (بني هلال) و (بني سليم) على الهجرة إلى المغرب وعقد لرؤسائهم على أمصار البلاد وثغورها .

ورغم أن الزحف الهلالي كان موجهاً أصلاً صوب تونس فقد امتدت موجة الزحف وحاصروا قسنطينة وأستولوا عليها وعلى (القلعة) ونهبوا هذه البلاد وخربوها^(١) . وقد تأثرت الدولة الحمادية - بقيام دولة المرابطين (أو الملثمين) التي أسسها (يوسف بن تاشفين) في المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط حتى مدينة (الجزائر) وأسس مدينة (مراکش) سنة (١٠٦٩ م) واتخذها عاصمة له ، هذا على أن اتجاه المرابطين لاسبانية قد أتاح فرصة لبقاء الدولة الحمادية حتى انتهى أمرها على يد الموحدين في (٥٤٦ هـ - ١١٥٣ م)^(٢) .

(١) يقال أن هذه القبائل وزعت على الجهات المختلفة بسبب إغاراتها وتعدياتها المستمرة . أنظر - - سن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (١٩٦٨) - ج ٤ ص ٦٢٨ .

(٢) للدراسة التفصيلية للمرابطين ، ونشاطهم في شمال أفريقيا . أنظر - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القاهرة ١٩٦٤) .

ويرجع تأسيس الدولة الموحدية الى (محمد بن تومرت) المغربي الذي ادعى أنه (المهدي المنتظر) ، ودعا الى تخليص الدين من الشوائب ، وخلفه تلميذه (عبد المؤمن بن علي) في رمضان سنة ٥٢٤ هـ (١) .

وبعد أن ثبتت أقدام عبد المؤمن في الملك شرع في بسط نفوذه على أنحاء المغرب الأوسط ، فاستولى على ولاية (تلمسان) بعد أن هزم جيش المرابطين بها ، ثم تقدم نحو الشرق ، فاستولى على ولاية (بجاية) ، ثم اتجه إلى قسنطينة وحاصرها فاستسلم يحيى بن العزيز آخر ملوك بني حماد في عام (٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م) .

وفي عام (١١٥٦) سقط ميناء بونة (عنابة) ، وبذلك بسط المرحدون نفوذهم على الجزائر كلها ، ثم مدوا نفوذهم إلى تونس ، وقد قام أحد المرابطين للمرابطين ويدعى (ابن غانية) بحركة مناوئة للمرحدين في الجزائر الشرقية ، وتونس وحاصر هذا الثائر قسنطينة لكنه لم يقو على فتحها ، وتمكن (يعقوب المنصور) المرحدي أن يهزمه . على أن وفاة يعقوب المنصور سنة ١١٩٨ ثم هزيمة المسلمين في (وقعة العقاب) بالأندلس سنة (٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م) كانت إيذانا بانتهاء الدولة الموحدية التي ظلت تمثل وحدة الشمال الأفريقي طيلة قرن ونصف قرن تقريبا .

وكان ذلك إيذانا بتفتت المغرب فظهرت ثلاث دول هي :

الدولة المرينية - في المغرب الأقصى (٢)

الدولة الزيانية - في المغرب الأوسط

الدولة الحفصية - في تونس (٣)

(١) تضاربت الروايات حول ظروف تولية (عبد المؤمن)

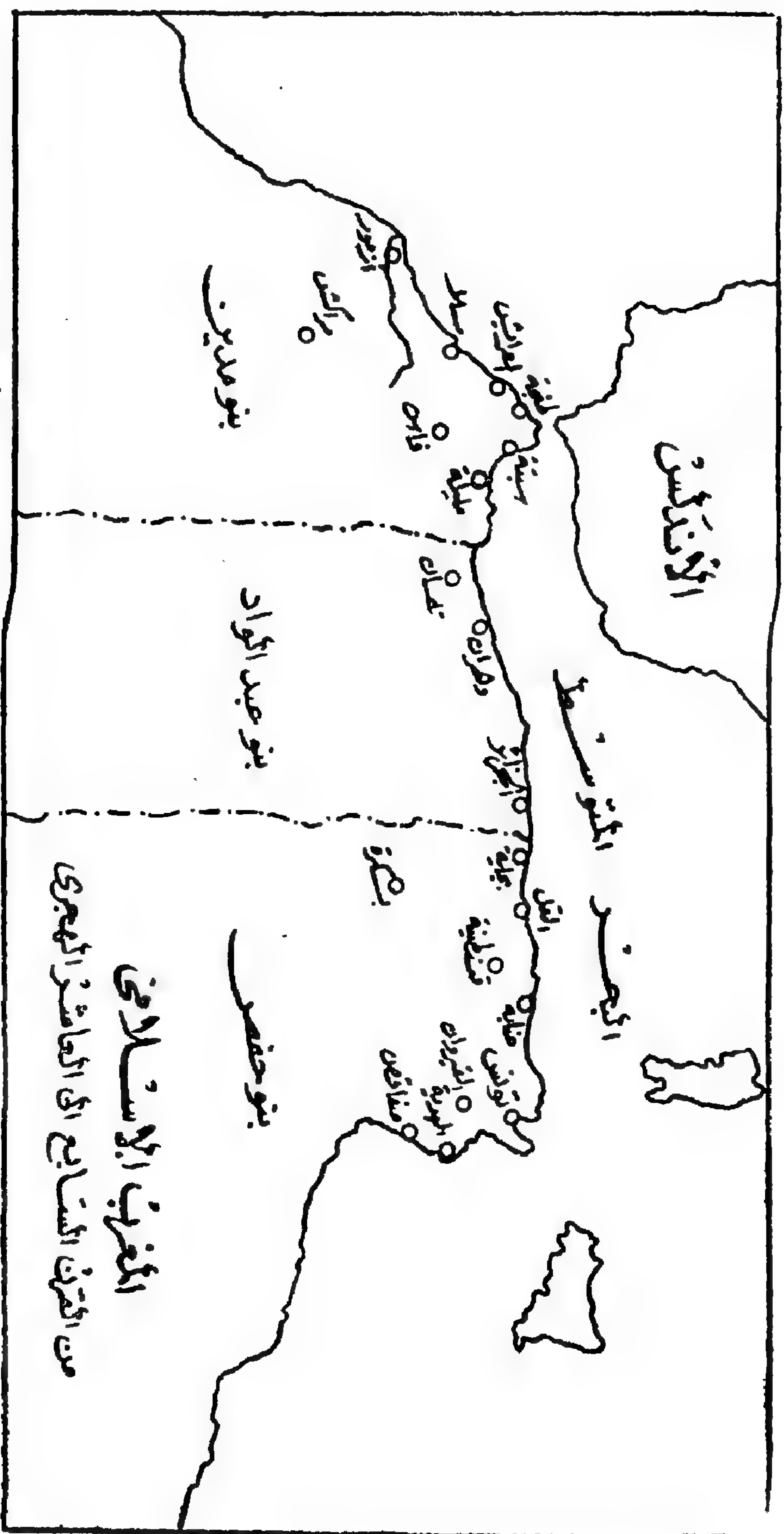
أنظر - محمد عبد الله عنان : المرجع السابق القسم الأول ص ٢١٩ ما بعدها .

(٢) بنو مرين : هم فخذ من بطون قبيلة زناتة البربرية .

(٣) الحفصيون (٦٢٥ - ٩٤١ هـ) (١٢٢٨ - ١٥٣٤ م) هم فرع من الموحدين ، ينتسبون

إلى الشيخ أبي حفص يحيى بن عمر ، وكان للشيخ أبي حفص دور في نشر دعوة المهدي محمد بن تومرت

أنظر - الجليلي : مرجع سابق ص ٢٠ (٧ - ٦٨) .



شكل (٢١)

وقد استطاع الحفصيون أن يسيطروا نفوذهم على المقاطعات الجزائرية المجاورة لهم غربا على أن الأمر لم يستقر للحفصيين وحدهم ، فقد نازعهم المرينيون أيضاً في السلطان على المغرب الأوسط .

وهكذا أصبحت هذه المقاطعات بحكم موقعها تارة تابعة لتونس وأخرى تتبع المغرب الأقصى ، ويتخبط البلد الذي تتبع له أمير أخاضعاه بحكمها - ودامت كذلك حتى الحكم العثماني .

وقد أشار الشيخ الحاج أحمد بن المبارك العطار في مخطوطه إلى هذه الظاهرة (١) وارجع إليها سبب عدم التقدم أو التجديد في الجزائر - كما ستوضح بعد .



وقد أدى الضعف والتفكك الذي أصاب المسلمين في الشمال الأفريقي إلى أن أصبحت هذه البلاد مطمعا للدول الأجنبية التي اتجهت أنظارها إليها لموقعها الهام (البرتغال والأسبان على وجه الخصوص) .

وحين أصبح (عروج) صاحب النفوذ في الجزائر ، مد نفوذه إلى إمارة (تلمسان) ، الزيرية عام ١٥١٧ . فأثار ذلك الأسبان الذين كانت انظارهم متجهة إلى هذه المناطق الحيوية فقامت حروب حامية بين الطرفين انتهت بقتل عروج سنة (١٥١٨) فتولى الأمر من بعده أخوه خير الدين الذي اشتهر بلقب (بارباروس) (٢) . ورأى خير الدين أن يعلن ولاءه للسلطان العثماني الذي كان في ذلك الوقت يمثل القوة العظمى في العالم الإسلامي ، وانعم عليه السلطان بلقب بكركبك (أمير الأمراء) فكان هذا بداية لصفحة جديدة في تاريخ شمال أفريقيا كله (٣) .

وأصبح خير الدين صاحب النفوذ الحقيقي في البحر المتوسط ، وقد استدعاه السلطان سليم بعد ذلك وولاه إمارة الأسطول العثماني بالإضافة إلى وظيفته في الجزائر وانعم عليه بلقب باشا ، ومن ذلك التاريخ أصبح معظم (البكركبكات) يجمعون بين وظيفتهم في الجزائر ومنصب قبطان الأسطول العثماني ، ولذا كانوا

(١) أحمد بن المبارك العطار : تاريخ بلد قسنطينة (المخطوط) ص ٢٥٩ .

(٢) هناك غموض واختلاف فيما يتعلق بتاريخهما المبكر لكنهما بعد ذلك مارسا القرصنة في البحر المتوسط ضد السفن المسيحية .

(٣) فارس ، محمد خير : تاريخ الجزائر الحديث (بيروت ١٩٦٩) ص ٢٣ .

يمارسون سلطتهم في الجزائر بانفسهم مباشرة أو عن طريق بعض اعوانهم (١) .

وبعد سنة (١٥٨٧) ، أخذت استانبول ترسل إلى الجزائر ولاية بلقب (باشا) وكانت مدة حكم الباشا ثلاث سنوات ويعاونه في الحكم (الديوان) الذي كان يتألف من رؤساء الجند ، لكن حين ضعفت الدولة العثمانية وأصبحت السلطة فيها بيد الجنود (الانكشارية) انتقلت هذه الفوضى إلى الشمال الأفريقي فأصبحت السلطة بيد رؤساء الأغوات الذين كانوا منذ عام (١٦٥٩) يختارون أحدهم ليحكم لفترة معينة ثم بعد ذلك يعينون واحدا بدلا منه .

وقد وضع رؤساء الجند حداً لهذه الفوضى فاستولوا على السلطة ، ونصبوا واحداً منهم واليا على البلاد بلقب (داي) وأكففت الدولة العثمانية بإرسال الخلع للداي ، وكانت تمنحه لقب باشا باعتباره ممثلاً لها ، وكان الداى ينتخب لمدى الحياة ، ويساعده في الحكم مجلس استشارى من كبار الموظفين .

وقد أطلق على هذا المجلس اسم (الديوان) (٢) .

وهكذا يمكن تقسيم تاريخ الجزائر في ظل الحكم العثماني إلى اربع مراحل :

١ -- مرحلة البكلاويكوات من ١٥١٨ إلى ١٥٨٧

٢ -- مرحلة الباشوات من ١٥٨٧ إلى ١٦٥٩

٣ -- مرحلة الأغوات من ١٦٥٩ إلى ١٦٧١

٤ -- مرحلة الدايات من ١٦٧١ إلى ١٨٣٠

وكانت الجزائر مقسمة إلى ثلاث ولايات (بيكليات) على كل منها حاكم

(باي) يعينه الداى - وهذه (البيكليات) هي :

(١) ابن ابى الضياف ، أحمد : اتخاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان (تونس

١٩٦٧) - ص ٣ .

ملاحظة : أحمد بن ابى الضياف وزير تونس ، تولى عدة وظائف فكان وزيراً للقلم ومن أعضاء مجلس الشورى . واعتمد عليه (محمد الصادق باي) في شرح القانون الأساسى المسمى بعهد الامان - واشتهر بفزارة علمه ، فؤلفه هذا من أحسن وأدق ما كتب في مجاله حيث أنه كان معاصراً للأحداث وشارك فيها وقد توفي في ١٢٩١ هـ .

(٢) كلمة (داي) معناها الأمير وهى لفظ يشير للتعظيم .

انظر - ابن ابى الضياف ، أحمد : مرجع سابق - ص ٢٠١٧ .

بايلك الشرق - مركزه قسنطينة ويمتد حتى حدود تونس :
بايلك الغرب - مركزه المعسكر ثم نقلت العاصمة الى وهران
بايلك تيطرى - مركزه المديّة .

والبيلك يضم عادة عدة قبائل على رأسها (قواد) بينهم (الباي) ، وهم يعينون بدورهم (الشيوخ) المكلفين بإدارة شئون القبيلة .

هذا ونشير الى أنه أنتشرت في الجزائر في هذه الحقبة - الطرق الدينيّة (القادرية) بالذات كما انتشرت القرصنة في البحر المتوسط وأصبحت تمثل مورداً هاماً من موارد الدولة اذ كان للدولة نصيب من دخل القراصنة ، كما نشير أيضاً لتكرن الصورة كاملة - انى أنه كان بها (أى بالجزائر) عدد كبير من اليهود وكانوا يحتكرون التجارة الداخلية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية في البلد .

ودرستنا هذه قائمة على أساس ثلاث مخطوطات هامة تناولت الحديث عن قسنطينة^(١)

ثانياً - تعريف بالمخطوطات الثلاثة التي تناولت تاريخ قسنطينة

١ - مخطوط ابن العنرى

محمد الصالح بن العنرى : الأخبار المبينة لإستيلاء الترك على قسنطينة
وهو في ٢٠٧ من القطع المتوسط .

والكاتب يعرف بنفسه في ص ١٠٣ من المخطوط المذكور ، فوالده (محمد بن العنرى) كان كاتباً لدى الحاج احمد باى قسنطينة وقت غزو الفرنسيين للجزائر ، فلما تقدم الفرنسيون من (عنابة) صوب قسنطينة ، ارسلوا (ولد بوجناح)^(٢) من

(١) المخطوطات الثلاثة في دار الوثائق بالرباط ، وقد جمعت في مجلد واحد اذ أن الدار اتبعت عند تصنيف وثائقها هذه الطريقة (طريقة المجاميع) فتجمع الوثائق التي يكتشف انها تتناول موضوع واحد في مجموعة واحدة .

وقد رقت الوثائق الثلاث بأرقام مسلسلة هي التي أشرنا إليها ، هنا هذا على الرغم من أن الوثائق لثلاثة كتاب مختلفين وبمخطوط مختلفة متباينة كل التباين من ناحية الكتابة ونوع الحبر وجودة الخط ، والميل للثائق والزخرفة في الكتابة من عدمها .

وفي المجلد ترجمة فرنسية خطية لبعض أجزاء هذه المخطوطات ، بعضها للأصف عمات مع هوامش المخطوط بطريقة أساءت إليه .

(٢) ورد الاسم هكذا في المخطوط لكن بمض الكتاب الفرنسيين كتبوه بوشناخ (Bushnach) -

أنظر julien, Charles- André ; Histoire de l'Algerie Contemporaine p. p. 11,12

كبار يهود الجزائر للباي بقسنطينة يدعونه للتسليم والصلح ، فأوفد كاتبه (محمد بن العنترى) ليتحدث مع الفرنسيين ، وفي نفس الوقت يأتيه بالأخبار ، وانتهى الأمر — كما سنفصل في حينه — بأن اتهم اتباع الباي هذا الكاتب بعد عودته بأنه يتحدث عن قوة الفرنسيين ليرهب الناس ويخيفهم لانه أخذ رشوة من الأعداء فمات مسموماً . أما الكاتب نفسه فقد كان أثناء كتابته لمؤلفه هذا يشغل وظيفة كاتب في الإدارة الفرنسية بقسنطينة ، ولاه إياها القبطان (بوسنة) الذي كان يشغل وظيفة (متولى أمور العرب) بقسنطينة ، وهكذا فإن الكاتب كان مطلعاً على الكثير من الأحداث التي ألمت بقسنطينة بحكم الوظيفة التي تقلدها أبوه ثم التي تقلدها هو فيما بعد ، كما نخبرنا أنه في مؤلفه هذا « رجع إلى عقود الأملاك والظهورات من دار سيدى الشيخ ابن الفكون ، ومن دار ابن كمجك على ، وعلى يد سى الحاج أحمد بن المبارك المفتى . وعلى يد أولاد سيدى معمر وغير ذلك » (١) .

وبلاحظ أن الشيخ (ابن الفكون) كان من العلماء الذين عاصروا أحداث هذه الفترة وشاركوا فيها ، فقد كان الملاجأ الذى يركض إليه الأهالي عندما كانت تنزل بهم نازلة ليسترشلوا برأية وليجدوا عنده الحبل لكل مشكله تعرض لهم (٢) .

أما الفترة الزمنية التي يتناولها الكاتب في حديثه فهي تبدأ من بداية الحكم التركي في هذه البلاد وتنتهى بعام ١٨٤٦ — وكان يشرف على شؤون قسنطينة في ذلك الوقت الجنرال بيدو الفرنسى (Bedeau) ، والمعروف أن هذا الجنرال قضى في شمال أفريقيا من عام ١٨٣٧ إلى عام ١٨٤٧ (٣) .

(١) المخطوط ١٩٨ .

(٢) سنعرض عند تحليلنا للمخطوط للمواقف المختلفة التي وقفها الشيخ (ابن الفكون) . ويشير الشيخ (أحمد بن المبارك المضار) في مخطوطه عن تاريخ قسنطينة الذي سنعرض له هنا إلى أنه حين دخل الأتراك قسنطينة كان أمير ركب الحجاز هو سيدى عبد المؤمن لكنه رفض هو وأهل حومة باب الحاية الخضوع للأتراك ، وظل كذلك ثلاث سنين حتى تحايلا عليه بالمكر والخداع وتمكنوا منه وقتلوه وردوا المشيخة إلى الشيخ (ابن الفكون) فكان يمضى بالركب كما كان يمضى سلفه .

وجعلوا له مكانه عظيمة وميزات أصبح يتمتع بها هو وذريته من بعده .

Julein, Charles André : op. cit., P. 326.

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد مالك
 الملك بقدرته ومكون الأكوان بإرادته ومرسل الرسل
 لأرشد عبده سبحانه جل وعلا في ملكوته لأرباب غيره
 ولا متخوفين سواه وإليه يرجع الأمر كله **والله**
 كانت الأخبار الشائعة والأثار السالفة يحتاج كل السالك
 الحائز إليها ونسب الذكي الفاهم بطالعها انقضى
 الخيال إن لك قريحة لطيفة وشدة مستحسنة خريفة لمن
 أراد هادن ذوي العقول المراجعة وجلساء السلاطين **و**
 والملايك العاصرين فالرمت نفسي لقرع هذا الباب
 واستعند فكري بما رتبته مني أو لا يكره الأحياء **و** تسبيتها

٢ - مخطوط أحمد بن اسماعيل بن صالح باي

أحمد بن اسماعيل بن صالح باي: ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باي الازميرلي بولاية الجزائر .

هذا المخطوط يشغل الصفحات التي رقت في هذه المجموعة من ص ٢٠٩ إلى ٢٢٢ وتلي ذلك ترجمة فرنسية خطية تستغرق الصفحات حتى ٢٤٠ ، والمترجم للمخطوط غير مذكور اسمه .

والمخطوط بخط مغربي ، وعلى هوامش المخطوط ذاته ترجمة فرنسية خطية لبعض عباراته لعلها بخط المترجم الفرنسي الذي جمعها في نهاية المخطوط .

وصالح باي الازميرلي المذكور كان قد قلده الداي محمد عثمان باشا وظيفة باي على قسنطينة سنة (١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م) واستمر فيها إلى أن عزل بأمر داي الجزائر الجديد في عام (١٢٠٦ هـ) . وعين مكانه (إبراهيم باي برصبع) ، ولكن صالح باي استطاع أن يوقع بالباي الجديد ويقتله ومن قدم معه من (الجزائر) ، لكن باشا الجزائر لما وصله الخبر أرسل بايا آخر هو (حسين باي ابن حسن باشا برحمتك) فتمكن من قتل صالح باي ، وكانت مدة ولايته (صالح باي) في قسنطينة اثنين وعشرين عاما ، وهذا يوضح أهمية الفترة التي حكم فيها (صالح باي) في تاريخ قسنطينة (١) .

ولم يشر كاتب المخطوط عن دوافع تسجيله لهذه الأحداث أو عن المصدر الذي استقى منه معلوماته - لكن يبدو من اسمه أن الأمر يتعلق بجده (صالح باي) .

وأهمية المخطوط ترجع إلى أنه يعطي صورة واضحة عن كثير من الأحداث المتعلقة بولاية قسنطينة في ذلك العهد ، وما كان يتبع عند توليه باي جديد ، وعلاقة بايات قسنطينة بباشا الجزائر

(١) يشير المخطوط إلى الظروف التي أحاطت بعزل (صالح باي) وقتله وسنوضحها فيما بعد لأهميتها في إعطاء صورة عن النظام الإداري في هذه الفترات وما أرتبط به من أحداث أو إلى اضطراب حيل الأمن والنظام .

ولنحاول تحليل بعض الأحداث التي أشار إليها المخطوط :

— الحدود بين تونس والجزائر : يشير إلى أن المناوشات والمنازعات كانت مستمرة بين البلدين لعدم وجود حدود طبيعية فاصلة بينهما ، ولأن القبائل الضاربة على الحدود لم تكن تعترف بالفواصل المصطنعة ، فقد كانت بعض القبائل تهرب من قسنطينة لتونس لسبب أو لآخر ، و لذلك فقد نزل (صالح باي) إلى الأقاليم الفاصلة بين تونس وقسنطينة ليعتقب الذين فروا من وطنه ، ولما وصل ذلك إلى علم (باي تونس) أرسل كاتبه (إبن عبد العزيز) ليجتمع مع صالح باي ليعرف سبب قلدومه .

وقد أرسل (صالح باي) مبعوثاً من طرفه (محمد خوجه) لاسترجاع الفارين إلى تونس . ويعطى لنا كتيب المخطوط صورة عن الدار التي نزل بها هذا المبعوث في تونس ، كيف أنها كانت مفروشة (بالزراي) والوسائد المذهبة ومعدة بأواني النحاس والفضة للشرب وغسل اليدين ، وكيف يسر له واني تونس مهمته ، وأنه في نهاية الزيارة زوده بهدية ثمينة له وأخرى لصالح باي .

لكنه يشير إلى شيء طريف ، وهو أن (محمد خوجه) هذا كان يتصف بالطمع ففي أثناء عر دته جمع ما في دار الضيافة هذه من الأدوات والأدوات والفرش وحمله على بغال ورجع إلى بلده (١) .

— الظروف التي تحيط بتولييه بايات قسنطينة : أطنب الكاتب في شرح الظروف التي أحاطت بعزل (صالح باي) ثم قبله ، وفي أثناء حديثه هذا أشار إلى أشياء كثيرة هامة منها إشارته إلى (الدنوش) ويقصد به إتجاه الباى للجزائر لتقديم المال اللازم (للخزينة) العامة هناك (الزمة) أى المال الملزم به الباى وما يتبع ذلك من التزامات أخرى ، وقد أشار إلى هذا الأمر كل من تعرض للحديث عن قسنطينة وسنشرحه بالتفصيل عند تحليلنا لمخطوط ابن العنترى (٢) .

وينحدث أحمد بن إسماعيل بن صالح باي عما حدث من خلاف بين (صالح باي)

(١) المخطوط ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

هذا ويذكر ابن العنترى أن باي تونس كان يتسلم القفطان (شارات الحكم) من باي قسنطينة ، بعد أن يقع عليه الاختيار من باشا الجزائر - أنظر مخطوط ابن العنترى : ص ١٠٠ .

(٢) أنظر مخطوط ابن العنترى (ص ١٩) وكذلك تحليلنا للمخطوط المذكور .

و (الخزناجى) أى المسؤول عن الخزنة فى الجزائر وما ترتب على ذلك من أحداث .

فيذكر أن (صالح باى) توجه للجزائر (بالدنوش) فسلم (اللزمة) ثم ما يتبعها من متعلقات دار السلطان ، ثم شرع فى تفريق (العوائد) لأرباب الدولة أى ما اعتادوا أخذه ، ويعدد ما قدمه فى ذلك الوقت للخزناجى (خسة آلاف محبوب ، وحصان ، وبغال جيدة ، وتمر ، وسمن ، وبرانس ، وسبح مرجان ، وعنبر ، وعطر ، وملابس محلاة بالذهب) لكنه اعتبرها أقل من الواجب تقدمه فرفضها فشكاه صالح باى لباشا الجزائر فأمر بضم هذه الهدايا للخزينة الأميرية — وبعد ذلك ورد لصالح باى مندوب من طرف باشا الجزائر ينبئه بأن الباشا أمر بقتل (الخزناجى) وتولية غيره مكانه .

هذا أمر كان عاديا عندهم كما ذكرنا ، وكانوا يمارسونه بيسر مع كل شخص غير مرضى عنه . كما يعطى صورة عما يتبع عند توليه باشا جديد فى الجزائر إذ يلزم أن يتوجه الباي للتهنئة ، فلما ذهب صالح باى رحب به وألبس (عمامة) وقدمت له هدايا ، وبعد ذلك ذهب صالح باى لخلف الجهات التابعة له لجمع (البابلك) أى المال المطلوب لتصريف شؤون الولاية ، كما ذهب للتفتيش على البنائين الذين استجلبهم لبناء القنطرة .

— ويوضح أن الرضع تغير بالنسبة لصالح باى بعد أن تولى باشا آخر فى الجزائر وأنه بلغه أن إبراهيم (قائد الزمالة) (٢) ، قد عين بدله بايا على قسنطينة فخشى أن يصل لقسنطينة ويقتله بأمر باشا الجزائر كما كان معتاداً فاخترتاً .

— ويشرح لنا المخطوط ما كان يتبع عند وصول (باى) الجديد : إذ يجتمع بالديوان ويطلعهم على خطاب باشا الجزائر بتعيينه ، ثم يذهب إلى الدار المخصصة للبايات ، ويدخل عليه أرباب الدولة ووجوهها لتهنئته .

ويشرح كيف دبر صالح باى حيلة قضى بها على (إبراهيم باى) بواسطة

(١) المخطوط ص ٢١٣ .

(٢) هو المتولى الشؤون المتعلقة بالعرب ، ويصحب الباي فى تنقلاته— أنظر مخطوط ابن

العتري — ص ٢٤ .

بماليكه ، ولم يكف بذلك بل قتل جميع أتباعه من الفرسان الذين أتوا معه (١) .

ويوضح لنا كاتب المخطوط رد الفعل لهذه الأحداث في الجزائر ، فقد عين باشا الجزائر بايا آنخر (حسين باي) وأرسل كتابا إلى ديوان المحلة بتسليمه وإلى أهل البلد ليمسكوا بصالح باي .

وقد حاول صالح باي أن يكسب الأتراك إلى جانبه فوزع عليهم الأموال بسخاء (أعطى كلهم مائة محبوب ذهباً سكة مصر) ، لكنهم بعد أن أخذوا ماله تفرقوا عنه ، كما أن الديوان بعد اطلاعه على خطاب الباشا أعلن مضمونه لشيخ البلد وللعلماء .

وامسك الحند (بصالح باي) — رغم أن شيخ البلد (السيد عبد الرحمن) كان قد منحه الأمان واصعد إلى دار (الاغا) بالقصبة حيث قتل هو وجميع من كانوا معه . ثم دخل الديوان دار الباي لفحص (الخزنة) والأمتعة (٢) .

— حفل تنصيب الباي الجديد : يعطي المخطوط صورة عما يتبع في هذه المناسبة حيث يلبس الباي القفطان بحضرة الديوان وكبار الأتراك وأعيان البلد ، ثم يقرأ منشور الباشا ، ويذهب الباي بعد ذلك إلى (دار الباي) ويجلس على سرير ملكه ليتقبل تهناتي العظماء والعلماء .

— عمل وكيل الخرج : هو المسؤول عن جمع المال ، ويوضح المخطوط العملة المستعملة في ذلك الوقت (الأوبلة البسيطة ، والدور بمدفع ، والمحبوب المصرية والسلطاني الجزائري والدبلوني ، والمربطة ، والمسرغ ، والمبرشي) — وقد ينوب وكيل الخرج عن الباي في الذهاب لتقديم (اللازمة) للجزائر .

— طريقة التخلص من البايات غير المرغوب فيهم : يوضح المخطوط كيف أن (حسين باي) بعد أن تولى الولاية عامين وأربعة أشهر — ظهر عجزه فعزل وقتل كما كان متبعاً .

(١) المخطوط ص ٢١٤ - ٢١٦ .

(٢) المخطوط ص ٢٢١ .

٣ - مخطوط أحمد بن المبارك بن العطار

أحمد بن المبارك بن العطار القسطنطيني : تاريخ بلاد قسطنطينة (مخطوط بدار الوثائق بالرباط ١٢٨٤ هـ - ١٨٧٠ م .

يعطى المخطوط صورة عن مدينة قسطنطينة قديماً وحديثاً ، فيصف مبانيها الهامة ومرافقها وموارد المياه بها ويذكر انه كانت بالمدينة سبع قناطر ، وقد هدمت جميعها واندثرت ، لكن (صالح باي) بنى قنطرة جديدة ، ويذكر أن السبب في هدم القناطر غير مؤكد تماماً - هل هو طول الزمن أم هدمتها كاهنة البربر ، والمياه كانت تجلب للمدينة من عين تعرف باسم عين (بومرزوق) . كما كان بها برج مرتفع جداً بأعلاه (فزار) ينظره أهل ميناء (بجاية) وهكذا رغم محاولات غزوها المتعددة فلم يستطع عدو في الماضي دخولها ويرجح أن ذلك يرجع بالإضافة لتحصيناتها إلى (رصد بها من عمل الحكماء) (١) .

- الحروب بين المسلمين والكاهنة : يذكر أن الرطان الأفريقي كان عامراً بحيث أن السائر لا يسير نصف يوم في موضع قفر خال من العمار ، ولا بيت إلا في مدينة أو قرية - لكنه يرجع السبب فيما أصاب البلاد من تخريب إلى الكاهنة . وذلك أنه لما قدم جيش المسلمين مع الأمير (حسان بن النعمان الغداني) فتح (قرطاج) وهزم (البربر) هزيمة شنيعة فهربوا إلى برقة ورجع هر إلى القيروان ، لكنه علم أن امرأة ساحرة يقال لها (الكاهنة) تتحصن بجبال (اوراس) مع عدد عظيم من البربر فسار إليها والتي الجمعان وأقتلوا قتالا شديداً ومات من العرب عدد كبير ، وانهمزم حسان فتبعته الكاهنة إلى أن وصل إلى قرب (طرابلس) وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان .

وكتب حسان إلى عبد الملك يخبره عما لقي المسلمون من الكاهنة ، فأمره الخليفة بالبقاء حيث هو حتى يأتيه المدد ، فأقام خمسة أعوام ، ملكت الكاهنة خلالها أفريقية ، وأمرت اتباعها بتخريب المدائن وقطع الأشجار لأن العرب - كما قالت لاتباعها - يطلبون المدن والذهب والتمضة وأما البربر فيطلبون المزارع ، فلانجاة لهم إلا بتخريب أفريقية ليأمن منها العرب ، فخربت (فاغاي) و (تهويده) و (متارين) ومدن كثيرة أخرى وجميع الحصون والقرى .

(١) المخطوط ص ٢٤٨ - ٢٥٢ .

وحاصرت قسطنطينة وهدمت بعض قناطرها ومعاقلها الخارجية ولم تقدر على الدخول في المدينة ، ويذكر أن هذه الكاهنة كان لها تابع من الجن يخبرها بكل شيء وكانت تنشر شعر رأسها . لكن كان لها - ابن أسلم وظل يتحين الفرص ليقتل أمه . وأن المسلمين بقسطنطينة كتبوا لحسان أن يسرع بالقدوم إليهم بالجيوش ، ووضعوا الكتاب في (عرد السرج) وركب رسول فسلم الكتاب لحسان فأتاهم بالجنود واقتل العرب والبربر قتالا شديداً وماتت الكاهنة وبعث حسان برأسها إلى عبد الملك بن مروان ، وبعد ذلك دخل البربر في الإسلام وكان منهم اثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين (١) .

ويعلل كاتب المخطوط السبب في عدم تجديد مباني قسطنطينة وتعميرها وإعادة بناء حصونها . . بأنها كانت دائماً خاضعة لملاك آخرين ولم تستقل بنفسها إلا فترة قصيرة ، فقد وضعت تحت طاعة ملوك مراکش من الملتحمين المرابطين والموحدين وبنى مرين وتارة تحت طاعة سلاطين تونس الحفصيين إلى أن دخلها الأتراك العثمانيون (٢) .

ويعطى المخطوط صوراً من تاريخ قسطنطينة فتحدث مثلاً عن :

- غزو بني مرين لها : يشير كاتب المخطوط إلى أن (أبو عنان فارس المريني) ١٣٤٨ - ١٣٥٨ غزاها من (بونة) وحاصرها بجنود كثيرة ، وقوة عظيمة وقطع عنها المياه واقسم ألا ينصرف عنها إلا بعد أن يجعل عاليها داخلها .. فلما تضرر أهلها من العطش لجأوا إلى أحد الأولياء الصالحين (سيدي علي بن مخلوف) ، وتضرعوا بين يديه أن يبتل إلى الله ليزيل عنهم هذه الغمة ، فدعى الله تعالى فأرسل مطراً عظيماً - فعاد النهر إلى مجراه ثم تم الصلح بين الفريقين ، واتفق على أن يدخل السلطان المريني وجماعة قليلة من أتباعه ليبر يمينه ثم بعد ذلك يذهب عنهم (٣) .

- قسطنطينة في ظل الحكم التركي : يشير المخطوط إلى أنه لما تمكن الأتراك من الحرائر ، وقويت شركتهم وضعفت دولة (بني مرين) بالمغرب ، ودولة بني حماد (بيجاية) عاثت القبائل العربية بالفساد في الأرض ، وكانت هناك منافسة بين العرب والأتراك ، وقبائل (نجع المناقشة) على قسطنطينة ، فاتفق على أن

(١) المخطوط ص ٢٥٤ - ٢٥٨ .

(٢) المخطوط ص ٢٥٩ .

(٣) المخطوط ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

تدخل قسنطينة تحت النفوذ التركي على أن يكون تصريف الأمور بيد الباي العثماني وشيخ العرب وشيخ تجمع المناقشة ، فلما دخل الأتراك قسنطينة قاموا ببناء القلعة التي كانت بسطح المقصورة .

وكانت ولاية قسنطينة لأولاد (فرحات باي) ، لكن لما ظهر عجزهم وضعفهم عن مقاومة العربان وغيرهم من الخارجيين على النظام ، عين عليها حاكم تركي من عساكر الجزائر يقال له (حسين بوكية) (١) .

وتعاقب بعد ذلك البايات على حكم قسنطينة ، وقد تتبع الكاتب هؤلاء البايات وما تم في عهد كل منهم من أحداث ، ففي عهد (حسن باي بوجنك) - ورغم أن هذه الفترة حفلت بأحداث الحروب ضد تونس - تمت كثير من الأعمال العمرانية ، في مقدمتها بناء (الجامع الأخضر) ووقعت عليه أوقف تفي بمطالباته ، وبعد حسن باي حكم (حسين باي زرق عينه) وقد حفل عهده أيضاً بالمعارك ضد تونس (٢) .

ونخلفه (أحمد باي) وهو جد الحاج أحمد آخر بايات قسنطينة ، وفي عهده حدثت (وقعة قليسة) ، فقد خرجت القبائل في منطقة جبال (قليسة) عن طاعة السلطان وقطعوا الطرق فخرج إليهم أحمد باي ، كما خرجت محلة (قوة حربية) من الجزائر - لكن استطاعت هذه القبائل الثائرة أن تهزم هذه القوة وقامت عدداً كبيراً من رجالها (٣) .

وتوفي صالح باي عام (١١٨٥) ويذكر كاتب المخطوط أن عهده كان عهد رخاء فيه غرست البساتين ومهدت الشوارع ، وبُنيت قنطرة في قسنطينة ودام حكمه نحو اثنتين وعشرين سنة سعد فيها الناس ، ويذكر أن باشا الجزائر عزله بسبب الوشابة ، وعين مكانه (إبراهيم بوصبع) .

ويشرح الكاتب كيف أن (إبراهيم باي) أمن (صالح باي) وخيره بين أن يبقى معه في قسنطينة مكرماً أو أن يرحل بأهل بيته وأمواله إلى الحرمين الشريفين ، ولكن (صالح باي) لم يلبث أن دبر مكيدته قتل بها (إبراهيم باي) ومن جاء معه ، وصرح بخروجه عن طاعة الجزائر (٤) .

(١) المخطوط ص ٢٩٢ .

(٢) المخطوط ص ٢٩٨ .

(٣) المخطوط ص ٣١٧ .

(٤) المخطوط ص ٣١٩ - ص ٣٢٤ .

فلما وصل الأمر إلى باشا الجزائر ولي (حسين ولد حسن باشا بوحنك) باياً على قسنطينة وأمدّه بجيش كبير ، وكان بين حسين باي هذا وبين قبائل (المقاتية) ، وبينه وبين شيخ العرب مصاهرة — فخرج عدد كبير من العرب لمساندته ، ولما وصل قرب قسنطينة أرسل (بظهير الولاية) إلى الديوان وأغا المحلة فانفضوا جميعاً من حول (صالح باي) — وإنتهى الأمر بالقبض على (صالح باي) وقتله (١) .

ونزل حسين باي إلى (المحلة) على عادة الولاية ودخل قسنطينة وتم له الأمر وقد ختم المخطوط بالحديث عن نهاية (صالح باي) وتولية حسين باي الأمر في قسنطينة في عام (١٢٠٧ هـ) .

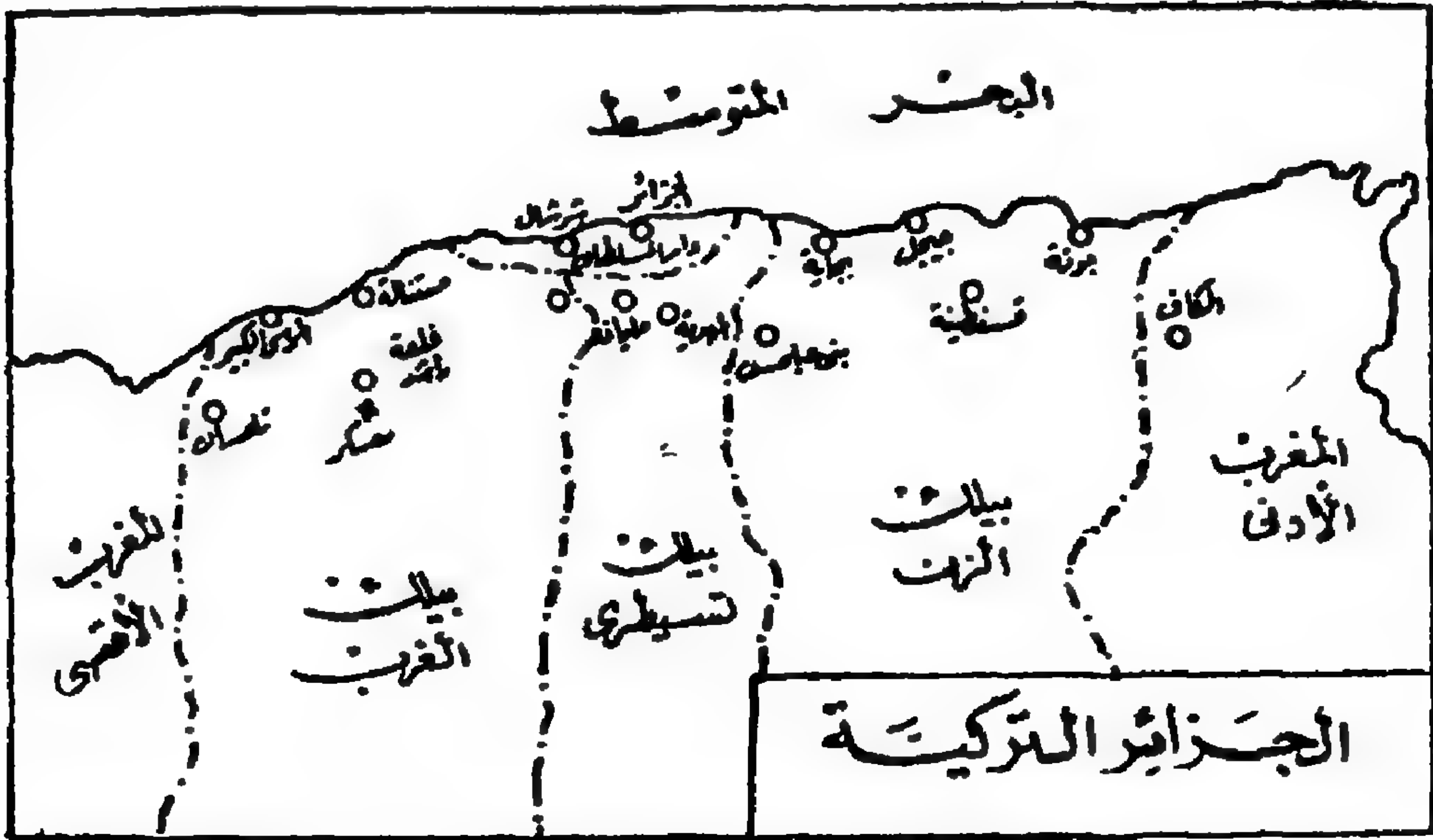
— الصراع بين حكام تونس وبايات قسنطينة : حفل المخطوط بالكثير عن حوادث الصراع الطويل الذي احتدم بين حكام تونس وبايات قسنطينة .

وارجع هذا الصراع إلى أن تونس كانت تحت سلطان حاكم الجزائر الذي وكل أمرها لعاهله على (قسنطينة) ، فكان عامل قسنطينة هذا يبعث موظفين من أهل مخزنه (حكومته) لتونس ، وكان له وكيل هناك ، فكانوا يسيئون إلى أهل تونس وقد دفع ذلك حاكم تونس إلى أن يعلن عداؤه للجزائر مما أدى لحروب متعددة كانت قسنطينة — بحكم موقعها — هي ضحيتها فقد عانت مراراً من الحصار ، وإن كان الكاتب يشير إلى أن هذه المدينة قسنطينة لم يدخلها أحد ، وكل من أرادها بسوء رجع عليه إلى أن كتب الله بدخول الجنود الفرنسيين إليها سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف والأمر لله الواحد القهار (٢) .

ويعطى صوراً من الصراع بين قسنطينة وتونس — فيذكر أن (مراد باي ابن علي باي) حاكم تونس سنة اثني عشر بعد المائة — خرج من تونس بجيشه صوب قسنطينة فلتقاه حاكمها (علي خورجه) ، وحاصر التونسيون القلعة التي كانت (بسطح المنصورة) ونحربوها ونقلوا مدافعها إلى تونس — لكن جاءت (محلة) من

(١) المخطوط ص ٣٢٦ .

(٢) المخطوط ص ٢٨٥ .



شكل (٣)

الجزائر لنجدة قسنطينة وانتهى الأمر بانهمزام (مراد باي) ورجوعه إلى تونس تاركاً كل معداته الحربية (١).

كذلك وقعت مصادمات بين حمودة باشا تونس سنة (١٢٢١م) وبين (عثمان باي) واني قسنطينة ، لكن هذا الأخير مات أثناء قتاله وهو مغربي زعم إنه من شرفاء ملوك فاس وأنه يأتي بالمعجزات كأن يبطل مفعول بارود الأعداء ، وانضمت إليه عدة قبائل واستطاع قائد الدار (الحاج أحمد بن الأبيض) أن يوقع به في غيانه (عثمان باي) ، لكن حين عاود عثمان باي الكرة والتقى بقوات الشريف في واحة (زهور) بين (جيجل) والتل هزم وقتل (٢).

وبعد مقتل عثمان باي تولى أمر قسنطينة (عبد الله باي) الذي استطاع أن يخضع القبائل الثائرة ، وأن يتوغل في حدود تونس حتى قرب مدينة (الكاف) لكن عزل (عبد الله باي) وقتل وتولى مكانه (حسين باي بن صالح باي) — وكان صغير السن حضر (أي حضري) لا يقدر على الركوب والغزو — كما يذكر كاتب المخطوط — فانتهز (حمودة باشا) حاكم تونس هذه الفرصة — فأعد قوة من العساكر والحيل وما يزيد على مائة ألف من العربان على رأسها وزيره (سليمان كاهية)

(١) المخطوط ص ٢٦١ - ٢٦٤ .

(٢) المخطوط ص ٢٦٥ - ٢٦٩ .

وساق رعبته بنفسائها وأموالها ، و كاتب مشايخ رعية قسنطينة مثل (الحناشي) و شيخ (أوراس) ، واستألمهم إليه ووعدهم بالخير العظيم ، فتقدموا ومعهم المدافع والذخيرة محمولة على خمسمائة جمل ، والتي جيش تونس مع جيش حسين باي قسنطينة عند (مسطحة المنصورة) ، وهرب حسين باي إلى (قصر الطير) وحاصر (سليمان كاهية) قسنطينة شهراً كاملاً ، ووصلت نجدة من الجزائر على رأسها (أحمد أغا) عن طريق البر ، كما جاءت قوة من البحر نزلت (عنازة) وانتهت المعركة بهزيمة جنود تونس وهرب (سليمان كاهية) ومن معه (١).

وأشار كاتب المخطوط إلى أن باشا الجزائر كان يزج بقسنطينة في الخلافات التي تنشأ بين أفراد الأسرة الحاكمة في تونس ، فيطلب من باي قسنطينة الخروج (بمحله) لتأييد هذا أو ذاك من المتنازعين على السلطة في تونس (٢) .

بل كان كثيراً ما يكلف باشا الجزائر الباي بقتل من يريد التخلص منهم من رجاله كما حدث حين كلف حسن باي بوحناك (١١٤٩ - ١١٦٧ هـ) بقتل (أحمد أغا) الذي كان يقود جيشاً جزائرياً ضد بعض الخارجيين في تونس لكن وشى به لدى باشا الجزائر فأمر بقتله .

وهكذا حفل تاريخ قسنطينة في هذه الحقبة بأحداث هذه المذابح الدموية (٣) . ولا شك في أن هذه الأحداث كان لها أثرها في شغل البايات عن وجوه الإصلاح الداخلية التي كانت تنتظرها قسنطينة - هذا بالإضافة إلى ما خلفته هذه الحروب من أثار الدمار والتخريب .

ثالثاً - دراسة تحليلية

لما جاء بمخطوط محمد الصالح بن العنترى (٤)

يعطي هذا المؤلف صوراً عن كثير من الأحداث التاريخية المتعلقة بالجزائر

(١) المخطوط ص ٢٦٦ - ٢٨٥ .

(٢) المخطوط ص ٢٩٢ - ٣٠٢ .

(٣) المخطوط ص ٣٠١ وما بعدها .

(٤) ملاحظة :

انخذنا مخطوط ابن العنترى أساساً للدراسة والتحليل لما احتواه من أحداث هامة ولأنه حرص على إعطاء صورة كاملة متكاملة للأحداث طوال هذه الفترة من حكم الأتراك للجزائر وأوائل الحكم الفرنسي - مع عمل مقارنات مع ما ورد في المخطوطين الآخرين .

عامة وقسطنطينة خاصة في هذه الفترة التي تناولها - وسنشير إلى بعض هذه الأحداث التي تعرض لها .

١ - بايات قسطنطينة من العرب والأتراك :

يعطى صورة عن كل واحد منهم ، وما تم في عهده سواء من الأحداث الداخلية أو الخارجية ، وذلك منذ بسط النفوذ العثماني على قسطنطينة حتى أوائل الحكم الفرنسي بها . ويذكر أن البايات من العرب كانت أحكامهم بالعدل وسيرتهم مرضية ، لكن جرت العادة بعد ذلك على توليه البايات من الأتراك ممن اشتهروا بالشجاعة في الحروب والسياسة ومن امضوا في قسطنطينة مدداً طويلاً - لكن اضطربت الأمور في آخر أزمانهم - كما يقول الكاتب - فصاروا يولون بايات ضعافاً ، ظهر منهم الضعف والفجور والجور ، وصار صغيرهم لا يوقر كبيرهم وبدا (التخص) في ماكنهم (١) .

وقد استثنى الكاتب بعض البايات الأتراك ، من أمثال صالح باي (١١٨٥ - ١٢٠٩) الذي يذكر انه تركي قديم في قسطنطينة فيذكر أنه كان رجلاً عاقلاً له سيرة مليحة ، يحب عمل الخير ، ويسعى في صالح العباد - لكنه يعود فيقول إن حاله تبدل بعد ذلك (٢) .

وحين يصف أحد هؤلاء الحكام الأتراك بالتعقل والعدل ، يذكر انه متصف بأوصاف العرب (٣) .

ويذكر أنه حين أصبح (حسن باشا) حاكماً على الجزائر - وصل كرهه للترك - من أجل أعمالهم القبيحة إلى أنه كتب إلى باي قسطنطينة جافر باي (١٢٢٦ - ١٢٢٩) امراً بقتل كبار الترك الذين في قسطنطينة عن آخرهم ، لكن الباي المذكور خاف على نفسه وكشف الأمر للأتراك وأراد أن يتآمر معهم على باشا الجزائر - لكن الأمر وصل إلى علم الباشا وانتهى بقتل باي قسطنطينة ، وعين الباشا (أحمد باي) وهو مملوك ، وكان الهدف من تعيين مملوك في قسطنطينة هو الانتقام من الأتراك (٤) .

(١) المخطوط ص ٣٨ .

(٢) المخطوط ص ٣٣ .

(٣) المخطوط ص ٤٠ (وصفه للحاج مصطفى انقليز باي) .

(٤) المخطوط ص ٦٥ ، ٦٦ .

وقد اضطربت الأمور في آخر حكم الأتراك ، ويصف الكاتب الوضع بقوله :
 اشتهر ظلم الترك فصاروا يقتلون الناس ، وانحلت الأحكام ، وتصعب الوطن
 وضعفت الرعية ، ووقع الضعف بين المخزنجية ، وعظمت بينهم الفتنة . . . (١)
 ووصل الأمر إلى أن الجنود كانوا يتفقون فيما بينهم على قتل (الباي) وغيره
 من رجال الدولة الذين لا يحققون مطالبهم ، ويعينون حاكما من تلقاء أنفسهم (٢) .

٢ - عادة التخلص من البايات بالقتل :

شاعت هذه الطريقة حتى أصبحت تثير الكثير من التساؤلات - وقد أصبح
 من الجارى أن يختم الكاتب حياة كل من البايات بقوله : « إنه حكم زمان ثم أمر
 الباشا بقتله » .

وفي بعض الأحيان يشير إلى أن قتل الباي والتخلص منه يرجع إلى سبب معين
 مثل شكوى الناس منه لأنه كان يأخذ أموالهم بالباطل . (٣) أو يرجع الأمر إلى إصابته
 بالمرض فتعطلت أحكامه فأمر الباشا بقتله (٤) .

أو أنه يشير إلى أن الباشا أمر بقتله من غير سبب . (٥) أو يشير إشارة عادية
 إلى أن الأمر جاء من طرف الباشا بقتله فقتل . (٦) .

ويبدو أن مسألة القتل هذه كانت منتشرة فكان الباي المقرب للباشا يستأذن
 في قتل خصومه فيؤذن له . (٧) . وقد تتم عملية التخلص من الباي القديم بالقتل
 أو بالسم (كأس الحريق الذي يمزق الأحشاء) كما يذكر الكاتب (٨) ، وأحيانا

(١) المخطوط ص ٧٦ .

(٢) المخطوط ص ٥٧ .

(٣) المخطوط ص ١٠ (قتل وإل باي) ، ص ١٣ (قتل أحمد خوجه باي) ، ص ٣٦ (قتل
 صالح باي) .

(٤) المخطوط ص ٣٨ (نهاية حكم حسن باي) .

(٥) المخطوط ص ٣٩ (قتل وزناجى باي) ، ص ٦١ (قتل أحمد باي طبال) مع أن سيرته
 كانت (مليحة) .

(٦) المخطوط ص ٦٢ (قتل نعمان باي) .

(٧) المخطوط ص ٨٣ .

(٨) المخطوط ص ٢١ (نهاية حياة حسن باي بوحنك) .

بالحق (١) :

أما من ينجو من القتل فهو نادر ، والأمر لا بد وراءه سبب فالكتاب يذكر أن حاج مصطفى (انكيلزباي) الذي حكم قسنطينة (١٢١٢ - ١٢١٨) لما شاع فسادُه أمر الباشا بعزله وانتقاله إلى الجزائر بأولاده وأهله . . وكان السبب في حياته وعدم قتله مصادقة ومودة كانت بينه وبين وزراء الباشا فتشفعوا له (٢) .

٣ - الدنوش :

هي - كما يذكر الكاتب - كلمة أعجمية يقصد بها الذهاب للجزائر لتقديم المقروض على (البيلك) من الزكاة والعشور ، وهذا المال يعرف (بالباشي) وعادة ينتقل الباي مرتين في العام للجزائر لهذا الغرض ، مرة في فصل الربيع ومرة في فصل الخريف - وعادة يستأذن الباي في أن يسمح له بالحضور لهذا فيمشي للعاصمة ومعه عدد كبير من رجال البيلك (٣) .

وقد شرح لنا (أحمد بن إسماعيل بن صالح باي) في مخطوطه بإيضاح أكثر هذا الأمر ، فيذكر أن صالح باي توجه (بالدنوش) إلى الجزائر على حسب العادة ووصل إلى حضرة الباشا ودفع (الزمة) وما يتبعها من متعلقات دار السلطان ، ثم شرع في تفريق العوائد لأرباب الدولة ، فأرسل إلى الخزناجي عوائده - وهي خمسة آلاف محبوب ، وحصان ، وبغل جيدة ، وتمر وشمس ، وبرانس ، وسبح مرجان وعنبر ، وعطر ، وملابس محلاة بالذهب وما أشبه ، لكن استصغر أمرها فردها إليه (٤) .

٤ - أهم الوظائف الإدارية التي كانت موجودة وما استحدث منها :

ذكر الكاتب العديد من هذه الوظائف والعمل الذي كان يؤديه شاغلها : (٥)

(١) أنظر ص ٥٥ (حسين باي باشا الجزائر مات مخنوقاً) .

(٢) المخطوط ص ٤٠ .

(٣) مخطوط ابن المنري ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) مخطوط (أحمد بن إسماعيل بن صالح باي) ص ٢١٣ .

(٥) مخطوط ابن المنري ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

ملاحظة : أنظر ترتيب الوظائف في الجزائر ومالياتها أثناء الحكم العثماني .

فهنالك الكتاب الذين يختصون بكتابة أسرار الباي، ومنهم من يختص بكتابة شكايات الناس (ما يشكون منه) ، ومنهم المختص بالشؤون المالية (مدخول البايلك) - كما يعبر عنها الكاتب - ومنهم نخيفة تركي المتكفل بالمال الذي يرسل من عند باي قسنطينة إلى الجزائر ، كذلك هناك اغواة الترك - وهم المتولون الشؤون المدنية المتعلقة بالأتراك ، وشراش ترك المتولون أمورهم العسكرية .

ومنهم ياش أغا - المتولى أمر العرب ، وكان له نفوذ كبير فقد كان يتوسط لتعيين باي جديد في قسنطينة ، كما كان تدخله - كما يشير الكاتب - يترتب عليه العفو عن البايات القدامى ، فلا تنفذ فيهم عادة القتل التي كانت سائرة والتي أشرنا إليها . (١) .

وقد كان من يتولى هذه الوظيفة (وظيفة باش اغا) مسؤول عن الخروج في مقدمه الجيش عند الغزو ، وكان ينوب عن الباي في حالة تغيبه (أى الباي) عن البايلك .

وحين وقعت قسنطينة في أيدي الفرنسيين حرصوا على أن يتولى هذه الوظيفة أحد رجال البحرية بالنسبة لأهمية قسنطينة ومينائها (عنابة) - فكان أول من تولى هذه الوظيفة القبطان بوسنة (٢) ، وهذا القبطان هو الذي عين الكاتب (محمد الصالح ابن العتري) في وظيفة كاتب .

ومن الوظائف الهامة الأخرى قائد الدار - وهو المسؤول عما يلزم العساكر من الارزاق والجهات .

والسرا - المسؤول عن نخيل البايلك وما يتعلق بها ، والمحتسب - المسؤول عن أسعار البضائع في الأسواق ، وضابط الشرطة - وهو الذي يعس في الليل ليحرس البلاد من اللصوص ، وهو أول من يقابل الباي في الصباح ليخبره بكل ما يقع في الليل .

وقائد الزمالة - المسؤول عن شؤون العرب ويخرج عادة مع الباي - وقائد الغنم ويبيده دخل البقر التي هي للبايلك ، وقائد الإبل - ويبيده دخل كل الإبل التي

(١) المخطوط ص ١٩ ، ٦٣ ، ٧٤ .

(٢) المخطوط ص ١٣٠ ، ١٨٠ .

هي للبايلك ، هذا بالإضافة لوظائف قاضي الخليفة ، وقاضي المالكية ، وشيخ العرب - وهي وظائف كان يشغلها بعض رجال الدين وذوى المهابة (١).

٥ - مكانة العلماء وشيوخهم - الشيخ ابن الفكون :

كان للعلماء وشيوخهم الشيخ ابن الفكون مكانة بارزة في هذه البلاد - من قبل أن يبسط العثمانيون نفوذهم عليها - فكانوا هم الملاذ الذي يلجأ إليه الشعب عند النوائب . والكاتب يورد عدة مواقف كان رأى الشيخ فيها هو الحاسم

فعندما بسط العثمانيون سلطانهم على الجزائر ، وأمتنع عدد من أهالي قسنطينة وأولى الأمر بها عن الإذعان للعثمانيين - كان رأى الشيخ هو المرجح للأراء فانقاد الناس لرأيه وفتحوا أبواب البلاد ، وقد أرسل باشا الجزائر إثر ذلك يشكر الشيخ والأهالي ، وحين تعرضت البلاد لمهاجرة (القبائل) وعلى رأسها الشريف (بواى زهور) (٢) وكان (عثمان باى) غائبا - كان الشيخ هو الممسك بدفة الأمور حتى تم النصر (٣) .

ولما تجدد القتال بعد رجوع (عثمان باى) واسفر الأمر عن قتل الباي والكثير من جنده واستيلاء القبائل على الجزائر ، وما فيها من سلاح ومال - اجتمع أهل الرأى مع الشيخ (ابن الفكون) للتشاور فى الأمر ، واستقر الرأى على الكتابة للباشا بالجزائر بتفصيل ما حدث (٤) .

وقد كان رد باشا الجزائر للمواطنين فى قسنطينة ينصحهم بأن يكونوا يداً واحدة مع (سيدى الشيخ) فإنه - كما يقول لهم فى خطابه - عصبتكم فى نوايبكم (٥) وكان باشا الجزائر نفسه يلجأ الى الشيخ فى الأزمات فحين تدب

(١) المخطوط ص ١٠٦

(٢) المخطوط ص ٥ ، ٧ ، (وملحق هذا البحث) .

(٣) المخطوط ص ٤٢ وما بعدها .

(٤) أنظر الرد الوارد للسيد الشيخ ابن الفكون ولأهالي قسنطينة من باشا الجزائر - رداً على خطابهم فى هذا الشأن (المخطوط ص ٤٨ ، ٤٩) وملحق البحث .

(٥) المخطوط ص ٥٠ (وملحق هذا البحث)

الفتنة بين الجنود ، ويقتلون أمراءهم يطلب منهم التكاتف ، ورغم أن باشا الجزائر يهدد الجنود بسبب خروجهم عن النظام لكن الشيخ يستكثر هذا الأمر ، ولا يقر قتل كل هؤلاء الجنود ، وإن كان لا يعارض في قتل رأس الفتنة الذي شق عصا الطاعة ، وجاوز الحد : على أن يكتب أهالي قسنطينة بعد ذلك لباشا الجزائر ليستعطفوه ليغفروا عن العساكر (١) .

و حين يفكر باي قسنطينة (جافر باي) في شق عصا الطاعة على باشا الجزائر لأن الباشا طلب قتل الأتراك كلهم في قسنطينة لا يوافقها الشيخ على هذا حتى لا يعرض الباي نفسه والبلاد للنكبة .

وقد أثبتت الأحداث أن رأيه سليم ، وقد كلف هذا التفكير الذي وصل لعلم الباشا - جافر باي - حياته (٢) ، ولما دخل الفرنسيون الجزائر واضطربت الأمور في قسنطينة لحأ الأتراك إلى (الشيخ ابن الفكون) فقدم الصفوف إلى حيث (باي قسنطينة) وتعهدوا له بمساندته والوقوف خلفه على شرط أن يدبر أمور البلد بالعدل (٣) .

وكان الفرنسيون قد استطاعوا بقوتهم البحرية أن يضيقوا الخناق على (عنابة) ، وأضطر أهلها للخضوع لهم مما أوغر صدر باي قسنطينة (الحاج أحمد باي) ضدهم فتصدى (الشيخ ابن الفكون) للأمر ، وأوضح للباي المواقف ونصحه بمحاولة حل المشكلة بالتفاوض مع الفرنسيين بشأن (عنابة) وقسنطينة معاً (٤) .

و حين ثار الحاج (أحمد باي) ضد أهل قسنطينة بسبب سعيهم للاتفاق مع الفرنسيين تصدى له الشيخ (ابن الفكون) وأوضح له أن أهل قسنطينة لم يسلموا للفرنسيين خوفاً وجبناً فقد سبق أن تصدوا للمراقف حاسمة عندما هاجمهم الشريف في (وادي أزهور) ، وكذلك حين تعرضوا لغزو العثمانيين لكن الوضع مع الفرنسيين مغاير خاصة

(١) المخطوط ص ٥٩ .

(٢) المخطوط ص ٦٩ ، ٧٠ وملحق البحث .

(٣) المخطوط ص ٨٨ ، ٨٩ - وملحق البحث .

(٤) المخطوط ص ١٠٧ .

بعد إستيلائهم على الجزائر فطلب الأهالي الهدنة لا يرجع لتخاذلهم . . وذكره باتفاقه معه على أن يحكم بالعدل وعدم الظلم (١) .

ولما اشتد الأمر بسكان قسنطينة ، وكانوا يحاربون بالسيف في الوقت الذي يستخدم فيه الفرنسيون البارود والأسلحة الفتاكة — لجأ السكان إلى الشيخ يستغيثون به ويستترشدون برأيه ، فنصحهم بطلب الأمان من الفرنسيين وكتب لهم خطاباً بذلك سلموه إلى المارشال الفرنسي فالى (Valée) (٢) .

ولم يمنح الفرنسيون الأهالي — الأمان — إلا بعد أن وقع الشيخ (ابن الفكون) بأنه يضمن أن يخلد الأهالي للسكون (٣) ، وقد وجه الشيخ كلامه إلى الجنرال الفرنسي بيدو (Bedeau) قائلاً له : إن هذا البلد لم يدخل عنوة من قدم الرمان إلا هذه المرة — فقد مكنكم الله منه فوجب عليكم أن تعملوا الخير وتعطروا الأمان إلى ناس البلد — فبذلك يتعهد لكم الأمر وتدع عن إليكم الرعية والعباد (٤)

وحين قر قرار الفرنسيين على تعيين (شيخ للمدينة) من أهلها ليدبر أمورها ويلجأ إليه أهل البلد عندما يشق عليهم أمر أنتاروا (حمودة ابن الشيخ ابن الفكون) لهذه الوظيفة لأصله ومكانة أسرته : فعترض أبوه . والحق في الرجاء ليعينوا شخصاً آخراً لتبقى أسرته ملجأ المضايقين ، لكن أصر الفرنسيون على ذلك ، وقد أثبتت الأحداث أن اختيارهم كان حكيماً فقد أدى ذلك لإنتقياد مشايخ البلد والمواطنين جميعاً لهم ودخولهم في طاعتهم (٥) .

٦ — المنشآت العمرانية في قسنطينة والجزائر :

يشير المخطوط عند تتبعه لحياة بايات قسنطينة — لما تم في عهد كل منهم من منشآت — فجد مع رغبة الصراف مثلاً بنى في عهده رحم باي (١٠٧٧ — ١٠٨٣) ، كذلك بنى صالح باي (١١٨٥ — ١٢٠٦) قنطرة بجهة قسنطينة ، وهو الذي حصن البلاد ،

(١) المخطوط ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) المخطوط ص ١٣٢ — وملحق البحث .

(٣) المخطوط ص ١٣٩ .

(٤) المخطوط ص ١٤٠ .

(٥) المخطوط ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

وشيد مرسى (السكينة) وجعل له شهرة كبيرة - أما القصبة بالجزائر ، فالذى جدد بناءها ونقل كل الخزائن إليها هو حسن باشا (١).

٧ - العملة في الجزائر :

يشير المخطوط في أكثر من موضع إلى العملة المستخدمة في ذلك الوقت ولا شك في أن هذا بالإضافة إلى ما جاء بمخطوط أحمد بن إسماعيل بن صالح باي يخدم المهتمين بهذه الدراسات .

وقد أشار المخطوط إلى أمر هام ، هو أن باشا الجزائر حين اضطربت الأمور الاقتصادية في البلد لجأ إلى إنقاص المعدن النفيس في كل ريال بما يوازي ربع القيمة الأصلية (٢) .

وهذا يعطينا فكرة عما وصلت إليه الحالة الاقتصادية من تدهور قبل الغزو الفرنسي

٨ - هجوم الفرنسيين على عنابة وقسنطينة (٣) :

كان نزول الفرنسيين في (سيدى فرج) في ٢٢ يونيو ١٨٢٧ إيذانا ببدء الكفاح المسلح ضدهم ، وكما يقول كاتب المخطوط - « بعث الداي حسين باشا إلى كل بابات الأوطان يأمرهم بأن يأتوا بالجنود و (القومان) لأجل مقاتلة الفرنسيين - فاستقل كل واحد منهم بمحله ، وكان الفرنسيون قد نزلوا في البر بعساكرهم وآلة حربهم - فعند ذلك اتسع الميدان واشتد القتل عدة أيام وليالي . . . فكان (الفرنسيون) أول فرصة ناذا حين تمكن بمحله (باشا أغا) وأستولى عليها ، وأنفكت يد المسلمين

(١) القصبة - هي القلعة ، وقد لعبت دوراً كبيراً عند مهاجمة الفرنسيين للجزائر ، وكان سقوطها إيذاناً بتسليم الجزائر .

Julien, Charles, André : Op. cit. pp. 53 - 55

- أنظر

وانظر مخطوط أحمد بن إسماعيل بن صالح باي : ذكر طرف يسير متعلق بأيام صالح باي الأزميرلي بولاية الجزائر ص ٢٢٢ .

(٢) المخطوط ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) يمدنا المخطوط بمعلومات هامة جداً وتفصيلات جديدة عن مقاومة عنابة وقسنطينة للفرنسيين وهو فيما يتعلق بأحداث هذه الفترة فريد في بابيه

منها فلما وصل الخبر إلى الباشا تحير ولما تمكن الفرنسيون من (برج ملاي أحسن) عظم عليه الأمر ، وغاب عنه الفكر فبعث إلى (ناس) الجزائر من العلماء والأكابر فتقدموا إليه ، واجتمعوا كلهم لديه فقال لهم صمعوها ودبروا فإن الفرنسيين أخذوا بر (ملاي أحسن) ، وهذا البرج هو قاعدة الجزائر وحصنها ، فقالوا له : نقاتل بأنفسنا وأولادنا حتى نموت بأجمعنا ولا نسلم في بلادنا فاستحسن كلامهم وشكر صنعهم . (١) »

ولما دخل الفرنسيون مدينة الجزائر - رجع كل باي إلى وطنه (مكودا) (٢) وأما الحاج أحمد باي قسنطينة - فقد اجتهد في ترتيب عساكر (زواوة) ثم تصدى لأسوار البلاد فجدد مبانيها وحصنها بالمدافع (٣) ، على أن بعض ضعاف النفوس من الأهالي انتهزوا فرصة دخول الفرنسيين في الجزائر فبعثوا إلى (إبراهيم باي) وكان الباشا قد عزله من قبل - فطلبوا منه أن يقدم إليهم ويكون هو الباي المتولى أمرهم - وأدى ذلك لنشوب الحرب بين (أحمد باي) و (إبراهيم باي) في وقت كان يجب أن تركز الجهود فيه في مواجهة الفرنسيين - وقد انهزم إبراهيم باي في هذا الصراع . وفي هذا الوقت تلقب الحاج أحمد بلقب (الحاج أحمد باشا) وضرب سكة خاصة باسم (سكة قسنطينة) (٤) .

أى أنه أعلن استملاكه عن الجزائر : على أن الثورة لم تلبث أن نشبت في الجزائر ضد المستعمرين الفرنسيين وترغم حركة الكفاح الوطني (الأمير عبد القادر ابن الشريف محي الدين شيخ الطرق القادرية) .

وبدأت هذه الثورة صغيرة لكنها لم تلبث أن اشتدت ، وطلب الفرنسيون من أحمد باي قسنطينة أن يتخلى لهم عن (عنابة) التي أصبحت تحت رحمة مدافع الأسطول الفرنسي ، وأن يعترف بالسيادة الفرنسية فرفض ذلك ، بل نظم قوة من الجنود ليرسلها إلى عنابة لكن أهل عنابة كتبوا له موضحين أنهم

(١) المخطوط ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) المخطوط ص ٨٧ .

(٣) المخطوط ص ٩١ .

(٤) المخطوط ص ٩٢ - ٩٥ .

لا قوة لهم ولا حول ، ولا طاقة لهم على منازلة الفرنسيين ، وأنهم أصبحوا بين شقى الرحى ، فهم يطلبون منه أن يسرع فى اتخاذ الإجراءات التى يتطلبها الموقف وتؤدى لاستقرارهم . (١) .

وقد أنبرى الكبار والعلماء من أهل قسنطينة ليوضحوا للحاج أحمد باى الرضيع المتعلق بعنابة ، فقد اجتمع الشيخ بن الفكون وقائد الدار ابن الابجاوى ، والسيد مصطفى بن حلول قاضى الحنفية والسيد أحمد العباسى قاضى المالكية ، والسيد محمد ابن حلول باش كاتب ، وسى محمد بن الحاج شيخ العرب ، وسى محمد العربى ابن عيسى الناظر ، وكما يقول المكاتب - انهم احتجوا عليه بالدليل الأصح والقول المفيد الواضح : . قائلين له : يا حاج أحمد باى الحق مع ناس عنابة من كونهم موالىن البحر ، وما عندهم قدرة يدفعون بها الضرر (٢) .

هذا وقد ظلت عنابة صامدة ، وكانت قوات الحاج احمد باى تحت قيادة نائبه (على بن عيسى) تناوش الفرنسيين ، وذلك كما يقول المخطوط فى أول عام ستة واربعين ومائتين والف بعد أن صار (لنامها) من تشتت ونهب ارزاقهم ، وصارت عنابة ذاتها (قفار) وما بقى بها الا العاجزون عن الفرار ، وفى ذلك الوقت جاء يوسف إلى عنابة ودخل فى القصبة وتمكن بها (٣) .

وبعد أن استولى الفرنسيون على عنابة عينوا (يوسف) باياً عليها (٤) ، ويشير المخطوط إلى أن الحاج (أحمد باى) ظل بعد سقوط عنابة يمر بالمناطق الواقعة بين (عنابة) وقسنطينة ليثبت لسكانها وقاطنيتها قوته (٥) ، كما يشير إلى انتشار وباء الطاعون فى قسنطينة فى هذا العام (١٢٤٦ هـ) وإلى خيانة افراد من سكان قسنطينة واتصالهم بيوسف ودعوته لمهاجرة البلد على أن يكونوا عيوناً له ذلك (٦) ،

(١) المخطوط ص ٩٨ وصورة الخطاب مرفقه بملحق البحث .

(٢) المخطوط ص ١٠٦ - ١٠٧

(٣) المخطوط ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٤) تاريخ حياة (يوسف) هذا ، وما أداه للفرنسيين من خدمات ، وارتداده عن الإسلام واعتناقه الكاثوليكية فى (١٨٤٥) يروىها بالتفصيل جوليان أنظر :

Julien; Charles André : Histoire de L'Algerie Contemporaine. 64 p. 93...94.

(٥) المخطوط ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦) المخطوط ص ١١٥ .

ويشير إلى مهاجمة (يوسف) وقوة كبيرة من الفرنسيين لقسنطينة ومحاولتهم دخولها من جهة (باب القنطرة) لكن أهل قسنطينة نادوا (بالجهاد - الجهاد) فانهزم عسكر الفرنسيين ، وفروا هاربين ، وحاولوا مرة أخرى مهاجمة البلدة من جهة (الرحبة) لكن انقلبت عليهم الهزيمة مرة أخرى . . فرحل يوسف راجعاً إلى عنابة (١) .

ويزعم كاتب المخطوط أن الحاج (أحمد باي قسنطينة) بعد ذلك تجرأ على قتل الكثيرين ظلماً زاعماً لأنهم أرادوا التواطؤ مع الفرنسيين - لكن (الشيخ ابن الفكون) تكلم مع الباي مذكراً لإياه بجهاد أهل قسنطينة حين ظهر الشريف (في وادي أزهر) ، ولم يكن معهم في ذلك الوقت خليفة ولا أمير ، وأيضاً حين تعرضوا لمهاجمة جيش تونس ، فلم يسلموا بلدهم . . واليوم يعانون الكثير بعد أمتيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر .

فكف الباي مدة عن قتل العباد ، ونحشى أن تقوم عليه فتنة من الناس (٢) ويشير إلى أن الحاج (أحمد باي) بعد ذلك قر رؤية على ارسال قوة إلى (قاله) لمناوشة الفرنسيين بها ، وكان جنوده يهدمون المباني ويخربون مزارع القبائل القاطنة في الطريق - مما دفع بأصحاب العقول - كما يقول - الكاتب ليكتبوا إلى الحاج أحمد باي وقائده ابن عيسى يدعونهما للنأي والتبصر في عواقب هذه الأمور وينهونهم عن فعل القبيح من أخذ نساء الناس والزنى ، وأكل أموال الناس بالباطل وقالوا لهم إذا لم تنهوا هذه الأعمال فإن الله سيسلط عليكم وعلى أهل البلد سيديكم مصيبة سوداء (٣) ويذكر أن بعض الصالحين تحدثوا من قبل عما سيصيب قسنطينة فأحلهم ذكر عنها :

(١) المخطوط ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) المخطوط ص ١١٩ . ملاحظة : يذكر جوليان : أن الباي أحمد أكد في مذكراته أن الدافع الرئيسي لمقاومة أهل قسنطينة للفرنسيين - كان وجود (يوسف) ضمن القوى الفرنسية ، وأن الكل كانوا يدركون مدى كراهة الأهالي ليوسف إلا الجنرال (كلوزل) الذي كان لا يدرك ذلك ويصر على عدم اعتباره لهذه المشاعر ، ويذكر أن الضابط (Pellessier de Reynaud) الذي يعتبر من أحسن المدركين لحقيقة الأمور في الجزائر - كتب خطاباً لإحدى الصحف بعنوان (المغامر يوسف) يقول فيه . . الآن يوسف الذي نهب تلمسان ، وساب قبائل بونة (عنابة) والذي تحبب في فشننا في قسنطينة هذا الشخص الفارق في الدم والنهب يجب أن يكون موضع احتقار كل الناس الشرقاء - أنظر .

Julien; OP. cit. P. 134

(٣) المخطوط . ص ١١٩ ، ١٢٠ .

« حصنت عليها سبع أقال وتقلقت من جنبها » ويشرح الكاتب بنفسه هذا المثل بأنه يبين أن الأعداء لا يدخلونها من أبوابها المحصنة لكن من ناحية جانبية (١)، وقد عاودت فرنسا هجرمها على (عنابة) فخرجت (عمارة الفرنسيين) كما يعبر عنها المخطوط من (عنابة) و معها ولد (سلطان فرنسا - دوق دى نيمور) والمرشال (دافيد جون) ونزلوا واد يسمى (مجاز عمار) فشرعوا فى تقطيع الأشجار لتوسيع الطريق لجيوشهم (٢) .

ولما وصلت الأخبار إلى الحاج (أحمد باى) جهز (محلة عسكرية) وخرج من قسنطينة فنزل بموقع يسمى (فج سيلة) وكتب إلى أهل البلاد ليأتوا بالخبز ، وارسل الرقباء والجواسيس إلى (مجاز عمار) يسعون إليه بالإنخبار - وفيما هم كذلك إذ بجواب من عند (ولد السلطان ، والمرشال المذكور) يدعوان فيه الحاج أحمد باى للتسليم حقنا للدماء . . وكان الذى أتى بالخطاب هو (ولد بوجناخ) من كبار يهود الجزائر (أشرنا إلى أن المراجع الفرنسية تشير إليه باسم) (Muchi Bushnach) (٣) .

ويذكر كاتب المخطوط أن السلام مشى بين الطرفين مراراً دون نتيجة ، ولذا صمم الحاج أحمد باى أن يبعث أحد موظفيه ليأتيه بالإنخبار الصحيحة ، ولينظر (عمارة الفرنسيين) هل هى قوية أم ضعيفة ، وقد وقع الاختيار على (سى محمد بن العتري) والد كاتب المخطوط لهذا الغرض - لأنه كان موضع ثقته مشهوراً له بالتعقل وأوصاه أن يتكلم مع الفرنسيين ، وأن يوضح لهم أن الصلح ان يكون إلا برفع أيديهم عن (عنابة) و (قانه) و (مجاز عمار) (٤) .

ويذكر المخطوط أن هذا الطلب أثار الفرنسيين ، وذكروا له « إنهم استولوا على قانه ، ومجاز عمار بالقوة (بالذراع) وأن الحديث الآن عن قسنطينة (٥) » .

(١) المخطوط ص ١٢٠

(٦) المخطوط ص ١٢٣ المقصود (Duc de Nemours) - أما الجنرال (Damremont)

فهو الذى حل محل (كلوزل) فى القيادة .

(٣) المخطوط ص ١٢٥

(٤) المخطوط ص ١٢٦ .

(٥) المخطوط ص ١٢٧ .

فلما عاد (ابن العتري) وانخر بضخامة قوة الفرنسيين - صدقه الجميع إلا (ابن عيسى) الذي أصابه الحماس ، فكتب للحاج أحمد باي يتهم (ابن العتري) بأنه يتكلم عن قوة الفرنسيين بين الناس ليرهب أهل البلاد « فلما وصل هذا الجواب إلى حاج أحمد باي (تغير خطره على ابن العتري وساء ظنه به فمكث بعد ذلك نحو ثمانية أيام ومات وقد تحقق عند الناس أن الحاج أحمد باي قتله خفية بالسم) (١) .

أما الجنرال (دامريمون) والفرنسيون فانهم دخلوا من (مجاز عمار) واتجهوا صوب قسنطينة ، كما رحل الحاج أحمد باي من (فج سيلة) وتقابل الطرفان في (عقبة الناري) ومن هناك بدأت المعارك بين المسلمين والفرنسيين ، وكان هجروم الفرنسيين على مدينة قسنطينة من ناحية (المنصورة) وناحية (الكدية) وقد أصابت قذيفة الجنرال (دامريمون) فأردته قتيلا ، فقاد الهجروم الفرنسي بعده الجنرال فاني (Valeë) الذي يصفه كاتب المخطوط بأنه كان (صاحب حرب وفطنة) واستطاع بخطته أن يركز الهجروم على سور المدينة حتى هدم (سار في العدم) ، وأرسل القائد الفرنسي خطاباً إلى أهان قسنطينة يدعوهم للتسليم (٢) .

ولما وصل الخطاب إلى (ابن عيسى) وغيره من قادة جيش الباي تعمدوا تأخير الرد على الخطاب إلى أن يعيدوا بناء سور المدينة من جديد ثم أرسلوا ردهم الذي أفادوا فيه أن الأمر ليس بيدهم لكن بيد (الحاج أحمد باي) وأن على الفرنسيين أن يتصلوا به هو شخصياً (٣) .

فما كان من الفرنسيين إلا أن شددوا الحصار على المدينة وعادوا ضربها حتى هدم سورها مرة أخرى ، فهرب (ابن عيسى) من ناحية الطابية ، ولجأ أهل البلدة إلى الشيخ ابن الفكون يطلبون النصيحة فنصحهم بطلب الأمان .

فتقابل وفد منهم الجنرال بيدو (Bedeau) الذي أمنهم على أنفسهم وأولادهم ونسائهم ، على شرط أن يسلم كل فرد من أهل البلد سلاحه في القصبة ، وأن

(١) ص ١٢٩ .

(٢) ص ١٣٢ ونص الخطاب بملحق البحث .

(٣) ص ١٣٤ .

يضمن (الشيخ ابن الفكون) امتثالهم للهدوء والسكينة ، وهكذا سلمت قسنطينة للفرنسيين (١) .

ودخل الفرنسيون قسنطينة ، واستولوا على كل ما كان بها من ذخائر ، واستقر كل واحد من كبار قادة (الفرنسيين) في دار من دور المدينة التي هجرها سكانها . أما الحاج (أحمد باي) فقد انسحب إلى الصحراء ، ووصل إلى مدينة (بسكرة) يستنفر أهلها لقتال الفرنسيين ، ثم انسحب إلى جبال (أوراس) حيث ترك النساء والمال وانتقل إلى (الحراكنة) وتعبه الجنرال (فالي) ، وانتقل إلى منطقة (الدير) ثم (نجع أولاد دراج) ثم (جبل أولاد سلطان) وهكذا صار يتنقل بين (لاعراس) من جبال (أولاد علي) إلى (جبال أولاد سلام) إلى (جبال أولاد فاطمة) .

ويشير الكاتب إلى حادثه ظريفه—فيذكر إنه لما عزم دوق دي نور على العودة لفرنسا طلب منه بعض أصحاب الوظائف أن يسافروا معه إلى باريس فأجابهم لما أرادوا — فأقاموا في باريس أياما شاهدوا فيها دولة فرنسا وملكها وترتيب عساكرها (٢) وقد عاد الدوق مرة أخرى لزيارة قسنطينة. وبقيض المخطوط في ذكر حفل استقباله والترتيبات التي عملت للترحيب به، وأورد عدة قصائد أنشدت في هذه المناسبة (٣) .

وعين الجنرال بيدو Bedeau حاكماً عاما في رمضان (١٢٦٠ هـ) : وكانت قبائل جبال أوراس لا تدين بالطاعة للسلطة العثمانية في قسنطينة، فاختر الجنرال الفرنسي شخصاً من عائلة لها عصية هناك هو (محمد ولد سيدي بلقاس) فعينه قائداً بمنطقة (منعة) وهي قلعة حصينة بمنطقة أوراس فأدى ذلك لاسلّاب الأمن في هذه البلاد (٤) .

وقد أشار الكاتب إلى عدة ثورات قامت في وجه الفرنسيين لكنهم قضوا عليها، منها ثورة (الشريف) الذي ظهر في المناطق الساحلية لكن استطاع الفرنسيون

(١) المخطوط ص ١٣٩ .

(٢) المخطوط ص ١٧٣ .

ملاحظة : إن هذا من أساليب الإستعمار ليفرس في نفوسهم حب فرنسا وما بها من مباحج .

(٣) المخطوط ص ١٨٢ - ١٨٥ .

(٤) المخطوط ١٧٦ .

القضاء على حركته ، وكذلك قام بناحية (سطييف) بأرض (عموشة) رجل تسمى باسم (مولاي محمد) ودعا الناس إلى حرب الفرنسيين ولكن الجنرال (بيدو) كتب رسائل إلى القبائل التي كانت تساند هذا الرجل محذراً لهم من نتائج هذا الأمر فانفضوا من حوله .

هكذا تعرض المخطوط لهذه الفترة من تاريخ قسنطينة ، وسجل الأحداث التي مر بها تاريخ هذه البلاد حتى عام ١٨٤٤ ، والكاتب يظهر في كتابه تحامله الواضح على الاتراك وحكامهم كما يبدو اتجاهه إلى ممالأة الفرنسيين .

ولعل هذا الاتجاه لا يبدو غريباً منه بسبب الظروف التي احاطت بمقتل والده والتي أشار إليها هر وأشرنا نحن إليها في تحليلنا للمخطوط ولأنه كان هو نفسه موظفاً في ظل الحكم الفرنسي

ولكن لا شك في أن المخطوط يقدم لنا الكثير من المعنومات والتفاصيل عن أحداث هذه الفترة من شخص كان متصلاً بالأحداث ، كما استعان — كما ذكرنا في البداية — بما سجله أناس آخرون اشتركوا فيها (١) .

ملحق البحث

أوردنا هنا بعض الوثائق الهامة التي وردت في مخطوط ابن العنري ، مع تعليق على كل وثيقة منها - وقد أوردنا الوثائق بنصها كما وردت في المخطوط المذكور .

١

خطاب باشا الجزائر إلى الشيخ ابن الفكون - يشكره لنصحه أهل قسنطينة بالإذعان للأتراك وفتح البلاد لهم .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٥ ، ٦)
الحمد لله

إلى معالم العالم المشهور الخير المبرور معدن الفضل المصون سيدى الشيخ ابن الفكون . أما بعد السلام عليكم والسؤال الكثير عنكم ، وعن من (اتما) إليكم وانتسب إلى جانبكم .

فقد بلغنا أنك أشرت على ناس قسنطينة بالتدبير المفيد والرأى الصائب الرشيد فكان فى ذلك حقن دمائهم ، وزوال الخلاف والهرج بينهم ، (فجازاك) الله فأحسن الجزاء وضاعف لك الخير والثناء ، وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا من كونك تسعى فى الخير والصلاح وترشد العباد للفلاح والنجاح ، و ثم نلتبس منك دعاء الخير فى كل خطب وزمان وفى كل ركب ، وكن ببال من أولادك الترك - والسلام .

كتب بأمر الباشا بالجزائر .

خطاب باشا الجزائر إلى أهالي قسنطينة - بشكرهم لطاعتهم للدولة العثمانية وإتباعهم ما أشار به الشيخ ابن الفكون .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٦ ، ٧)
الحمد لله

مكتوبنا هذا يتصل بيد ناس قسنطينة الخاص والعام - السلام عليكم ، والسؤال عنكم وبعد فإنكم عملتم (ملبح) وبتدبير (لائق) من كونكم سلمتم بلد قسنطينة إلى الترك من غير ارتياب ولا شك ، مراعاة للدولة العثمانية ، وطاعة لتلك الحضرة العلية ، وآثرتم العافية على الفتنة وحقن الدماء ، واجتنباب الشقة فنعم ما صنعتم ، ونخير ما عملتم ، إذ نحن واثقون في حكم الدولة المذكورة ، وفي طاعة تلك الحضرة المبرورة . وعليكم باتباع سيدى الشيخ بن الفكون والانقياد إلى رأيه المصون وما اتم إلا أولادنا والسلام .

كتب بأمر باشا الجزائر

خطاب باشا الجزائر للشيخ ابن الفكون - يشكره لصيانة البلاد أثناء خطر (الشريف والقبائل) .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٤٨)
إن العالم الأشهر الحير ، الأنور مأوى القليلين ، وملاجئ (الضعفى) والمساكين العارف بجميع العلوم والفنون سيدى الشيخ ابن الفكون .
السلام على مقامكم الرفيع ، وشخصكم الرايف البديع ، ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام الفلك وحر كاته - أما بعد . . .

فإنا نستكثر خبرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحتك وحمايتك للعباد فان ذلك منك معروف ، وأنت بنكمال الاحسان موصوف ، وخبرك معنا سابق ، فبالأحرى أن يكون بالزيادة لاحق ، ثم نلتبس منك الدعاء الصالح الجالب لنا ولكم المنافع والمصالح ، وما انت إلا حبيبنا وصديقنا والسلام .

كتب بأمر الباشا بالجزائر

خطاب باشا الجزائر لأهل قسنطينة بعد معركة (وادي ازهور) التي هزم فيها الشريف جيوش قسنطينة ، وقتل الباي (عثمان باي) واستولى على الخزائن وما بها من سلاح ومال .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط - ص ٤٩ ، ٥٠)
 إلى العلماء الأبرار وأكابر أناس قسنطينة الأخيار من الخاصة والعامة أما بعد :
 السلام عليكم والسؤال الكثير عنكم وعن أحوالكم فقد كنتم نخبرتمونا بموت
 (عصمان باي) وفناء العساكر ، وتشيتت الخزائن والأعمال ، وخوفكم من رجوع
 الشريف إليكم :

فاعلموا يا أولادنا وأحبائنا أن كل ذلك تقرر في علمنا - والآن نعلمكم ويكون
 متحقق عندكم إن كان مات الباي فانا رجعنا باي آخر أحسن منه ، وإن كان ضاع
 العسكر فإن البحر مازال يولد عساكر ، وإذا تشتتوا الخزائن فانه عندنا من نعلمهم
 ولا تخافوا من رجوع الشريف إليكم فلا ينال منكم ، وكونوا هائنين
 مطمئنين :

ثم نستكثر من خبركم ، ونقر باحسانكم من كونكم وقفتم وقوف الخير
 والاجتهاد حتى دفعتم العدو عن البلاد فنعم الصنيع المستفاد - ثم نوصيكم بأنكم
 تكونوا حالا واحداً مع سيدى الشيخ فإنه عصبتكم في مهماتكم ومرشدكم في
 نوايبكم :

وهذا ما منا إليكم - وأتم أحبائنا وأولادنا والسلام .

كتب بأمر الباشا بالجزائر :

خطاب باشا الجزائر إلى الشيخ ابن الفكون ، وأهالي قسنطينة والديوان بشأن
الجنود الذين خرجوا عن النظام ، فقتلوا باي قسنطينة (على باي) و (باش أغا)
الجزائر وعينوا واحدا منهم (أحمد وشاوش) حاكما عليهم .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٥٨)

الحمد لله

جوابنا هذا يتصل بيد أحبائنا وأولادنا ، وأولهم سيدي الشيخ ابن الفكون
ثم العلماء ، ثم كبار الديوان ، ثم ناس البلاد ، السلام عليكم والرحمة والبركة -
في حالة السكون والحركة أما بعد - فقد اتصل بطرفنا جوابكم وأنخبرتمونا فيه
بموت باش أغا ، وعلى باي وقتلهم أصحاب الفساد والبغى ، ولكن نعلمكم ويكون
متحققا عندكم أن ذلك العساكر حين ظهر فسادهم انعدمت نيتهم فلا خير
فيهم ولا حاجتي بهم ، وإنني قد أهدرت دمهم فبادروهم وأقتلهم وأقطعوا رؤسهم والسلام
كتب بأمر الباشا بالجزائر

خطاب باشا الجزائر (حسن باشا) إلى أهالي قسنطينة (من العرب خاصة)
بوضع أمره بقتل الأتراك الذين عثروا فساداً ، لأن (جافر باي) كان قد أذاع
حين وصله الأمر أن الباشا عازم على الإيقاع بالترك ثم العرب بعدهم .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٩٦)

الحمد لله

جوابنا يتصل بناس قسنطينة من العرب خاصة - أما بعد فقد سمعنا بذلك الأمر
الذي هو (جافر باي) بشيخ فيه ، وتحقق عندنا الكلام الذي عزم به فاعلموا
يا أولادنا أنا ما عندنا بغض من جانبكم ، ولا نقصد بالشر إليكم ، وإنما قصدنا
في الترك ، نقتل منهم أولاد الحرام ، ونقطع دابر الزنادقة اللثام حتى يستقيم حالهم ،
ولا نغضبهم عن آخرهم .

وأما أنتم يا أولادنا إن كنتم في طاعتنا فما عليكم إلا الأمان والإحسان منا -
وإن كنتم في طاعة (جافر باي) فصمموا في عقولكم ، وأنظروا فيما يليق بكم والسلام
بأمر الدولاتلي الباشا بالجزائر

خطاب أهل عنابة إلى أحمد باشا (باي قسنطينة) بعد أن دخل الفرنسيون الجزائر . . . وتلقب باي قسنطينة بلقب باشا ونقض سيادة الجزائر

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٩٨)

بعد التعظيم والتفخيم ... إلى سيدنا حاج أحمد باشا في قسنطينة — نعلمك بالأمر الذي هو سابق ومتحقق في علم سيادتكم إنه حين كان الأتراك صالحين (أي لهم الصولة) نحن رعييتهم ولطاعتهم منتقدين وممثلين ، واليوم قد انقضت دولتهم واستولى الفرنسيين على مملكتهم ، ونحن ناس ضعاف لا قدرة لنا على المقاتلة ولا قوة لنا على المدافعة ، وهذه العمارة التي أرسلت إلينا افجعت أولادنا وأحرقت أكبادنا ، فإن كنت أرسلتها إلى إبراهيم باي — فإنه جاء إلينا برأسه طالبا النجدة لنفسه ، لا عنده حرب يقرمه ولا عسكر يحمي به — وإن كنت أرسلتها إلى الفرنسيين نحن رعية من غلب ، وهذه (عنابة) هي الآن في حكم الفرنسيين ولا محالة ، ونحن لا طاقة لنا على نزعها من يده ولا قدرة لنا على تسليمها إليك ، ولكن نطلب منك الشرع بأن تعمل لنا تأويل الذي يكون به حالنا ويثبت به استقرارنا في بلادنا .

خطاب من دوق دي نمور (Duc de Nemours) والجنرال دامريمونت (Damremont) للحاج أحمد باي .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ١٢٥)

يا حاج أحمد باي نحن قدمنا بعمارتنا وقاصدين بلاد قسنطينة من غير شك ولا ريب ، وإن كنت في السابق طلبت الصلح ، الآن هذا هو وقت الكلام فخيم وأنظر صلاحك — وأما الفرنسيين فإنه دائما يحب يعمل الخير ، وما يرضى بموت العباد لأننا حين نزل على قسنطينة لازم يموت الكبار والصغار ويتمل النساء وتهدم الديار .

فإن كنت صاحب عقل أنظر وحكم في مصالح المخلوقات :

والسلام .

... - ...

خطاب المارشال فالى (Valeé) إلى سكان قسنطينة يدعوهم للتسليم ويتعهد بحماية المساجد وعدم التعرض للنساء والأولاد وأرزاق الأهالي وأملاكهم .

تاريخ الخطاب : الأربعاء ١٣ من شهر رجب ١٢٥٣ (المخطوط ص ١٣٢)

الحمد لله ولا شريك له في ملكه - ولا يعبد سواه سبحانه جل شأنه وتبارك :

من سعادة كبير الجزائر أمير المحال الفرنسية إلى قضاة وعلماء ومرابطين وأعيان وكل أحد من سكان مدينة قسنطينة كبير وصغير يليه - إعلامكم إن مدافعنا تراها على أساس أسواركم فلا بد أننا نهدمها وندخل مدينةكم إن شاء الله السميع العليم وهو على كل شيء قدير

فاذا شتمتم تمنعوا عنكم ورود هذه الداهية البلية العظيمة - فلا بد منكم أن تبعثوا لنا قبل دخولنا إلى بلادكم كم رجل من كباركم الحكماء العقلاء لاجل أن نتحدث معهم مشافهة على ذلك وعلى ما فيه خيركم وصلاحكم مادام معكم الوقت ، وإذا فعلتم ذلك فيها إني أقسم لكم بالله العظيم والله الكريم أن نحرم صوامعكم ونسائكم وأولادكم وأرزاقكم وأملاككم وتبقوا مقيمين وساكنين في دياركم براحة سر وبال وصفاء وأطمئنان ، ونعطى طابعنا للذين نرسلوهم لعندنا لاجل مفاوضاتنا معهم .

وأمان الله وأمان أنبياء ورسول الله عليهم وأنتم تعلمون جداً إننا قط ما نخدع بوعده وأماننا ، وهذا شيء مشهور على جنسنا عند جميع الملا - هذا ولا زايد والسلام

رقم في (كديت عاتى) وكتب باذن وأمر المذكور أعلاه :

رد قائد جيش قسنطينة على خطاب المارشال (قاله) (المخطوط ص ١٣٤) .

الحمد لله تعالى وحده . من عند كافة ناس قسنطينة وعلمائها وكبارها :
إني سعادة كبير الجزائرلية - أما بعد فقد اتصل بيدينا جوابك فتصفحناه وفهمنا
خطابك : وتقرر عندنا معناه واليوم نحن لم يكن معنا كلام - وإن كنت تريد الكلام
فها هو مولى البلاد وهو الحاج أحمد باي نازل بقربك فارسل إليه - وتكلم معه -
ولا زائد غير هذا والسلام .

الاتفاق الذي تم بين (الحاج أحمد باي) والعلماء وكبار رجال البلد بعد أن
دخل الفرنسيون الجزائر ، وأصبحت قسنطينة مهددة ، فاتفقوا معه على أن يحكم
بينهم بالعدل

تاريخ الخطاب : أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٤٦ . المخطوط (ص ١٩٤ -

(١٩٧)

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم : هذا
ظهير كريم ، خطاب واضح وأمر مبارك عميم ، وإعلام صالح عظيم وهو مبارك
جسيم فيه مصلحة تامة ، ومسيرة شاملة عامة بحول الله وقوته وعزته وإرادته ، قد
صدر ذلك وانبرم عندنا هنالك من جانب أمير البلد العظيم الأكرم المحام الأفخم ذى
الرأى السديد والتدبير الصائب السيد الحاج أحمد باي حفظه الله - بحضور العالم الحليل
الخطيب الأصيل أبي عبد الله السيد محمد شيخ البلد والعالم العلامة الفهامة السيد
مصطفى قاضي السادة الحنفية ، والعالم العلامة الأمثل السيد مصطفى مفتي السادة
الحنفية ، والعالم الفقيه السيد عمار مفتي السادة المالكية ، والعلامة الأكمل السيد
محمد العربي ناظر الأوقاف - والمعظم الأجل السيد مصطفى الخليفة ، والمعظم

الأصيل السيد الحاج محمد قائد دار الامارة السعيدة ، والمعظم الأمثل السيد محمد بن الحاج شيخ العرب الوجيه المبجل السيد محمد بن الجلاوى أغا الدائرة ، والزكى سى محمد ابن العربى قائد الزمالة وأعيان البلد والكبراء والأمناء وكافة أهل الحرف من العرب والأصناف - سدد الله الجميع ووفق الكل إلى صالح العمل وحسن الصنع أمين .

ليعلم الراقف على هذا المكتوب الأعظم والمنشور المبارك والأفخم الجالب للخير والسرور المضاعف بحول الله وقوته للبركة والخير وبه تكون إن شاء الله عافية البلاد وصفاء العباد وعمارة الوطن ، وذهاب البؤس والحن . وهو أن الأمير المتفق على إمارته والناظر فى كافة المصالح وعامة المطالب والمآرب هو السيد الحاج أحمد باى المذكور - لاخلاف عند أحد فى ذلك ، وإنه حرر الرعية من كافة المظالم السابقة ولا يطالبون بعزم ولا محنة ولا جلاس ولا جابرى ولا غير ذلك من الكاليف ولا يؤخذ منهم شئ سوى الزكاة والعشراؤبوجه ما أحكمه قانون الشرع العزيز للإستعانة على جهاد الكفرة دمرهم الله تعالى .

أعلم الأمير وشيخ البلد والعلماء بهذا اعلاماً تاماً شاملاً عاماً ، ومن أجل أن يكون هذا المكتوب للرعية أصلاً فى رفع المظالم عنهم يعتمدون عليه ، وأمرأ مبرماً ممن ذكر عند المهمات يرجعون إليه ، والقصد بذلك ادخال السرور على المسلمين والحرىان على سفن سبل المهتدين ، وعمارة الناس وإذهاب اليأس ، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب ، ولا رب غيره ولا خير إلا بخيره وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فحسب الراقف عليه الوقوف عنده - وعدم مخالفة .

كتب بإذن السادات ، والأمير كما ذكر .

مراجع البحث

أولاً - مصادر أصلية :

- (١) ابن إسماعيل ، أحمد بن إسماعيل بن صالح باي : ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باي الأزميري بولاية الجزائر (مخطوط بدار الوثائق بالرباط - المخطوط غير مؤرخ) - صالح باي قلد وظيفة باي (١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م)
- (٢) ابن العطار ، أحمد بن المبارك بن العطار القسنطيني : تاريخ بلاد قسنطينة . (مخطوط بدار الوثائق بالرباط - ١٢٨٤ هـ - ١٨٧٠ م)
- (٣) ابن العنترى محمد صالح بن العنترى : الأخبار المبينة لإستيلاء الترك على قسنطينة (مخطوط بدار الوثائق بالرباط - ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٦ م) .

ثانياً - مراجع عربية :

- (١) ابن أبي الضياف ، أحمد : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (تونس ١٩٦٣) ، ٢ ، ٣ .
- (٢) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس (تونس ١٩٦٧)
- (٣) ابن أبي زرع ، علي بن أبي زرع الفاسي (توفي ٧٤١ هـ) : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية (دار المنصور للطباعة - الرباط ١٩٧٢)
- (٤) ابن أبي زرع ، علي بن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (دار المنصور للطباعة - الرباط ١٩٧٣)
- (٥) ابن نخلدون ، عبد الرحمن بن محمد : كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٦ .
- (٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام (تحقيق العبادي ، إبراهيم الكتاني - ١٩٧٣)

- (٧) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .
- (٨) ابن عيود ، محمد عبد السلام : تاريخ المغرب - ٢ (١٩٥٧)
- (٩) البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (باريس ١٩١١)
- (١٠) الحزائري ، محمد عبد القادر : تحفة الناظر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر (بيروت ١٩٦٤) .
- (١١) جوليان ، شارل اندري جوليان : تاريخ افريقية الشمالية (تعريب محمد مزالي ، البشير بن سلامة تونس ١٩٦٩) .
- (١٢) الجيلالي ، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام - ١ (الجزائر ١٩٥٥)
- (١٣) الجيلالي ، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام - ٢ (الجزائر ١٩٥٥)
- (١٤) حسن ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية .
- (١٥) حسن ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - ٢ (١٩٦٨) .
- (١٦) حسنين ، محمد محمد : الاستعمار الفرنسي (القاهرة ١٩٦٠)
- (١٧) حقي ، إحسان حقي : الجزائر العربية (بيروت ١٩٦١)
- (١٨) الخطيب ، أحمد : الثورة الجزائرية (بيروت ١٩٥٨)
- (١٩) العقاد ، صلاح : الجزائر المعاصرة (القاهرة ١٩٦٣)
- (٢٠) العقاد ، صلاح : المغرب العربي في بداية العصور الحديثة (القاهرة ١٩٦٣)
- (٢١) العقاد ، صلاح : المغرب العربي (القاهرة ١٩٦٥)
- (٢٢) عنان ، محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين (القاهرة ١٩٦٤)
- (٢٣) فارس ، محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث (دمشق ١٩٦٩)
- (٢٤) القيرواني ، الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب (قطعة حققها المنجى الكعبي) - تونس ١٩٦٨
- (٢٥) يحيى ، جلال يحيى وآخرون : تاريخ المغرب الكبير - ٢ ، ٣ (١٩٦٠)

ثالثاً - مراجع أجنبية :

1. Abbas Ferhat : Le Jeune Algerien (1931).
 2. Bernard Augustin : L'Algerie (Paris, 1930).
 3. De Grammont, H. : Histoire d'Alger sous la domination Turque, (Paris, 1887).
 4. Esquer, Gabriel : La prise d'Alger (Paris, 1929).
 5. Esquer, G. : Histoire de L'Algerie (1950).
 6. Hanotaux, Gabriel & Martinaux, Alfred : Histoire des Colonies Françaises et de L'expansion de la France dans le monde (Paris, 1931).
 7. Hardi : Histoire des Colonies Françaises et de L'expansion de la France (Paris, 1941).
 8. Henrique, Louis : Les Colonies Françaises (Paris, 1889).
 9. Julien, Charles André : Histoire de L'Afrique du Nord (Paris, 1931).
 10. Julien, Charles-André : Histoire de L'Algerie Contemporaine (Paris, 1964).
-

شركة جنوب أفريقية البريطانية

ودورها في استعمار روديسيا الجنوبية

دكتور سعد زغلول عبد ربه

أستاذ مساعد التاريخ الحديث

BRITISH SOUTH AFRICA Co.

Dr. ABDRABOU, S. Z.

Cecil Rhodes was a colonial minded man. His aim was to colnize the land south of the Zambesi river by a Chartered company. The British Government yielded to his claim and a Charter was issued on the 29th of October 1889, by which the British South Africa Company was created.

The Company created a dispute with the King of the Matabele and the Company forces forced its way in the Matabele country. After the capture of the Matabele's Capital the country was renamed Rhodesia.

The Company laid hand on most of livestock and lands of the Matabele. These deads and other offensives caused a rising in the country. The Company took violent measures to supress the rising.

The Company's period ended on the 29 th of October 1914 and its terms were renewed for ten years after which the country was acknowledged a British protectorate.

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تقدما ملحوظا في نظام الشركات التجارية ذات البراءة الملكية Charter's Companies في بريطانيا . وكان ذلك النظام يتمشى مع سياسة التوسع الاستعماري التي كانت تتبعها معظم الدول الأوروبية . وقد اختلفت الشركات التجارية الجديدة عن الشركات القديمة

التي كانت تمارس نشاطها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . ويتركز الاختلاف في حظر الاحتكار التجاري ، وفرض رقابة الدولة على تصرفات الشركة ، وتدخلها في النزاع الذي قد يحدث بين الشركة والدول الأجنبية ، وضرورة صيغ الشركة بالصيغة البريطانية . واحتفظت الدولة لنفسها بالسلطة العليا وإمكان الغاء الامتياز ، وحل الشركة في حالة مخالفتها لشروط البراءة الممنوحة لها . وهناك تشابه بين الشركات التجارية ذات البراءة الملكية وبين الشركات التجارية القديمة حيث استخدمت الحكومة البريطانية كلا منها بصفة مؤقتة لفرض سيطرتها الاستعمارية دون التورط في مشاكل الحكم وما ينتج عنها من التزامات مالية ثم تتولى الحكومة السلطة الفعلية بمجرد استقرار الوضع في منطقة امتياز الشركة .

أولا : الدوافع التي أدت إلى إنشاء الشركة :

اجتذبت منطقة التايلاند والماشون أنظار معظم الدول الأوربية في أواخر القرن التاسع عشر بعد ظهور خام الذهب بها ، وصلاحياتها للاستيطان الأوربي . وفي تلك الفترة كان هناك سباق دولي للاستيلاء على المنطقة فتحرك البوير Boer من الجنوب والبرتغاليون من الشرق والألمان من الغرب في اتجاه المنطقة للاستيلاء عليها بعد أن اجتذبهم بريق الذهب والثروة المنتظرة ، وبدءوا في تقديم البنادق والمشروبات الروحية للملك لوبنجولا في نظير الحصول على امتيازات استغلال الأرض والتعدين في مملكته (١) . واستطاع بايت جروبلر P. Grobler ممثل جمهورية جنوب أفريقية البويرية توقيع معاهدة مع لوبنجولا في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٧ . وبموجب تلك المعاهدات أصبح من حق جمهورية جنوب إفريقية إستغلال جزء من أرض التايلاند ، كما تعهد لوبنجولا بتقديم المساعدة العسكرية لجمهورية جنوب إفريقية إذا ما تعرضت لهجوم خارجي ، وطلبت تلك المساعدة . ونصت تلك الاتفاقية على أن سريان نصوصها يتوقف على تعيين قنصل لجمهورية جنوب إفريقية في مقر لوبنجولا (٢) .

(1) C.O. : no. 806/303, pp. 1—3, Moffat to Shippard, 12. 12. 87.

(2) Leyeds, W.J.: The First Annexation...; p. 390, Basil, R.: Cecil Rhodes, p. 116, Samkange S. : The Origins of Rhodesia, pp. 47—48, Mason, p. : The Birth of ..., pp. 118—119.

ثانياً : خطوات تكوين الشركة :

وصل نبأ عقد اتفاقية جروبيلر إلى أسمع جون سيسل رودس J.C. Rhodes في ديسمبر سنة ١٨٨٧ (١)، وكان سيسل يعتقد أن له رسالة خاصة في الحياة ، وأن تلك الرسالة تتركز في ضم ما يمكن ضمه من الأراضي الإفريقية للممتلكات البريطانية ، ومد خط سكة حديد بريطاني من مدينة الرأس إلى القاهرة ، وكان إتمام ذلك المشروع يحتاج إلى وضع المنطقة تحت السيادة البريطانية (٢) ، ولذلك ما أن علم رودس بمعاهدة جروبيلر حتى طلب من المندوب السامي البريطاني في جنوب إفريقيا وضع أرض المتاييلي والماشون تحت الحماية البريطانية (٣).

وتصرف روبنسون Robinson المندوب السامي البريطاني على مسئوليته ، وبعث في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٨ بجون موفات J. Moffat مساعده في أرض بتشوانا إلى بولاوايو Bulawayo حيث يقيم لوبنجولا للمحافظة على المصالح البريطانية ، واقناعه بتوقيع معاهدة تحصل بريطانيا بموجبها على نفس الحقوق التي حصل عليها جروبيلر وأثر موفات على لوبنجولا الذي أعلن في أول فبراير سنة ١٨٨٨ زيف معاهدة جروبيلر . وبذلك الإعلان خلا الجو لموفات ، وحصل من لوبنجولا في ١١ فبراير سنة ١٨٨٨ على معاهدة تعهد فيها بالامتناع عن الاتصال بالدول الأجنبية أو عقد معاهدات معها أو بيع أو تخصيص جزء من أراضيه لأي فرد قبل الحصول على موافقة الحكومة البريطانية (٤) وبذلك يمكن القول أن تلك المعاهدة قد وضعت أرض المتاييلي تحت الحماية البريطانية .

وبمجرد توقيع المعاهدة بعث بها موفات إلى روبنسون الذي اعتمدها ، وأرسلها في ٢ أبريل سنة ١٨٨٨ إلى وزارة المستعمرات البريطانية ، وبين لها أن حكومة البرتغال حاولت فرض حمايتها على لوبنجولا . ولم يكثف روبنسون بذلك

(1) Samkange, S. : op. cit. p. 56.

(2) Ransford, O.: The Rulers of Rhodesia, pp. 170—173, Mason, p. : op. cit. p.114

(3) Mason, p. : ibid. p. 119 ; Cambridge Hist. : S.A. vol. VIII, p. 542.

(4) P.P. : C. 5524, P.P. 1-3, 13.

(5) C.O : Africa South of ... no. 358, pp. 88, Robinson to Knutsford, 12. 4. 88.

بل أمر بتحريك قوات الشرطة في أرض بتشوانا إلى قلعة إيلي Elebi . وبذلك أصبحت أرض المتاييلي محرمة على الدول الأجنبية (١) . ووافق نتسفورد وزير المستعمرات البريطانية بدوره على معاهدة موفات ، واستخدمتها وزارة الخارجية البريطانية بعد ذلك لمنع البرتغال من الاستيلاء على المنطقة ، ووصل مستعمرة أنجولا بمستعمرة موزمبيق .

الامتيازات الأجنبية في أرض المتاييلي :

١ - امتياز سوينبورن وينر :

ترتب على إعلان وجود الذهب في أرض المتاييلي اجتذاب المضاربين والباحثين عن الامتيازات إلى أرض المتاييلي . وكان أول امتياز حصل عليه الأوربيون في أرض المتاييلي هو الذي حصل عليه جون سوينبورن J. Swinbourne لاستغلال ذهب منطقة تاتي Tati في سنة ١٨٧٠ ، ثم الامتيازين اللذين حصل عليهما توماس بينر T. Baines للتعدين في المنطقة الواقعة وراء نهر شاشي Shashi (٢) .

٢ - امتياز وود :

حصل كل من جوزيف جاريت ووه J. C. Wood وادوارد شابان E. Chappan ووليام كورت فرانسيس W. C. Francais وجان كورتيلوس فان روين J. C. van Rooyen في مارس سنة ١٨٨٨ على تصريح من لوبنجولا للصيد في أراضيه . ووصلوا في تجولهم إلى لوما نجندي Lomangundi . وهناك رءوا كميات لا بأس بها من الذهب مع الوطنيين فاشتروها منهم . واجتذبهم بريق الذهب فعادوا إلى لوبنجولا وحصلوا منه على امتياز للتنقيب عن الذهب والمعادن في المنطقة الواقعة بين نهرى شاشي وماكلوتسى Maclautse من منبعهما إلى مصبهما ، واقامة الطواحين اللازمة لصهر وتشكيل المعادن واقامة المباني اللازمة للآلات والعمال .

(1) C.O. : ibid. no ; 358, p. 88, B.F.O. to P.F.O.

(2) Masen, P. : op. cit. p. 112, Samkange, S. : op. cit p. 68.

وفي نظير ذلك يحصل لوبنجولا على إيراد سنوي قدره مائة جنيه استرليني^(١).

اتجه وود وشركاه بعد الحصول على الامتياز إلى مدينة الرأس لجمع المال اللازم لممارسة نشاطهم التعديني في أرض المتاييلي ، وفي أثناء ذلك نشط رودس واستغل نفوذه عند شبرد Shippard المسئول البريطاني في المنطقة لمنع وود وشركاه من العودة إلى أرض المتاييلي حتى لا يثيروا حربا بين الملك لوبنجولا والزعيم خاما Khama الذي كان يعارض لوبنجولا في ادعائه ملكيته الأرض الواقعة بين نهري شاشي وماكلوتسي . ولما الح وود وشركاه في الذهاب إلى أرض المتاييلي قبضت عليهم السلطات البريطانية ، وأجبرتهم على توقيع تعهد بعدم دخول الأراضي الواقعة بين نهري شاشي وماكلوتسي . وبذلك التعهد منع وود وشركاه من ممارسة الحقوق التي خولها لهم الامتياز الذي حصلوا عليه من لوبنجولا^(٢).

٣ - امتياز وود :

استطاع رودس عن طريق الدس منع وود وشركائه من استغلال امتيازهم وبذلك أصبح الميدان خاليا أمامه ، واستغل الفرصة وبعث في فبراير سنة ١٨٨٨ كلا من تشارلي دوتل رود C. D. Rudd ورشفورت ماجير R. Maguire وفرانسيس تومبسون F. Thompson إلى بولاوايو للحصول على امتياز لتعدين الذهب في أرض المتاييلي ، وعن طريق رشوة واحد من مستشاري لوبنجولا ووصول شبرد إلى مقر لوبنجولا في مظاهرة عسكرية لإظهار مدى قوة بريطانيا - حصل رود في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٨٨ على الامتياز المطلوب . وبموجب ذلك الامتياز حصل رود وشركاؤه على حق التعدين في كل أراضي لوبنجولا ، مع السلطة الكاملة لاتخاذ ما يرون اتخاذه لوضع أيديهم ، واتخاذ الإجراءات القانونية لطرده الأشخاص الذين يدخلون أرض لوبنجولا بحثا عن الذهب وامتيازات التعدين . وتعهد لوبنجولا بالامتناع عن منح امتيازات أخرى إلا بموافقة رود وشركاه ، وفي نظير ذلك يحصل لوبنجولا شهريا على مائة جنيه استرليني بالإضافة إلى قارب مسلح وألف بندقية ومائة ألف خرطوشة على دفعتين - الأولى منهما

(1) Samkange, S. : ibid : pp. 68—69.

(2) Samkange, S. : ibid. pp. 69—70.

وقدرها خمسمائة بندقية وخمسين ألف خرطوشة تطلب فوراً من بريطانيا والدفعة الثانية يتم تسليمها عند بدء استغلال الامتياز (١).

بحصول رود على الامتياز أرسل نسخة منه إلى روبنسون وطلب مساعدة الحكومة البريطانية في منع دخول الأوربيين إلى المنطقة حتى لا يحدث اضطراباً بين شعب المتاييلي يترتب عليه انقسامه وحدوث حرب أهلية نتيجة سعى بعض الراغبين في الحصول على بعض الامتيازات ، وذكر لروبنسون أنه قد تعهد للوينجولا بتقديم المساعدة العسكرية في حالة تعرض أراضيها للاغارة من قوات معادية (٢). وتصرف روبنسون بسرعة فأرسل نسخة الامتياز إلى نتسفورد مينا أن اندفاع الأوربيين إلى أرض المتاييلي للحصول على امتيازات سيترتب عليه حدوث قلاقل بالمنطقة ، وأعلن ثقته التامة في رود ، وأنه سوف يعمل على رد المغامرين وتنمية المصادر الطبيعية في المنطقة ، ومراعاة شعور الوطنيين بدون تحيز (٣).

محاولة رودس استغلال امتياز رود :

قرر رودس تكوين شركة قوية والحصول على براءة ملكية تفضي على الشركة حماية - الحكومة البريطانية ، وتكسيها صبغة الحكومة ، وقابل وزير المستعمرات في يناير سنة ١٨٨٨ ، وعرض عليه الفكرة التي ترمى إلى فتح أرض المتاييلي والماشون للتجارة البريطانية وتوطين البريطانيين بها عن طريق استخدام شركة دي بيرز DeBears ولم يحصل رودس من نتسفورد على وعد رسمي بتأييد المشروع المقترح (٤).

واستمر رودس في جهوده ، وقابل روبنسون في مدينة الرأس ، وعرض عليه المحادثات التي دارت بينه وبين نتسفورد ، وحاول إقناعه بتأييد طلبه فذكر له الأعمال الهامة التي قامت بها «شركة تعدين الماس المتحدة» ConsolidatedDiamondCo. في المنطقة ، وأن الشركة الجديدة سوف تحصل على امتياز لاستغلال الأراضي التي

(1) P.P. : C. 5918, pp. 139...146.

(2) C.O. : op. cit. No. 369, p. 210, Rudd to Robinson, 23. II 88.

(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 210, Robinson to Knutsford, 5. 12. 88.

(4) C.O. : ibid. No. 369, p. I, Robinson to Knutsford. 21. 7. 88.

لا يستغلها أو يحتلها شعب المتابيلي ، وأنها سوف تحمي الوطنيين في الأماكن المحجوزة لهم من هجمات أعدائهم ، كما ستعمل على تنمية المصادر الطبيعية في المنطقة التي سوف تستغلها . وإيجاد حكومة فعالة بها . وطلب رودس من روبنسون منح الشركة الجديدة براءة ملكية مثلما حدث مع شركة بورنيو البريطانية^(١).

أخطر المندوب السامي وزير المستعمرات بمطالب رودس ، وطلب رأيه بالنسبة للمشروع الجديد وتعليقات الوزارة فيما يجب عمله إذا ما توفرت الفرصة لإنشاء مثل تلك الشركة ، خاصة وقد ترددت الإشاعات عن غنى أرض المتابيلي بالذهب ، واحتمال وقوعها تحت سيطرة بعض الدول المتحضرة الطامعة في المنطقة وحبذ روبنسون فكرة رودس على أساس أنها (أي الشركة) ستحافظ على حقوق الوطنيين ومصالحهم ، وتنمية مصادر الثروة في المناطق التي لا يستغلها الوطنيون عن طريق استخدام رأس المال البريطاني دون تحميل الحكومة البريطانية أية أعباء مالية ، وهو عبء سوف تتحمله الحكومة لو عملت على ضم المنطقة وتحويلها إلى مستعمرة بريطانية . وذكر روبنسون أن منح الشركة براءة ملكية سيكون أكثر فاعلية وأثراً في حدوث اندماج أو وحدة مع الممتلكات البريطانية في جنوب إفريقية من إنشاء مستعمرة للتاج البريطاني^(٢).

وافق نتسفورد على مشروع رودس المتعلق بتوطين البريطانيين في المنطقة وأعلن « أن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية سوف تنظر بعين الاعتبار لعملية توطين الرعايا البريطانيين في تلك البلاد بعد الحصول على امتيازات من زعمائها بشروط عادلة ومعقولة » ولكنه رفض فكرة منح الشركة براءة ملكية على أساس أن الوقت غير ملائم لمثل ذلك العمل ، وبين أن منح شركة بورنيو براءة ملكية حدث في ظروف شاذة ، وأن ذلك العمل قد لاقى معارضة شديدة في مجلس العموم البريطاني^(٣).

المتاعب التي ظهرت في طريق امتياز رود :

بالإضافة إلى رفض وزير المستعمرات منح براءة ملكية للشركة المقترحة فقد ظهر في الأفق متاعب أخرى تتعلق بامتياز رود فقد استغل المنافسون من المغامرين

(1) C.O. : ibid. No. 369, P, I Robinson to Knutsford, 21. 7. 88.

(2) C.O. : ibid. No 369, Robinson to Knutsford, 21, 7, 88,

(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 2, Knutsford to Robinson, 20. 8. 88.

الراغبين في الحصول على امتيازات في أرض المتابيلي إعلان الصحف في مدينة الرأس عن حصول رود على الإمتياز وتدخلوا عند لوبنجولا لإلغائه . وكان من بين هؤلاء حكومة جمهورية ترنسفال التي أرسلت نسخة من الصحيفة المنشور بها النبا إلى لوبنجولا . ولم يكن ذلك العمل من الخطورة مثلما كان لتدخل بعض البريطانيين الممثلين لبعض الشركات المناوئة لرودس وقدين هؤلاء للوبنجولا أنه قد خدع ونزك لرود وشركائه عن جميع بلاده . وكان من أهم هؤلاء الأشخاص موند Mond ممثل شركة الكشف والاستغلال Exploring And Exploiting Co. وقد أوحى موند للوبنجولا بارسال مندوبين عنه لمقابلة ملكة بريطانيا ، وتقديم شكوى ضد رود وشركاه . ووافق لوبنجولا على رأى موند وطلب منه مرافقة البعثة في رحلتها (١) .

موقف مساعدى رودس من تصرفات موند :

علم ماجير بامر البعثة فعمل على عرقلتها ، وبعث بخطاب إلى مساعد المندوب السامى ذكر فيه أن أعضاء البعثة ليسوا من زعماء المتابيلي ولا صلة لهم بلوبنجولا ، وطلب تدخل المندوب السامى ، واقترح أن ترسل الحكومة البريطانية ممثلاً لها إلى بولاوايو للاهتمام يشئون المنطقة وتقديم النصيح للوبنجولا (٢) . أما تومبسون فقد اتصل مباشرة بالمندوب السامى ، وأخبره بتصرفات موند وخاصة فيما يتعلق بتجاهل المندوب السامى ومحاولة الاتصال مباشرة بالملكة على أساس تحيز المندوب السامى الذى يوجه كل اهتمامه لمصلحة المستعمرة دون النظر إلى مصالح الامبراطورية البريطانية . وذكر تومبسون أن هدف موند من إثارة لوبنجولا هو إلغاء امتياز رود ، والحصول على امتيازات للتنقيب عن الذهب لمصلحته ومصلحة لورد جيفورد Gifford وشخص آخر يشغل منصبا حساساً في الحكومة البريطانية (٣) .

موقف رودس من تصرفات موند :

علم رودس بمحاولات موند فعمل على مقابله في كمبرلى ، وفي تلك المقابلة حاول إقناع موند بصحة امتياز رود ، وأن وثيقة الامتياز قد وصلت إلى الحكومة

(1) Samkange, S. : op. cit. pp. 89...90.

(2) C.O. : op. cit. No. 369, p. 253, Maguire to Newton, 5. 12. 88.

(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 248, Thompson to Robinson, 7. 12. 88.

البريطانية وبالتالي أصبح من العسير إلغاؤها . وفي نهاية المقابلة طلب منه توحيد جهود الجانبين للتوفيق بين مصالحهما . ورفض موند اقتراح رودس الذي أبقى للمندوب السامي بطلب إلقاء القبض على موند ومنع بعثة لوبنجولا من السفر إلى لندن ، ولما لم تجدى تهديدات رودس لحق بموند في مدينة الرأس ، وعرض عليه حدوث اندماج بين الجماعة التي يمثلها رودس – والجماعة التي يمثلها موند في نظير حصول شركة الكشف والاستغلال على ربع أسهم الشركة الجديدة المقترحة . ووافق موند على اقتراح رودس للجماعة التي يمثلها في لندن بما تم الاتفاق عليه (١) .

موقف المندوب السامي ومساعديه :

وصل موند إلى أرض المتابيلي ، وحاول إثارة المتاعب لإلغاء امتياز رودس فبعث موفات بخطاب إلى شبرد بين فيه وجود منافسات شديدة بين المطالبين بامتيازات في أرض المتابيلي ، وأن موند عمل على إحداث شقاق بالمنطقة ، وادعى أنه يمثل الحكومة البريطانية في لندن ، وأن روبنسون وشبرد ورودس يعملون لصالح وزارة المستعمرات ، وأن – الحكومة البريطانية تعارض الأهداف التي يسعون إليها . وذكر موفات أن هاجارد Haggard يلعب لعبة مشابهة في أرض المتابيلي وأنه يمثل وزارة الخارجية البريطانية التي تعارض سياسة وزارة المستعمرات . وحاول كل من موند وهاجارد إلقاء الشكوك على امتياز رودس ، وصوراه كما لو كان لوبنجولا قد ترك بموجبه جميع أرض المتابيلي لرودس وشركائه وطلب موفات من شبرد التدخل لمنع حدوث شقاق بين الرعايا البريطانيين وتقسيمهم إلى معسكرين متعارضين (٢) .

كانت شكوك موند فيما يختص بالمندوب السامي في محلها فقد انحاز روبنسون لإنحيازاً كاملاً لمعسكر رودس ضد موند وهاجارد ، وأخطر وزير المستعمرات بتصرفات وادعاءات كل منهما (٣) . ولم يكتف روبنسون بذلك بل عمل على إحباط محاولات موند ، وطلب من شبرد تحذير موند من أن وزير المستعمرات أنكر

(1) Samkange, S. : op. cit. pp. 93...95, 103...104.

(2) C.O. : op. cit. No. 369, p. 250, Moffat to Shippard, 8. 12. 88.

(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 250, Robinson to Knutsford, 6. 1. 89.

معرفة به أو بنواياه مع ضرورة اتصاله بالسلطات البريطانية في جنوب إفريقيا وعرض مطالبة عليها أولا^(١).

علم روبنسون بتوجه موند إلى بريتوريا فبعث برقية إلى ويليامز ممثل بريطانيا في بريتوريا لتحذير موند ولكنه كان قد غادر بريتوريا متجها إلى مدينة الرأس قبل وصول تلك البرقية^(٢). وبوصول موند إلى كمبرلي اتصل بروبينسون لتحديد موعد لمقابلة مبعوثا لوبنجولا^(٣). ورفض روبنسون تحديد الموعد على أساس أن لورد جيفورد الذي يمثله موند قد رفع تقريراً إلى وزير المستعمرات عن تصرفات موند في أرض المتاييلي ، وعلى أساس ذلك التقرير أمر وزير المستعمرات أن يتم اتصال لوبنجولا بالحكومة البريطانية عن طريق ممثلها في المنطقة ، وأن الحكومة البريطانية لن تستقبل ممثلاً لوبنجولا عند وصولهم إلى لندن . وعلى أساس تلك التعليمات طلب روبنسون من موند الاتصال بشرد^(٤).

لم يستجب موند لأوامر روبنسون وواصل رحلته ومرافقيه إلى مدينة الرأس وهناك طلب من روبنسون إعادة النظر في قراره ومقابلة مبعوثا لوبنجولا ، والاطلاع على ما يحملان من مستندات^(٥). وتراجع روبنسون عن موقفه وطلب من موند تقديم ما لديه من مستندات لبوير Bower السكرتير الإداري لمستعمرة الرأس . وتمت المقابلة بين موند وبوير في ٢٤ نوفمبر . وفي تلك المقابلة قدم موند مسودة خطاب يفوض فيه لوبنجولا مبعوثاه ببيان حدود بلاده ، وتقديم احتجاج على إغارات البرتغاليين على حدود أرض المتاييلي كما قدم خطاباً آخر من ريني تايلور R. Tailyour يمثله عند لوبنجولا ذكر فيه إنكار لوبنجولا توقيعهم على امتياز رود . وذكر موند لبوير أن رودس قد اتصل به في كمبرلي وعرض عليه إدماج الشركة المقترح إنشاؤها مع شركة الاستكشاف والاستغلال التي يمثله موند . وقد علق بوير على المحادثات التي دارت بينه وبين موند قائلاً

(1) C.O. : ibid. No. 369, p. 270, Robinson to Shippard, 15. I. 89.

(2) C.O. : ibid. No. 369, p. 270, Robinson to Williams, 17. I. 89.

(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 271, Maund to Robinson, 19. I. 89.

(4) C.O. : ibid. No. 369, p. 271, Robinson to Maund, 19. I. 89.

(5) C.O. : ibid. No. 369, p. 277, Maund to Robinson, 23. I. 89.

• إنه يعتقد أن مندوبا لوبنجولا يرغبان في إلقاء كلمة تتعلق بالامتيازات بالإضافة إلى الهدف الظاهري الخاص باعتداءات البرتغاليين على الحدود ، وأن إلقاء تلك الكلمة وتصرفات المندوبين يتوقف على قبول رودس شروط شركة الاستكشاف والاستغلال^(١).

وبحادث الاتفاق بين رودس وموند تغير موقف روبنسون تجاه بعثة لوبنجولا فسمح لها بالسفر إلى بريطانيا ، وأبرق إلى تنسفورد بخطر موافقته على سفر البعثة بعد تأكده من وثائق اعتمادها ، وأن الهدف من سفرها هو التأكد من وجود ملكة بريطانيا وأن سفر البعثة مفيد للمصالح البريطانية^(٢).

الموقف أرض المتابيلي :

ترتب على تدخل الأوروبيين حدوث أزمة كبيرة خاصة بامتياز رود ، واعتقد لوبنجولا أن رود وشركاه قد خدعوه ، وجعلوه يوقع على وثيقة نزل فيها عن جميع أراضيهم وجميع سلطاته . وترتب على ذلك تكوين حزب من شعب المتابيلي معارض لامتياز رود ، وقد عقد لوبنجولا مؤتمرا عاما لمناقشة مشكلة الامتياز . وفي ذلك المؤتمر أبدى تومبسون استعداده للتوقيع على وثيقة تنشر في جميع الصحف ينفي فيها نزول لوبنجولا عن أي شبر من أراضيهم أو النزول عن سلطاته ، وأن التنقيب عن الذهب سوف يتم بعيداً عن المدن والحدائق ، وأن جميع الأعمال التي سيقوم بها رود وشركاؤه سوف تخضع لقوانين المتابيلي . ورفض لوبنجولا ذلك العرض بتحريض من الأوروبيين المعارضين لرودس الذين ذكروا له أن شبرد سوف يستفيد من الامتياز ، وأن الهدف الأساسي من الحصول على الامتياز هو استيلاء حكومة الرأس على أرض المتابيلي^(٣).

وقد بعث جورج هنشكوك G. Hitchcocke بخطاب إلى شبرد وصف فيه الحالة السيئة التي وصلت إليها أزمة امتياز رود في أرض المتابيلي وأن جميع الجهود التي بذلت للقضاء عليها لم تثمر بسبب العقبات التي وضعها الأوروبيون المعارضون

(1) C.O. : ibid. No. 369, p. 274, Bower to Robinson, 24. 1. 89.

(2) C.O. : ibid. No. 369, p. 257, Robinson to Knutsford, 2. 2. 89.

(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 75, Moffat to Shippard, 31, 3. 89.

وكان للاكاذيب التي ذكروها أثرها على لوبنجولا . وقد حذ متشكوك وجود ممثل بريطاني يقدم النصح للوبنجولا ، وإمكان الاحتفاظ بامتياز رود باتباع أسلوب آخر ، وأن تطور الأزمة سوف يترتب عليه نتائج خطيرة إذا لم تعمل السلطات البريطانية على وقفها^(١).

بعث لوبنجولا بخطاب إلى ملكة بريطانيا ذكر فيه أن رود وآخرين طلبوا منه التصريح لهم بالتنقيب عن الذهب في بلاده في نظير منحه بنادق وذخيرة وزورقا ، وقد وصل إلى علمه أن الوثيقة التي وقعها تخالف الاتفاق الذي حدث بينه وبينهم ، وأنهم قد أثبتوا فيها حصولهم على حق التعدين في جميع أرض لوبنجولا وعلى أساس تلك الإشاعة عقد مؤتمر عام رفض فيه الموجودين الاعتراف بامتياز رود . وبموجب ذلك القرار طلب إعادة الوثيقة الأصلية ، واحتجز ماجير وتومبسون حتى يتم إعادة الوثيقة الأصلية^(٢).

لم يكتف لوبنجولا بخطابه إلى ملكة بريطانيا فبعث بخطاب آخر إلى شبرد طلب فيه إعادة الوثيقة الأصلية ، ويخطر بقراره الخاص بحجز تومبسون وماجير حتى يتم إعادة الوثيقة^(٣) . وقد بين شبرد للوبنجولا « أن الحكومة البريطانية لا شأن لها بأصحاب الامتياز ، وأن عليه الاتصال بموفات في حالة الرغبة في الاستفسار عن بعض الأمور ، أو الحاجة إلى نصيحة ما^(٤) » وبهذا رفض شبرد حدوث اتصال مباشر بينه وبين لوبنجولا . ولم يكتف شبرد بذلك الرد السلبي بل بعث برده إلى لوبنجولا عن طريق موعات ، وأرفق ذلك الرد بخطاب طلب فيه من مرفات تسليم لوبنجولا نسخة الامتياز التي بعث بها إليه في الثالث من مايو لتسليمها إلى تومبسون أو ماجير وأعلن شبرد أسفه لوجود نغمة تدل على سوء توجيه الراغبين في الامتيازات للوبنجولا ، وأمله في أن يستطيع موفات إعادة الهدوء والثقة إلى قلب لوبنجولا ببيان مقدار اهتمام الحكومة البريطانية به وبشعبه^(٥).

(1) C.O. : ibid. No. 372, p. 96, Hichcocke to Shippard, 31. 3. 89.

(2) P.P. : C. 5918, p. 201, C.O. : op. cit. No. 372, p. 96, Lobengula to Queen Victoria, 23. 4. 89.

(3) C.O. : ibid, No. 372, p. 101, Lobengula to Shippard, 26. 4. 89.

(4) C.O. : ibid. No. 372, p. 101, Shippard to Lobengula, 27. 5. 89.

(5) C.O. : ibid. No. 372, p. 101, Shippard to Moffat, 27. 5. 89.

الجهود التي بذلها رودس للحصول على البراءة الملكية :

كانت هناك عقبات كان على رودس تذليلها وتخطيها قبل الحصول على البراءة الملكية . وكان من أهم تلك العقبات المنافسين الذين يحملون امتيازات في أرض المتابيلي وكانت تلك العقبة من أسهل العقبات التي واجهته فاشترى أغلبها بأمواله ، واتفق مع اللورد جيفورد على دمج « شركة الاستكشاف والاستغلال » مع شركته . وبهذه الطريقة تمكن رودس من القضاء على منافسة أصحاب الإمتيازات والشركات المعارضة . وكانت العقبة الثانية تتعلق بمعارضة بعض ذوى المكانة من البريطانيين الذين كونوا لجنة لمنع حصول رودس على براءة ملكية . وقد حاول رودس القضاء على الأثر الضار لتلك الجماعة بالاعتماد على شخصيات بريطانية مشهورة مثل لورد روتشلد Rothschild وروبنسون . وقد تغلب رودس على تلك الجماعة بتعيين دوق فيف Fife وشقيق لورد جراي مديرين في الشركة المقترحة . وتمثلت العقبة الثالثة في جماعة الإنسانيين وجماعة المدافعين عن الشعوب البدائية . وقد اقنع رودس تلك الجماعات بأن الشركة سوف تعمل على الارتقاء بالوطنيين وتحضرهم ، وادعى كذبا أن الشركة سوف تعمل للقضاء على تجارة الرقيق التي لم تكن موجودة في المنطقة (١).

سعى رودس جاهدا للحصول على البراءة الملكية ، وبين للحكومة البريطانية أن الهدف من إنشاء الشركة الجديدة هو فتح المنطقة للتجارة البريطانية ، وتوطين البريطانيين فيها عن طريق استخدام « شركة دي بيرز » DeBeers وأبدي استعداداه للتعاون مع من يحملون امتيازات في أرض المتابيلي ، وتنفيذ اقتراح لورد جيفورد ، وأن الترتيبات قد تمت بينه وبين لورد جيفورد بخصوص ذلك الاقتراح وردت عليه وزارة المستعمرات بأنها على اتصال بلورد جيفورد (٢).

وقد خطى لورد جيفورد هو الآخر خطوة أخرى فاخطر وزارة المستعمرات بأن شركة الاستكشاف والاستغلال التي يرأسها تهدف إلى تنمية واستخراج

(1) Robinson, R and Others - Africa and The Victorians, p. 240, Samkange, S. : op. cit. p. 125.

(2) C.O. : op. cit. No.372, p.66, Rhodes to Knutsford, Knutsford to Rhodes, 16. 5-89, P.P. : c. 5918, pp. 224, 189.

المعادن ، وأنه يرى أن تكوين شركة ذات إمكانيات كبيرة تشرف على استغلال الامتيازات في أرض المتابيلي سيترتب عليه تجنب حدوث تضارب أو تصادم بين أصحاب المصالح ، وضمان حقوق الوطنيين والزعماء ، واقترح تكوين شركة تتحمل المسؤوليات الجسيمة المتعلقة باستغلال المنطقة تؤيدها الحكومة البريطانية من الناحية الأدبية ، وتضمن الحقوق والمصالح التي حصل عليها مؤسسو الشركة الجديدة عن طريق منحها براءة ملكية ، ويكون للشركة مجلس إدارة في لندن من كبار الشخصيات البريطانية يعاونه مجلس إدارة في منطقة الامتياز ، وبذلك تصبح الشركة قادرة على تنمية مصادر الثروة بالمنطقة الواقعة شمال أرض بتشوانا وتعميرها لمصلحة التجارة والاقتصاد البريطاني بالإضافة إلى مراعاة مصالح الوطنيين^(١).

استجابت وزارة المستعمرات لمطلب لورد جيفورد ، وطلبت منه تزويدها بمسودة للبراءة الملكية المقترحة حتى يستطيع وزير المستعمرات الحكم على ملائمة المشروع للعرض على مجلس الوزراء البريطاني . وبينت الوزارة أن قبول المشروع يتوقف على الأشخاص الذين يتولون تنفيذه والشروط التي يتضمنها ومدى ضمانه لحقوق ومصالح الأوربيين والوطنيين وقبول أو رفض لوبنجولا له^(٢).

تبنت وزارة المستعمرات موضوع الشركة المقترحة ، وأخطر وزير الخارجية بحدوث اندماج بين شركتي جيفورد وروودس ، وأنه يأمل في قيام الشركة الجديدة بتوحيد المصالح البريطانية في أرض المتابيلي والمنطقة الواقعة شمالها ، وأن يلقى المشروع قبول الحكومة البريطانية ، ومنح الشركة المقترحة براءة ملكية تجعل شؤنها تحت الاشراف المباشر للحكومة البريطانية ، و التدخل الفعال في شؤنها وتوجيهها حتى لا تحدث تعقيدات ومشاكل في المنطقة يترتب عليها إرسال الحكومة البريطانية حملات عسكرية لإقرار النظام بالمنطقة . وبين وزير المستعمرات أن نظام الشركات ذات البراءات الملكية يخلص الحكومة البريطانية من المشاكل الدبلوماسية ومن النفقات الكبيرة التي قد تضطر إلى إنفاقها خاصة وقد ثبت نجاح هذا النظام في شركة شرق إفريقية البريطانية ، وأن إنشاء مثل تلك الشركة سيقدم خدمات

(1) C.O. : op. cit. No. 372, p. 65, Gifford to C.O., 30. 4. 89.

(2) C.O. : ibid. No. 372, p. 70, C.O. to Gifford, 16. 5. 89.

قيمة للحكومة البريطانية في منطقة جنوب إفريقية . واقترح وزير المستعمرات على وزير الخارجية أن تتضمن البراءة الملكية في حالة منحها نصاً يحتم على الشركة ضرورة إدخال المنطقة الواقعة شمال نهر الزمبيزي اللازمة للتحكم في المواصلات مع مرتفعات شيرى وبحيرة نياسا ضمن منطقة نفوذ الشركة ولو بعد فترة من ممارسة نشاطها^(١) ووافق سالسبوري وزير الخارجية البريطانية على رأى تنسفورد فيما يختص باقتراح لورد جيفورد لما به من اقتراحات بناءة ولكنه رأى عدم تضمين البراءة الملكية أية التزامات بالنسبة للمنطقة الواقعة شمال نهر الزمبيزي حتى لا يترتب على ذلك أية تعقيدات سياسية مع احتفاظ الحكومة البريطانية بحقها في إضافة مناطق أخرى لمنطقة نفوذ الشركة عن طريق إصدار التراخيص اللازمة^(٢).

تقدم رودس بمذكرة لوزير المستعمرات ذكر فيها أنه قد طلب منحه وشركائه براءة ملكية لتنمية التجارة في منطقة جنوب ووسط إفريقية ، واستكمالا لذلك الطلب فانه يقترح على الحكومة البريطانية تعيين مقيم بريطاني في أرض المتابيلي لتقديم النصح للوبنجولا ، وتأييد الشركة ، على أن تتحمل الشركة المقترحة الأموال اللازمة لتغطية نفقات إشراف الحكومة البريطانية على أرض المتابيلي وحوض نياسا ، كما تتحمل الشركة نفقات مد خط مواصلات سلكية من ميفكنج Maifeking إلى تاتي Tati ^(٣) وطلب تنسفورد من سالسبوري وضع اقتراح رودس الجديد في مقدمة الاعتبارات التي سوف تضعها الحكومة البريطانية لمنع الشركة البراءة الملكية لما له من أهمية كبرى^(٤) ووافق سالسبوري على رأى تنسفورد ، وبين ضرورة قبول اقتراحات رودس لأنها اقتراحات عملية تؤدي إلى استتباب الأمن في المنطقة ، وتقدم الوسائل الفعالة لنجاح المشروع نظير الحصول على البراءة الملكية^(٥).

(1) C.O. : ibid. No. 372, p. 71, Knutsford to Salisbury, 16. 5. 89.

(2) C.O. : ibid, No. 372, p. 79, Salisbury to Knutsford, 1. 6. 89.

(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 77, Rhodes to Knutsford, 22. 5. 89, F.O. : 403/111, pp. 128 129, p.p. : C. 5918, p. 195.

(4) C.O. : op. cit. No. 372, p. 81, Knutsford to Salisbury, 4. 6. 89.

(5) C.O. : ibid. No. 372, p. 81, Salisbury to Knutsford, 7. 6. 89.

سلم لورد جيفورد مسودة البراءة الملكية في ٢٣ مايو سنة ١٨٨٩ لوزارة المستعمرات التي بعثت بها إلى وزارة الخارجية تستطلع رأيها في بنودها . ووافقت وزارة الخارجية على المسودة وطلبت من وزارة المستعمرات إخطار رودس وشركائه بموافقة الحكومة البريطانية على المسودة ، وأنها سوف تنصح صاحبة الجلالة البريطانية بمنح الشركة البراءة المطلوبة^(١) بشرط أن تخضع الشركة لنفس الشروط التي خضعت لها من قبل الشركات البريطانية ذات البراءة الملكية^(٢) ، وموافقة طالبي البراءة الملكية على تغيير المسودة وخضوع تفصيلاتها لما تراه الحكومة البريطانية^(٣).

وافقت الحكومة البريطانية على مسودة البراءة الملكية ، وطلبت من رودس تسديد مبلغ ثلاثين ألف جنيه إسترليني وهو المبلغ اللازم لمد خط المواصلات السلوكية^(٤) وصدرت البراءة الملكية في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٩ ، وبموجبها أصبحت الشركة صاحبة اليد العليا في الشؤون الإدارية والمالية المتعلقة بالمنطقة التي يحدها من الغرب أرض بتشوانا البريطانية ومن الشرق مستعمرة موزمبيق البرتغالية وجمهورية جنوب إفريقيا ومن الجنوب جمهورية جنوب إفريقيا . واعتمدت البراءة الملكية جميع الإمتيازات التي حصلت عليها الشركة والمعاهدات التي عقدها . وأصبح من حقها توطين الأوربيين واستغلال الأراضي والمعادن في منطقة امتيازها تحت إشراف الحكومة البريطانية^(٥).

بصدور البراءة الملكية طلب رودس من الحكومة البريطانية منحه الحرية المطلقة في استعمار واستغلال المنطقة دون تدخل من جانب الحكومة البريطانية في شؤونها ووافقت وزارة المستعمرات على ذلك الطلب^(٦) . وأصبحت الشركة ذات سلطة مطلقة في منطقة جنوب إفريقيا ، ولها حرية التصرف في المنطقة الواقعة شمالي نهر الزمبيزي ومنطقة نياسا بما فيها منطقة نهر شيرى^(٧) حتى يمكن منح وقوع

(1) C.O. : ibid. No. 372, p. 97, Salisbury to Knustford, 28. 6. 89.

(2) C.O. : ibid. No. 372, p. 104, Salisbury to Knutsford, 5. 7. 89.

(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 103, Knutsford to Gifford, 10. 7. 89.

(4) C.O. : ibid. No. 372, p. 135, Knutsford to Rhodes, 22. 10. 89.

(5) Hertslet, E. : The Map of...pp. 174...182, C.O. : C.O.cit. No. 439, p. 40, Knutsford to Loch, 14. 11. 89.

(6) C.O. : ibid. No. 439, Knutsford to Loch, 14. 11. 89.

(7) F.O. : 2/55, Johnston to Rhodes, 8. 10. 93.

المنطقة في أيدي الألمان أو البرتغاليين ، وعلى أساس أن سيطرة الشركة على المنطقة الواقعة غربي بحيرتي نياسا وتنجانيقا سوف يضمن وجود مجرى مائي بريطاني إلى الشمال^(١) . وعلى هذا الأساس حصلت بريطانيا في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٠ و ١١ يونيو سنة ١٨٩١ على اعتراف برتغال بوجود منطقة نفوذ بريطانية في المنطقة الواقعة شمال نهر الزمبيزي إلى الغرب من بحيرة نياسا ، وامتداد تلك المنطقة حتى حدود دولة الكونغو الحرة ومستعمرة أنجولا ، وفي المنطقة الواقعة جنوبي نهر الزمبيزي. وبذلك حصلت الشركة على كل أرض باروتسي وهضبة مانيككا Manyka^(٢)

ثالثاً : أعمال الشركة :

١ - احتلال أرض الماشون :

بدأ رودس بعد الحصول على البراءة الملكية في محاولة استغلال امتياز رود . وكان هذا العمل يتطلب موافقة لوبنجولا على قيام الشركة بأعمال التنقيب في بلاده ، فبعث بموند وجيمسون إلى حيث يقيم لوبنجوزلا ، وكان على موند الاستمرار في الحصول على ثقة لوبنجولا دون أن يعلن انضمامه لرودس . أما جيمسون الذي كان الممثل العلني للشركة فقد منحه رودس سلطة اتخاذ الإجراءات المناسبة لمصلحة الشركة ، وإقناع لوبنجولا بتحديد مكان للتنقيب عن الذهب وشرق طريق في بلاده يصل إلى أرض الماشون . وقد صادف الحظ جيمسون بعد معالجته للوبنجولا من المرض الذي ألم به ، ومنحه لوبنجولا في العاشر من ديسمبر سنة ١٨٨٩ التصريح اللازم للتنقيب عن الذهب في منطقة تاني ووافق رودس على المكان المقترح حتى يمكنه إرسال الرجال إلى المنطقة وإعلان أن امتياز رود قد أصبح موضع التنفيذ ، ولذلك لم يمض على تصريح لوبنجولا سوى إثنا عشر يوماً حتى بدأ التنقيب عن الذهب في المناجم القديمة التي كان معروفاً جيداً أنها خالية تماماً من الذهب^(٣).

(1) F.O. : 403/143, C.O. to F.O., 12. 4. 89.

(2) Hertslet, E. : op. cit. pp. 728...742.

(3) Michell, L. Life of Rhodes, vol. 1, p. 294, Lucas, C. : Hist. Geog. of South Africa vol. 1. p. 314, Samkange, S. : op. cit. pp. 164...165.

قرر هنري لوك H. Loch المندوب السامي في مستعمرة الرأس تنفيذ شروط البراءة الملكية الخاصة بالإشراف الحكومي على أعمال الشركة فعقد في العاشر من يناير سنة ١٨٩٠ إجتماعاً حضره شبرد وممثلو الشركة بما فيهم رودس ، وناقش المجتمعون مشروعات الشركة المتعلقة بدخول أرض الماشون واستغلالها . وقد بين رودس للمجتمعين أن الشركة قد بدأت فعلاً في التنقيب عن الذهب في المنطقة المجاورة لتاني ، وأن لوبنجولا قد صرح للشركة بالتنقيب في أماكن أخرى إذا لم يعثر على الذهب في المنطقة الأولى . وكان رودس يشير بذلك إلى أرض الماشون . وفي نفس الاجتماع عرض رودس المشروع الذي وضعتة الشركة لدخول أرض الماشون واستغلالها وكان ذلك المشروع يتطلب اشتراك قوات الشرطة الإمبراطورية^(١).

بعث لوك بتقرير إلى وزير المستعمرات أخطره فيه بموافقة لوبنجولا على احتلال الشركة لأرض الماشون بسبب تهديد البوير للمنطقة ، وأنه يرى استحالة منع الآخرين من الوصول إلى حقول الذهب ما لم تعجل الشركة باحتلال المنطقة^(٢). ولم يعترض وزير المستعمرات على تقدم قوات الشركة ولكنه وجه نظر لوك إلى أن اصطدام قوات الشركة مع محاربي المتابيلي أو البوير سوف يترتب عليه نتائج خطيرة قد يكون من بينها الحرب بين بريطانيا والبوير وهو ما لا ترغب الحكومة البريطانية في حدوثه^(٣) . واتصل وزير المستعمرات بوزير الخارجية وذكر له الإشاعات المنتشرة في جنوب إفريقية وتشير إلى هجرة عدد كبير من البوير إلى أرض بتشوانا ، وما يترتب على ذلك العمل من عرقلة المشروعات البريطانية^(٤). ووافق وزير الخارجية على منح المندوب السامي حق التصريح بتقدم قوات الشركة في أرض الماشون^(٥) وعلى هذا الأساس منح وزير المستعمرات المندوب السامي سلطة التصريح بتقدم قوات الشركة إلى أرض الماشون في الوقت الذي يراه مناسباً،

(1) C.O. : op. cit. No. 392, p. 27, Loch to C.O., 10. 1. 90.

(2) C.O. ibid. No. 392, p. 68, Loch to C.O., 20. 2. 90.

(3) C.O. : ibid. No. 392, p. 69, C.O. to Loch, 22.2. 90.

(4) C.O. : ibid. No. 392, p. 74, C.O. to F.O., 26. 2. 90.

(5) C.O. : ibid. No. 392, p. 83, F.O. to c.O., 7. 3. 90.

وبين ضرورة حصول الشركة على مساعدة لوبنجولا^(١) لما في ذلك من تسهيل عمل الشركة وإكسابه صفة الشرعية .

وافق لوك على مشروع تقدم قوات الشركة في أرض الماشون^(٢) على أن يبدأ التنفيذ في السادس من يونيو سنة ١٨٩٠^(٣) وتحركت قوات الشركة في الحادي والعشرين من يونيو سنة ١٨٩٠ من موقعها على نهر ماكلوتس Macloutsie تؤيدها قوات شرطة بتشوانا إلى نهر تولى^(٤) Tuli وعبرته في الثالث والعشرين من يوليو بدون معارضة من قوات لوبنجولا^(٥) ، ووصلت إلى نهر لوندى Lundi في ١ أغسطس^(٦) واستمرت قوات الشركة في تقدمها بدون حدوث صدام بينها وبين قوات لوبنجولا حتى وصلت إلى هدفها في ١٢ سبتمبر من نفس العام^(٧) وبمجرد وصولها إلى موقع مدينة سالسبوري الحالية رفعت علم الاتحاد على قلاع سالسبوري وتولى وفيكتوريا بدلا من علم الشركة . وكان الهدف من ذلك إيهام الرأي العام البريطاني أن الشركة تستغل المنطقة لمصلحة الشعب البريطاني وليس لمصلحتها .

٢ - شراء امتياز ليرت :

واجهت الشركة في بداية عملها عدة مصاعب كان أولها حصول ليرت Lippert وهو رجل أعمال ألماني على امتياز استغلال سطح المنطقة التي حصل رود على امتياز التنقيب فيها . وكان ريني تايلور R. Tailyour مندوب ليرت قد استطاع إقناع لوبنجولا بمنحه امتياز استغلال سطح منطقة امتياز رود حتى يمكن حرمان رودس من استغلال الامتياز . وعلى هذا الأساس حصل تايلور من لوبنجولا في ٢٢ أبريل سنة ١٨٩١ على امتياز إنشاء مزارع ومراكز حراسة وغيرها من الأعمال مدة مائة

(1) C.O. : ibid. No. 392, p. 92, C.O. to Loch, 10. 3. 90.

(2) C.O. : ibid. No. 392, p. 196, Loch to B.S.A. Co., 20. 4. 90.

(3) C.O. : ibid. No. 392, p. 240, Loch to B.S.A. Co., 6. 6. 90.

(4) C.O. : ibis. No. 392, p. 296, Doyle to Loch, 23. 7. 90.

(5) C.O. : ibid. No. 392, p. 328, Loch to Knutsford, 3. 8. 90.

(6) C.O. : ibid. No. 392, p. 328, Loch to Knutsford, 3, 8. 90.

(7) C.O. : ibid. No. 392, p. 334, Loch to Knutsford, 23. 9. 90.

عام . وما أن علم رودس بأمر ذلك الامتياز حتى قبض على تايلور في أرض بتشوانا عند عودته من بولاوايو . وتدخل مؤيدو تايلور ، وهددوا المندوب السامي بنقل الموضوع إلى لندن فاضطر إلى الإفراج عنه واضطر رودس في النهاية إلى شراء امتياز ليرت (١).

٣ - إحتلال أرض المتاييلي :

لم تعثر الشركة على الذهب في أرض الماشون ، واضطرت إلى تخفيض مصروفاتها من ربع مليون جنيه استرليني إلى ستة وثلاثين ألف جنيه ، وتخفيض قوات شرطتها من سبعمائة إلى أربعين فرداً فقط . واعتقد المسئولون عن الشركة إمكان العثور على الذهب في أرض المتاييلي التي لم ينس ملكها لوبنجولا كيف اغتصب البيض أرض الماشون منه ، ولم تصنع الحكومة البريطانية إلى اعتراضاته . وخشيت الحكومة البريطانية حدوث صدام بين الجانبين وحذر وزير المستعمرات الشركة وبين لها إمتناع الحكومة البريطانية عن تقديم أى مساعدة لها في حالة مهاجمة قوات المتاييلي لها . وكان المسئولون عن الشركة يدركون أن الحصول على تصريح بالتنقيب عن الذهب من لوبنجولا لن يتم بسهولة ، وفكروا في إثارة لوبنجولا حتى تهاجم قواته الشركة وبالتالي يوجد السبب الذي يعطى الشركة حق مهاجمة لوبنجولا وغزو بلاده والحصول على الذهب وإنقاذ الشركة من الإفلاس ودفع أرباح المساهمين ولذلك فقد بذل البيض كل ما في وسعهم لإغتياب وإثارة لوبنجولا (٢).

كان القائمون بأمر الشركة يرون أن لوبنجولا يمثل عقبة كبيرة في سبيل الحصول على الذهب لا بد من القضاء عليها حتى يمكن إطلاق يد الشركة في المنطقة ، وقرر جيمسون خلق الفرصة التي تؤدي إلى إثارة الحرب مع المتاييلي . ووافق رودس في الثامن عشر من يوليو سنة ١٨٩٣ على قرار جيمسون (٣).

(1) P.P. : C. 7171, p. 8.

(2) P.P : C. 7171, p. 10.

(3) Samkange, S. : op. cit., pp. 243—248, Michell, L. : op. cit., Vol. II, p. 85, Williams B. : Rhodes, p. 174.

وبثلك الموافقة بدأ جيمسون في الرابع عشر من أغسطس الاستعداد سرّاً لمحاربة لوبنجولا ، وجميع الرجال الذين سوف يشتركون في الحرب ، ووعد كلا منهم بالحصول على مزرعة مساحتها حوالى ٦٠٠٠ أكر من أرض المتاييلي مع استعداد الشركة لشراؤها بحوالى تسعة آلاف جنيه بالإضافة إلى جزء من الغنائم التى سوف تحصل عليها الشركة من أرض المتاييلي (١) . ومهد جيمسون لعملية الغزو فاخطر المندوب السامى أن أرواح وممتلكات البيض قد أصبحت فى خطر بسبب مهاجمة المتاييلي للمنطقة التى تسيطر عليها الشركة ، وأن الظروف القائمة تستدعى قيام الشركة بحملة تاديبية ضد المتاييلي (٢) . ووافق المندوب السامى على رأى جيمسون حتى لا تقف أية عقبة فى سبيل نشر الحضارة بالمنطقة ، وأمر بتحريك قوات الشرطة الامبراطورية بقيادة جولد آدمز G. Adamas إلى نهر ماكلوتسى حتى تستطيع تنفيذ الخطة العسكرية التى وضعها جيمسون لغزو أرض المتاييلي (٣) . وواتت الفرصة جيمسون فى مايو سنة ١٨٩٣ عندما سرق مجهولون خمسمائة ياردة من أسلاك خط المواصلات السلكية الذى يمر بأرض المتاييلي (٤) . واتهم جيمسون أفراد المتاييلي المقيمين فى المنطقة المجاورة بسرقة الأسلاك ، واستولى على ماشيتهم ، واحتفظ بها رهينة حتى يتم رد الأسلاك المسروقة ومعاقبة السارقين (٥) . أوحى جيمسون للوبنجولا أن أفراد شعب الماشون هم الذين سرقوا الماشية (٦) . وعلى أساس ذلك الإيحاء أرسل لوبنجولا فى ١٤ يوليو قوة من محاربيه لاستعادة الماشية المسروقة ومعاقبة السارقين ، وأخطر كلا من جيمسون والكابتن لندى قائد قلعة فيكتوريا بهدف الحملة وأن الأوامر قد صدرت لها بعدم التعرض للمستوطنين البيض . وفسر لندى وجيمسون تلك التعليمات بخوف لوبنجولا من الاشتباك مع

(1) Harris, J.H. : The Chartered Millions, p. 82, Peller, S. : Lobengula, p. 212, Mason P. : op. cit., p. 173.

(2) P.P. : C. 7171, p. 60.

(3) Harris, J.H. : op. cit., p. 79.

(٤) من رأى بناء على تصرفات جيمسون أنه هو الذى دبر سرقة الأسلاك رغبة منه فى إيجاد القدر اللازم لمهاجمة أرض المتاييلي .

(5) P.P. : C. 7171, p. 45.

(6) Peller, G.S. : op. cit., p. 203.

البيض . ووصلت قوات لوبنجولا إلى مشارف قلعة فيكتوريا في ١٧ يوليو ، وهرب أفراد الماشون إلى القلعة للاحتباء بها وطلب قائد المتاييلي من لندى تسليم أفراد الماشون والماشية التي استولوا عليها ، ورفض لندى ذلك الطلب . وكان جيمسون موجوداً بالقلعة فاستدعى مندوبي المتاييلي لمقابلته وتعهد إهانتهم ثم طلب منهم الانسحاب فوراً من المنطقة عبر الحدود في ظرف ساعة وإلا أطلقت قوات الشركة النار عليهم^(١) . ورفضت قوات المتاييلي غير المسلحة الاستجابة لأوامر جيمسون الذي أمر بإطلاق النار عليها وقتل ثلاثين من أفرادها . ولم يقابل المتاييلي العنف بالعنف تمسكا منهم بتعليمات ملكهم . وكما هي عادة جيمسون عمد إلى تشويه الحقائق فاتهم المتاييلي بمهاجمة شعب الماشون وقتل بعضهم ومهاجمة مدينة فيكتوريا وقتل بعض سكانها وسرقة الماشية وإحراق بعض الأماكن مما اضطرت معه قوات الشركة إلى إطلاق النار عليهم لتفريقهم^(٢) .

إنقاد المندوب السامي لادعاءات وأكاذيب جيمسون فبعث في ٢٠ يوليو برسالة إلى لوبنجولا بين له فيها مخالفة قواته للتعليمات الصادرة لها ودخولها شوارع مستوطنة فيكتوريا وقتلها بعض سكانها ، وحذره من التمادي في مثل تلك الأعمال وإلا جلب على نفسه العقاب ، وذكر له أنه لن يستطيع بعد ذلك كبح جماح البيض الذين سوف يقومون برد وتاديب قوات المتاييلي الموجودة بجوار قلعة فيكتوريا إذا لم يأمر فوراً بسحبها ومعاقبة زعمائها^(٣) . أما جيمسون فقد أرسل رسالة شديدة اللهجة للوبنجولا وطلب معاقبة زعماء القوة التي وصلت إلى قلعة فيكتوريا ، وعدم تخطي قوات المتاييلي الحدود التي أدعى حدوث اتفاق بشأنها ، وأتهم تلك القوة بسرقة ماشية المستوطنين وطلب رد الماشية المسروقة وإلا قضى على أفراد تلك الحملة^(٤) .

اعتذر لوبنجولا الذي لم يكن قد وصلته في ذلك الوقت أية معلومات من رجاله وتعهد برد الماشية المسروقة ومعاقبة المسؤولين عن تلك الحوادث^(٥) . وكان

(1) P.P. : C. 7171, pp. 46—54.

(2) P.P. : C. 7171, pp. 60—65.

(3) Samkange, S. : op. cit., p. 246 ; Mason, P. : op. cit., p. 169.

(4) Colvin, I. : The Life of Jameson, Vol. I, pp. 249—250.

(5) P.P. : C. 7171, p. 65.

في ذلك الوقت لا يرغب في حدوث متاعب بينه وبين البيض لوجود جزء كبير من جيشه في حملة ضد زعيم قبيلة لوانيكـا Lewanika المقيم في أرض باروتسي وما أن علم لوبنجولا بحقيقة ما حدث وأن الشركة هي التي سرقت الماشية حتى غضب غضباً شديداً ، وأخطر جيمسون أنه لن يعيد أية ماشية أو يدفع أى تعويض حتى تعيد له الشركة ما استولت عليه من ممتلكاته وتفرح عن أسرى المتاييلي ، وأن قواته سوف تهاجم ممتلكات البيض ، وتستولي على ما تستطيع الاستيلاء عليه تعويضاً عن ماشيته التي استولت عليها الشركة^(١) . ورد على المندوب السامي مبيناً أن رجاله لم يرتكبوا أى جرم في حق البيض الذين استولوا على ماشيته انتقاماً من جرم لم يرتكبه رجاله^(٢) .

واستمر المندوب السامي في خداعه للوبنجولا حتى لا يدرك الأخطار المحيطة به من كل جانب فبعث في ١٩ يوليو ١٨٩٣ بخطاب لموفات يؤكد فيه للوبنجولا نيابة عن ملكة بريطانيا أن الحكومة البريطانية ليست لديها مقاصد عدوانية ضد شعب وملك المتاييلي أو ترغب في الاستيلاء على بلاده أو الدخول في حرب معه^(٣) . وطلب من لوبنجولا أن يسود السلام بينه وبين البيض ، وأبدى استعداداه لمقابلة مبعوثيه إذا كانت لديه رغبة في السلام^(٤) .

وكان لوبنجولا يعلم ضعف قواته وعدم استطاعتها الصمود أمام قوات الشركة والحكومة المجهزة بمدافع الهاون والمأكنة والبنادق ولذلك كان على استعداد لتسيان الماضي وبدء صفحة جديدة ولذلك حاول الاحتفاظ بالسلام بينه وبين الشركة فبعث برسول من قبله لمقابلة المندوب السامي ويحمل رسالة لملكة بريطانيا يشرح فيها اتهام الشركة لرجالها بارتكاب جريمة لم يرتكبوها^(٥) . ولكن المندوب السامي كان منحازاً إلى جانب الشركة وأخطر وزير المستعمرات بأن الخطاب لا يحتوي على أى شيء مهم ، وعلى الرغم من تلك التصرفات فقد حاول لوبنجولا

(1) P.P. : C. 7171, p. 67.

(2) P.P. : C. 7171, p. 45.

(3) P.P. : C. 7555, p. 61.

(4) P.P. : C. 7196, p. 32.

(5) P.P. : C. 7196, p. 70.

من جانبه الإحتفاظ بالسلام ، وطلب إرسال لجنة لتقصي حقائق النزاع بينه وبين الشركة^(١) . وتمادى المندوب السامي في إنحيازه فاخطر وزير المستعمرات كذبا بأن قوات الشركة والحكومة قد تحركت لمواجهة قوات المتاييلي ، وأنها أصبحت بعيدة عن الإتصالات البرقية ، ومن غير المجدي إرسال أى تعليمات لوقفها^(٢). وفي الواقع فإن القوات الأوربية لم تتحرك لمهاجمة قوات المتاييلي إلا في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٩٣ أى بعد يومين من إرسال ذلك التقرير .

استعد جيمسون للمعركة المنتظرة فحرك قوات الشركة إلى نهر أومنياتي Umniati وهو الذي يمثل الحدود المزعومة في ٢ أكتوبر ، وفي نفس اليوم بعث برقية للمندوب السامي أنهم فيها قوات لوبنجولا بعبور الحدود والاعتداء على إحدى قرى الماشون ، وإطلاق النار على إحدى دوريات الشركة . وعلى أساس تلك البرقية أخطر لوك اللورد ريبون Ripon وزير المستعمرات بفشل جميع المحاولات للوصول إلى حل سلمي بين الشركة ولوبنجولا ، واضطرار الشركة إلى وقف تلك المحاولات بعد وصول قوات لوبنجولا إلى قرب مستوطنة فيكتوريا وإطلاقها النار على إحدى دوريات الشركة ، وإضراره إلى التصريح لجيمسون بالتحرك بقواته وإجبار قوات المتاييلي على التراجع إلى المسافة التي تؤمن مستوطنة فيكتوريا ، وإتخاذ أى إجراء يراه ضروريا لتأمين المنطقة في حدود سلطاته الإدارية^(٣) . وهذا التقرير يناقض تماماً التقرير السابق إرساله في ٢٠ أكتوبر ، وفي نفس الوقت كان لوك يعلم جيداً رغبة لوبنجولا في السلام ولكنه لم يطلب من جيمسون إلغاء الاستعداد للحرب حتى يمكن للشركة غزو أرض المتاييلي والإستلاء عليها وبالتالي وضع يدها على مناجم الذهب وتعويض خسائرها ودفع أرباح المساهمين .

كانت الخطة الموضوعة لغزو أرض المتاييلي تتلخص في مهاجمة لوبنجولا من جهتين فتتقدم قوات الشركة من سالسبوري وقوات الحكومة بقيادة جولد آدمز من قلعة فيكتوريا . والتقت القوتان في ١٦ أكتوبر عند نهر أومنياتي ، وعبرتا إلى

(1) P.P. : C. 7171, p. 74.

(2) P.P. : C. 7196, p. 81.

(3) P.P. : C. 7196, pp. 39 – 79.

أرض المتاييلي ، والتقت بقوات لوبنجولا في ٢٢ أكتوبر وكانت قوات الشركة والحكومة مسلحة بمدافع الهاون والماكينه والبنادق بينما كانت قوات المتاييلي مسلحة بالحرايب والسهام وبعض البنادق ، وكان لقاء غير متكافئ ، وكانت نتيجة الحتميه هي إمتلاء المكان بقتلى وجرحى المتاييلي في معركة لم تستمر أكثر من ربع ساعة انهزمت فيها قوات لوبنجولا هزيمة شديدة فرت بعدها من الميدان . وتقدمت قوات الشركة بقيادة الميجور فوريس Forbes إلى بولاواير عاصمة المتاييلي ، ووصلت القوات الإمبراطورية إلى بولاوايو في ٥ نوفمبر . وكان لوبنجولا قد أنخلى عاصمته وأشعل فيها النار في الرابع من نوفمبر (١) .

بالانتصار على قوات المتاييلي أصدر وزير المستعمرات أوامره للمندوب السامي يتولى مهمة إجراء المباحثات مع لوبنجولا لإقرار السلام (٢) ، ولم يكن ذلك العمل مما يناسب أهداف وخطط رودس الذي حاول إلغاء ذلك الأمر ، وادعى أن قوات الشركة هي التي تولت عملية غزو أرض المتاييلي وقهر لوبنجولا ، وأن الشركة لم تطلب أصلا مساعدة الحكومة في ذلك العمل ، وأن نصوص البراءة الملكية تعطيها الحق في إقرار مشاكلها مع لوبنجولا (٣) . وعلى أساس تلك النظره بقى جيمسون في بولاوايو لتلقى خضوع شعب المتاييلي ، وأجبر جولد آدمز على القيام بعمل ثانوى ، وبعث الميجور فوريس لمطاردة قوات المتاييلي المتراجعة إلى الشمال (٤) . ولم تتوقف المطاردة إلا بعد موت لوبنجولا ودفن جثته في مكان سرى حاول الأوربيون عبثا مدة خمسين عاما الوصول إليه إلى أن أفشى أحد أفراد المتاييلي سر المكان . وقد أمر جيمسون بمصادرة جميع ماشية وأملاك المتاييلي على إعتبار أنها جميعها ملك خاص للوبنجولا ، وأصبح شعب المتاييلي يفتك به الجوع ومرض الجدري . وعلى الرغم من إصدار وزير المستعمرات أوامره بوقف تلك الاجراءات

(1) Mason, P. : op. cit., pp. 176—178; Walker, E. : History of S.A., p. 429; Samkange, S. : op. cit., pp. 258—261.

(2) P.P. : C. 7196, p. 73.

(3) P.P. : C. 7290, p.37; C.O. : op. cit., No. 459, pp. 29—30: Rhodes to Loch, 30.11 ٢٣

(4) Lochhart, J,D, and Woodhouse, C.M. : Rhodes, P, 264.

وإعادة الماشية إلى أصحابها فان جيمسون لم يستجب لها^(١) ووصل رودس إلى بولاوايو وأطلق عليها اسم روديسيا .

ثورة شعب المتاييلي :

خضع شعب المتاييلي مرغما لحكم الشركة وكان يعلم جيداً أن ملكه لوبنجولا لم يكن يرغب في قيام حرب بينه وبين البيض ، ولذا أخذ الشعب يتحين الفرصة المناسبة للثورة ضد حكم الشركة التي عمدت إلى عزل المتاييلي في مكان خاص بهم ، وعهدت بالنواحي الإدارية إلى موظفين من البيض ، كما عهدت بشئون المحافظة على الأمن إلى قوة من الشرطة الوطنية . وقد أساء أفراد تلك الشرطة معاملة شعب المتاييلي . وكان استيلاء الشركة على أجود أراضي المتاييلي وعلى جميع الماشية على اعتبار أنها ملك خاص للوبنجولا والعمل الإجباري في الأراضي العامة والخاصة ، والخدمة في منازل البيض ، وما شاكلها من الأعمال الدنيئة من أسباب تدمير الوطنيين بالإضافة إلى سوء المعاملة وعدم احترام البيض لنصوص البراءة الملكية ، وتحقيرهم لعادات ومعتقدات الوطنيين . وقد عاصر تلك المظالم تعرض أرض المتاييلي للجفاف وغارات الجراد وإصابة الماشية بوباء قضى على أغلبها . وكان شعب المتاييلي من الشعوب التي تؤمن بالسحر والحرافات فاعتقدوا أن وجود البيض هو السبب في جميع المصائب التي حلت بهم ، وأن الخلاص من تلك المصائب لن يتم إلا بالتخلص من البيض . وواتت الفرصة لشعب المتاييلي بإغارة جيمسون على أرض جمهورية ترنسفال وفشل تلك الغارة وأسر جميع أفراد الحملة وقائدها فثاروا في مارس سنة ١٩٨٦ ، وبدؤوا في مهاجمة البيض المنعزلين وقتلهم . واضطرت الشركة إلى إرسال قواتها من سالسبوري إلى بولاوايو في ٦ أبريل لحماية البيض ، وأمدتها حكومة مستعمرة الرأس ببعض القوات النظامية ، وبذلك بلغ عدد القوات الأوربية المسلحة في روديسيا حوالي ألفي رجل . واستمرت الثورة حتى أكتوبر من نفس العام^(٢) حيث نجح سيسل رودس في عقد اتفاقية مع زعماء المتاييلي وافق فيها على تحسين أحوالهم والقضاء على أسباب شكواهم^(٣).

(1) P.P. : C. 7270, p. 24 ; Robinson to Loch, 10.12.93.

(2) P.P. : C 8.547, pp. 5—11.

(3) Stent, V. : A Personel Recod of ..., p. 27 ; Mason, P. : op. cit., pp. 190—200, Ransford, O. : op. cit., pp. 298—299.

ثورة شعب الماشون :

ثار شعب الماشون في ٢٥ يونيو ١٨٩٦ واتبع الماشون نفس النظام الذي اتبعه ثوار المتابيلي ، وترجع الثورة إلى فرض الشركة ضريبة الكوخ عليهم وكثرة الضرائب - المفروضة ، وطغيان الشركة الوطنية ومهاجمتها للنساء ، وكذلك بسبب اتباع نظام العمل الإجباري ومعاقبة الهاربين من العمال الوطنيين بكل شدة^(١) . واستمرت الثورة حتى أواخر سبتمبر سنة ١٨٩٧ بسبب التجاء الثوار إلى الكهوف وكانت قوات الشركة تعتمد إلى نفس الكهوف بالديناميت على من فيها لإجبار الثوار على التسليم^(٢) . وقد كلفت ثورة المتابيلي والماشون الشركة مبلغ مليونين ونصف مليون جنيه استرليني^(٣).

٤ - النشاط الاقتصادي :

اهتز مركز الشركة الإقتصادي بسبب الأحداث السابقة ، وأصبحت مهددة بالإفلاس وللتغلب على المشاكل الاقتصادية بدأت الشركة نشاطا جديداً فقامت ببعض الإصلاحات وجددت المرافق العامة ، وبدأت بإنشاء السكك الحديدية وحولت مشروع مد خط حديدي من مدينة الرأس إلى أرض الماشون ، وربطت جميع خطوط السكك الحديدية بمنطقة امتيازها بميناء بيرا Beira البرتغالي ، وبذلك أصبحت الشركة شريكة في خطوط سكك حديد روديسيا التي تمتد خطوطها من فريبورج Vryburg في أرض بتشوانا إلى حدود الكونغو البلجيكي (زائيري) ومن بولاوايو إلى الساحل الشرقي لإفريقية وبلغ طول تلك الخطوط حوالي ٢٥٠٠ ميل^(٤) . وكان لظهور الفحم في منطقة وانكي Wankie في سنة ١٩٠٤ أثره على تصرفات الشركة فأنشأت خط سكة حديد يربط المنطقة بروديسيا الشمالية عبر نهر الزمبيزي عند شلالات فيكتوريا . واستمرت الشركة في مد الخطوط الحديدية فمدت في سنة ١٩٠٦ خطا إلى مناجم الزنك وخطا آخر إلى حدود الكونغو

(1) Mason, P. : op. cit., pp. 200—205.

(2) Mason, P. : Ibid., p. 206.

(3) P.P. : C. 8732.

(4) B.S.A. Co. : Director's Report (1896/1897), pp. 8—31.

في سنة ١٩٠٩ ، وبذلك ازداد إنتاج الفحم في البلاد (١).

وازداد نشاط الشركة بعد سنة ١٩٠٢ بعد إتمام إنشاء الخط الحديدي الموصل إلى مدينة سالسبوري وبذلك ازداد عدد المهاجرين البيض فبلغ عددهم ١٢٦٠ فرداً في سنة ١٩٠٤ و ١٤ ألف فرد في سنة ١٩٠٧ ، وارتفع عددهم إلى ٢٣٦٠٠ فرد في سنة ١٩١١ (٢). وبلغ عدد البيض المشتغلين بالزراعة ١٤٧٠٠ فرد في سنة ١٩٢١ والباقي وقدره ٨٩٠٠ فرد اشتغلوا بالتجارة والخدمات العامة والمناجم . وكانت سياسة الشركة حتى سنة ١٩٠٢ تركز في الاهتمام بأعمال التعدين ، وكان المحصول الزراعي الرئيسي وهو الذرة الغذاء الأساسي للشعب الإفريقي لا يكفي إنتاجه الإستهلاك المحلي ولذلك عمدت الشركة إلى زيادة إنتاجه ونجحت في سنة ١٩١٨ في إنتاج ما يكفي الإستهلاك المحلي وفي نفس الوقت بدأت تهتم بالثروة الحيوانية بالمنطقة وكان لزيادة الإنتاج الزراعي أثره على زيادة الثروة المعدنية فارتفعت قيمة ماسدر من الذهب إلى ٢٦٢٣٧٠٨ جنيه في سنة ١٩٠٩ وبذلك أصبحت روديسيا رابع دولة منتجة للذهب في الإمبراطورية البريطانية وارتفعت قيمة المصدر منه إلى ٢٧ مليون جنيه في سنة ١٩٢٣ (٣).

٥ - نظام الحكم :-

بأنهاء الثورة بدأت الشركة في تنفيذ نظام حكم جديد في المنطقة بناء على مرسوم ملكي في أكتوبر سنة ١٨٩٨ حدد شكل الحكومة في روديسيا الجنوبية بحيث أصبح على رأس الحكومة مدير يعادل الحاكم العام في المستعمرات البريطانية تعينه الشركة ومن حقه إصدار القوانين بموافقة المجلس التشريعي مع خضوع تلك القوانين لموافقة أو رفض المندوب السامي في مدينة الرأس . وكان يساعد المدير مجلس تنفيذي مكون من أربعة أفراد تعينهم الشركة بموافقة وزير المستعمرات وكانت سلطة ذلك المجلس استشارية . وأصبحت مهمة التشريع في يد مجلس تشريعي من تسعة أفراد - خمسة منهم تعينهم الشركة والأربعة الباقون ينتخبهم سكان روديسيا

(1) Cambridge Hist. : op. cit., p. 835.

(2) Bryce, J. : Impression of S.A., pp. 270—272.

(3) Cambridge Hist. : op. cit., pp. 685—835.

الجنوبية بشروط خاصة . وقد حدث تغير في شكل ذلك المجلس في سنوات ١٩٠٣ ، ١٩١١ و ١٩٢٣ بحيث أصبح في النهاية يتكون من ١٨ عضواً منهم ١٢ عضواً منتخباً (١) وبذلك العمل حرمت إدارة الشركة من التصرف في الشؤون التشريعية المتعلقة بروديسيا الجنوبية وأصبح التشريع من حق المجلس التشريعي الذي كان يخضع مباشرة للتحكم الإمبراطوري وخاصة فيما يتعلق بشؤون الشرطة والوطنيين . وبقى التصرف في أعمال التعدين وفي موجودات الشركة في يديها .

رابعاً – إنتها إمتياز الشركة :

كان موعد انتهاء إمتياز الشركة يحل في ٢٩-١٠-١٩١٤ وبحلول ذلك الموعد كانت هناك ثلاثة حلول تتعلق بتصفية الشركة ، الأول منها هو ضم روديسيا الجنوبية إلى اتحاد جنوب إفريقيا والثاني مد إمتياز الشركة فترة أخرى وكان الحل الثالث هو منح روديسيا الجنوبية الحكم الذاتي . وقد فضل المستوطنون البيض في روديسيا الجنوبية مد فترة حكم الشركة ، وقرر المجلس التشريعي في مارس سنة ١٩١٤ مد إمتياز الشركة على أن تتخذ الاجراءات الكفيلة بنقل السلطة تدريجياً إلى المستوطنين وتدريبهم على شئون الحكم ، ووافقت الحكومة البريطانية على مد إمتياز الشركة عشر سنوات أخرى وإمكان نقل السلطة للمستوطنين قبل انتهاء المدة إذا اتضح إمكان تحملهم شئون الحكم الذاتي (٢).

ترتب على المشروعات التي قامت بها الشركة زيادة مصروفاتها على إيراداتها ولذلك أعلنت في سنة ١٩١٤ ملكيتها للأراضي غير المملوكة للأفراد في روديسيا الجنوبية وكذلك ملكيتها لحقوق التعدين وأسهم السكك الحديدية ، واعتبرت تلك الممتلكات ضماناً لتغطية خسائرها ولكن المجلس التشريعي لم يوافق على ذلك القرار ، وأعلن في أوائل سنة ١٩١٤ أن تلك الأراضي قد منحت للشركة كرأس مال لتكوينها وبذلك فهي ليست حقاً مكتسباً لها وعليها تسليمها لحكومة المستعمرة عند التصفية (٣) . وأحيل قرار المجلس إلى لجنة قانونية في يوليو سنة ١٩١٤ وأعلنت

(1) B.S.A. Co. : Report of General and Extraordinary Meeting, 21.4.98, p. 11.

(2) P.P. : Cd. 7970.

(3) Cambridge Hist. : op. cit., p. 686.

اللجنة قرارها في ديسمبر سنة ١٩١٥ ، وفي أوائل سنة ١٩١٧ أعلنت وزارة المستعمرات قبول الحكومة البريطانية لجميع توصيات اللجنة (١) ، وعلى هذا الأساس أصدرت الحكومة البريطانية في ٢٩ يوليو سنة ١٩١٨ قراراً بملكية التاج البريطاني لجميع الأراضي غير المملوكة للأفراد في روديسيا الجنوبية ، وحق الشركة في استغلال تلك الأراضي لتغطية مصروفاتها وعلى أساس ذلك القرار طلبت الشركة في نوفمبر سنة ١٩١٤ من وزير المستعمرات منحها ربحاً على الأموال التي أنفقتها والوصول إلى تسوية مبكرة لوضعها في روديسيا (٢) .

وبدأت الحكومة البريطانية في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفية الشركة فكونت في يوليو سنة ١٩١٩ لجنة برئاسة لورد كيف Cave لتقييم موجودات الشركة عن العام المنتهى في ٣١ مارس سنة ١٩١٨ . وطلبت الشركة مبلغ ٧٨٦٦١١٧ جنيه في نظير تصفيته ، ولكن اللجنة قدرت في ١٥ يناير سنة ١٩٢١ التعويض الواجب دفعه للشركة بمبلغ ٤٤٣٥٢٢٥ جنيه ورفضت دفع فوائد عن مبلغ التعويض وقررت منح الشركة مبلغاً إضافياً عن ملكيتها للمرافق العامة والمنشآت التي سوف تستولى عليها الحكومة الجديدة ، وفي نفس الوقت قررت خصم مبلغ من جملة التعويض المقترح في نظير استغلال الشركة لأراضي المستعمرة في أغراضها التجارية والأراضي التي منحها مجاناً لبعض الأفراد (٣) . ووافقت وزارة المستعمرات على رأي اللجنة وشكلت في مارس سنة ١٩٢١ لجنة بوكستون Buxton لتقرير موعد تكوين حكومة مسئولة في روديسيا الجنوبية وحدود ومسؤوليات تلك الحكومة . وقررت اللجنة في مايو سنة ١٩٢١ ضرورة وضع حد سريع للنظام الموجود ، ومنح البلاد حكومة مسئولة ، وعرض تفاصيل نظام الحكم المقترح على الاستفتاء العام (٤) .

وعلى أساس تقرير اللجنة عرض على الناخبين مشروع دستور تحصل روديسيا الجنوبية بموجبه على الحكم الذاتي ومشروع آخر للانضمام إلى اتحاد جنوب أفريقية (٥)

(1) P.P. : Cmd. 8674.

(2) Cambridge Hist. : op. cit., pp. 686...687 ; Walker, E. : op. cit., p. 595.

(3) P.P. : Cmd. 1129.

(4) P.P. : Cmd. 1271.

(5) Cambridge Hist. : op. cit., p. 690.

وفي الإستفتاء الذى حدث فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٢٢ اختار الناخبون الحكم الذاتى باغلبية كبيرة^(١) . وبناء على نتيجة الإستفتاء تم فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ توقيع اتفاق ديفونشاير Devonshire الذى تنازلت بموجبه الشركة عن الحسائر المالية التى تكبدتها فى الأعمال الإدارية وعن طلبها الخاص بإمتلاكها للأراضى غير المملوكة للأفراد وفى نظير ذلك تحصل على نصف الدخل الناتج عن بيع تلك الأراضى الواقعة فى شمال غربى روديسيا الجنوبية حتى سنة ١٩٦٥ وحققها فى الإحتفاظ بمليونين ونصف مليون فدان فى المنطقة الشمالية الشرقية من روديسيا الجنوبية ، وتم تخفيض مبلغ التعويض إلى مبلغ ٣٧٥٠٠٠٠٠ جنيه استرليني مع احتفاظ الشركة بحقوق التعدين وإمتيازات السكك الحديدية^(٢) . وبتوقيع إتفاقية ديفونشاير أعلنت الحكومة البريطانية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ضم روديسيا الجنوبية إلى التاج البريطانى^(٣) .

وإذا نظرنا إلى أعمال الشركة والأهداف التى حققها يتبين لنا أنها استطاعت خدمة المساهمين البريطانيين الذين كان يهمهم الربح المادى عن طريق الإستيلاء على روديسيا الجنوبية . أما فيما يختص بالحكومة البريطانية فقد كان يهمها فى ذلك الوقت توسيع رقعة ممتلكاتها ولكنها كانت تخشى الإعلان عن ذلك صراحة حتى لا تثير الحكومات الأوربية ضدها ، وكانت فكرة تكوين الشركات التجارية المزودة بسلطات إدارية وسياسية لا تزال مهيمنة على عقول السياسيين البريطانيين على أساس أنها أسلم وأسرع طريقة للاستعمار وتزويد الدولة بالموظفين الاستعماريين المدربين على الأعمال الاستعمارية دون أن تتكلف الدولة شيئاً فى إعدادهم . وكان منح الشركة حق احتكار تجارة المنطقة هو إحدى الوسائل المؤدية إلى بسط النفوذ البريطانى ، وتحويل رأى العام فى مستعمرة الرأس فى اتجاه الحكم البريطانى وفى نفس الوقت العمل على وقف التوسع البويرى من الترنسفال ، وصبغ المنطقة بالصبغة الإنجليزية البحتة . وكانت الحكومة البريطانية ممثلة فى كل من سالسبورى وبتسفورد تثق فى أن منح البراءة الملكية لشركة جنوب إفريقية سترتب عليه

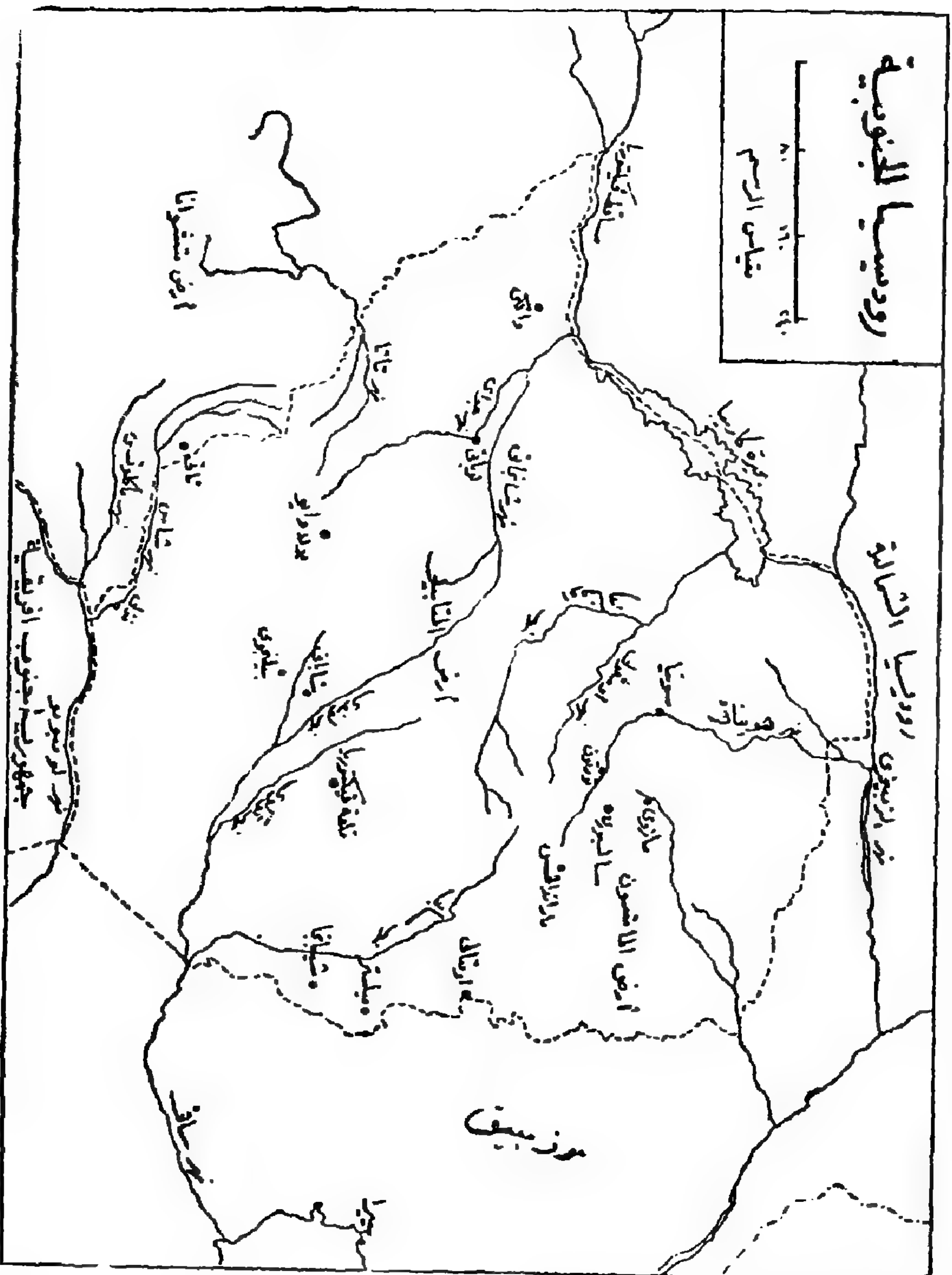
(1) Walker, E. : op. cit., pp. 595—599 ; Ransford, O. : op. cit., p. 316.

(2) P.P. : Cmd. 1914.

(3) Cambridge Hist. : op. cit., p. 691.

قيام الشركة بتنفيذ الأغراض البريطانية الإستعمارية أحسن تنفيذ ، وأن الشركة سوف توجه نشاطها الإقتصادي إلى خدمة الأغراض السياسية البريطانية عن طريق التوسع في إنشاء السكك الحديدية والطرق الصالحة للاستعمال وبذلك يتم ربط كل منطقة جنوب إفريقية ببعضها تحت السيطرة والنفوذ البريطاني . وكانت الشركة عند حسن الظن الذي أملته الحكومة البريطانية فيها فنفذت كل الأهداف المطلوبة ، ويرجع ذلك إلى أن سيسل رودس منشئ الشركة كان يرى أن من واجبه العمل بكل ما يستطيع من جهد لضم المنطقة إلى السيادة البريطانية وتكوين إمبراطورية بريطانية كبيرة تشمل كل منطقة جنوب إفريقية على أن تمتد تلك الإمبراطورية حتى تتصل بمصر التي كانت تحت الاحتلال البريطاني في ذلك الوقت وبذلك تمتد الممتلكات البريطانية في إفريقية من المحيط الجنوبي جنوباً حتى البحر المتوسط شمالاً وتكون فاصلة بين الممتلكات الفرنسية والألمانية في شرق وغرب القارة الأفريقية .

دكتور سعد زغلول عبد ربه



REFERENCES

A—Unpublished Documents :

1. B.S.A. Co. : Directors Report (1896/1897).
2. B.S.A. Co. : Report on General and Extraordinary Meeting (1898).
3. Great Britain C.O. : 806/303.
4. Great Britain C.O. : Africa South of the Sahara, No. 358, 369, 372, 392, 459.
5. Great Britain, F.O. : 2/55, 403/143.

B—Published Documents :

- 1- Great Britain P.P. : C. 5524, 5918.
Corres. resp. the affairs of Bechuanaland and the adjacent Territories (1888).
2. Great Britain, P.P. : C. 7171, 7196 7290.
Corres. res. B.S.A. Co., Mashonaland, Matabeleland (1893).
- 3- Great Britain, P.P. : C. 7555.
Sir F. Newtens Report on Matabeleland affray, 1894.
4. Great Britain P.P. : 8547
Col Martins Report resp B.S.A. Companys Native Administration, 1897
5. Great Britain, P.P. : C 8732
Corres res administration of B.S.A. Co. 1898.
6. Great Britain, P.P. : Cd. 7970.
Papers res. Southern Rhodesia Native Reserves Commission, 1914-1916.
7. Great Britain, P.P. : Cd. 8674.
Papers res. S. Rhodesia Native Reserves Commission.
8. Great Britain, P.P. : Cmd. 1129.
Papers res. Cave Commission on money due to B.S.A. Co. 1921.
9. Great Britain, P.P. : Cmd. 1273.
Frist Resport of Buxton Commission' 1921.
10. Great Britain, P.P. : Cmd. 1914.
Corres. res. proposed settlement of outstanding questions relating to position of the B.S.A. Co. in Southern and Northern Rhodesia.
11. Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty, 2vols. London, 1894.

C—General Works :

- 1 . Baden-powll, R .S . : The Matabele Campaign, London, 1897.
- 2 . Cambridge Hist. : South Africa, vol. VIII, London, 1963.
- 3 . Colvin, J . : The Life of Jameson, 2 vols. London, 1923.
- 4 . Darteer, A . : The Pioneers of Mashonaland, London, 1914.
- 5 . De Waal, D .C . : With Rhodes in Mashonaland, Johannesburg, 1896.
- 6 . Frank 'T . : The Struggle for power in Rhodesia and Nyasaland, London, 1920.
- 7 . Fuller, T .E . : The Right Honourable C . Rhodes, London, 1910.
- 8 . Gann, L .H . : A History of Southern Rhodesia, London, 1965.
- 9 . Gibbs, P . : The True book about C. Rhodes, London, 1956.
- 10 . Harris, J .H . : The Chartered Millions, London, 1920.
- 11 . Hensman, H . : History of Rhodesia, London, 1900.
- 12 . Hensman, H . Cecil Rhodes, London, 1901.
- 13 . Hickman, A .S . : Men who made Rhodesia, Salisbury, 1960.
- 14 . Hole, H .M . : The making of Rhodesia, London, 1926.
- 15 . Hole, H .M . : Lobengula, London, 1929.
- 16 . Leonard, A . : How we made Rhodesia, 1896.
- 17 . Leys, C . : European Politics in Southern Rhodesia, Oxford, 1959.
- 18 . Maguire, J . : Cecil Rhodes, London, 1897.
- 19 . Malcolm, D .C . : The British South Africa Co. (1889-1939), London, 1939.
- 20 . Mason, P . : The Birth of a Dilemma, Oxford, 1958.
- 21 . Peller, S . : Lobengula, Johannesburg, 1963.
- 22 . Ransford, O . : The Rulers of Rhodesia, London, 1968.
- 23 . Robinson, R . and Others : Africa and The Victorians, London, 1961.
- 24 . Selous, F . : Sunshine and Storms in Rhodesia, London, 1896.
- 25 . Samkange, S . : Origins of Rhodesia, London 1968.
- 26 . Walker, E . : A History of Southern Africa, London, 1959.
- 27 . Williams, B . : Cecil Rhodes, London, 1921.

شمال أفريقيا والحركة الصليبية

١١٨٩ - ١٢٩٠ م

للدكتور محمد محمد أمين

جامعة القاهرة

NORTH AFRICA AND THE CRUSADES

1189—1390 A.D.

By

Dr. MOHAMED M. AMIN

Cairo University

North Africa had a good geographical situation in the West of Mediterranean Sea, and its Islamic States — in middle ages had a big naval force. So it played a considerable role in the crusades in the Levant. Its role had cleared in :—

1. Saladin's letter to the Caliph Al-Mansur Ya'qub Almohad in Morocco to say that if Western Christendom was sending its knights to fight for the Holy Land Western Islam should do likewise.
2. The co-operation between Egypt and Tunis against St. Louis's crusades, in Egypt 1249 A.D. and in Tunis 1270 A.D.
3. New plans of crusades in propagandists's projects cleared the importance of the Africa as a route to Egypt and Levant.
4. The crusade in 1390 A.D. against The Kingdom of Tunis (town of AL-Mahdiya), under the leadership of Duke Louis II of the house of Bourbon.

تمهيد :

قامت الحركة الصليبية في العصور الوسطى بدعوى تخلص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، إلا أن هذه الحركة لم تكن مجرد حرب لاسترداد الأراضي المقدسة من المسلمين ، وحماية حجاج الغرب إلى بيت المقدس ، بل كانت المتنفس الذي عبر به الغرب الأوربي ، في العصور الوسطى ، عن حماسه الدينية ونقمته على الاسلام والمسلمين من ناحية ، وعن رغبته في التوسع والاستعمار من ناحية أخرى ، وعن ثورته على الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت الغرب الأوربي في تلك العصور من ناحية ثالثة (١) .

ولذلك لم تقتصر الحركة الصليبية على ميادينها المعروفة في الشام ومصر والعراق وشبه الجزيرة العربية ، بل اتسعت حتى شملت أسبانيا وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا (٢) . والواقع أن لشمال أفريقيا (٣) أهمية حربية خاصة في مجال الحروب الصليبية ، نتيجة لإشرافه على النصف الغربي للبحر المتوسط ، وسيطرته البحرية على هذا الجزء في حالة قوة دوله ، فضلا عن أهمية موقعه الجغرافي ، وإمكان استغلال هذا الموقع في ضرب الأساطيل الصليبية قبل وصولها إلى المشرق ، وقد تنبه إلى هذه الأهمية كل من المسلمين والصليبيين على السواء ، فمنذ وقت مبكر أدرك السلطان صلاح الدين الأيوبي أهمية دول شمال أفريقيا الإسلامية في جهاده ضد الصليبيين ، ثم عادت هذه الأهمية إلى الظهور خلال التعاون بين مصر وتونس ضد حملة لويس التاسع على مصر (١٢٤٩م) ، ثم على تونس (١٢٧٠م) ، أما إدراك الصليبيين إلى هذه الأهمية فتجلى في حملة لويس التاسع على تونس ، وما أعقب ذلك من إهتمام دعاة الحرب الصليبية بشمال أفريقيا ، ومحاولات الصليبيين للاستيلاء على بعض مدن الشمال الافريقي الساحلية .

إدراك المسلمين لأهمية شمال أفريقيا :

كان من نتيجة إنتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في موقعة حطين ،

(١) من بواعث الحركة الصليبية أنظر سعيد عبد الفتاح هاشور (الدكتور) : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٧ وما بعدها ، أوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٤٤٠ وما بعدها .

(٢) سعيد هاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٧ .

(٣) المقصود بشمال أفريقيا هنا : المغرب والجزائر وتونس بمحودها الحالية .

واسترداده لبيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م ، قيام الحملة الصليبية الثالثة ،
والتي تولى قيادتها ثلاثة من كبار ملوك أوروبا هم : فردريك بربروسا إمبراطور
ألمانيا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، ثم كان
الحصار الصليبي لعكا (أواخر أغسطس ١١٨٩ م) وازاء تفوق الصليبيين البحري
لم يجد صلاح الدين بدا من دعوة كافة حكام المسلمين - في المشرق والمغرب -
لمشاركته في الجهاد^(١) .

وبهنا في هذه الدراسة الرسائل التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الخليفة الموحد بالمغرب (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ -
١١٨٤ - ١١٩٩ م) يستنجد به ليمده بالأساطيل لتحول في البحر بين أساطيل
الفرنج وبين امداد النصرانية بالشام ، ولما نازلة عكا وطرابلس بالشام^(٢) ، وفي
ذلك يقول أبو شامة : «ليقطع عنهم (أي عن الصليبيين) مادتهم من جهة البحر»^(٣).
وجاء بهذه الرسائل^(٤) ما يدل دلالة قاطعة على إدراك صلاح الدين الأيوبي

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٤١ وما بعدها ،
Gibb (H.) : The Life of Saladin, P. 62.
(٢) السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
ج ٢ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، الجليلي (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .
(٣) أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن) : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢
ص ١٧٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦٠ ، الناصر صلاح الدين ص ٢٣٣ ،
Gibb: op. cit P. 63.

(٤) حفظت لنا المصادر حول هذا الموضوع خمس رسائل هي حسب ترتيبها :
١ - خطاب بقلم القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور يعقوب بن يوسف
في سنة ٥٨٥ هـ - القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى في صناعة الأنشا ج ٦ ص ص
٥٢٦ - ٥٣٠ ، كما ورد نص هذا الخطاب في - ابن منكل (محمد بن منكل) : الأسكام الملوكية
والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر (مخطوط) ورقة ١٢٣ - ١٢٧ .
٢ - خطاب بقلم القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى سيف الدولة ابن منقلد رسوله
إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف - مؤرخ في ٢٨ شعبان ٥٨٦ هـ - أبو شامة : المرجع السابق ج ٢
ص ص ١٧٠ - ١٧١ .
٣ - خطاب من صلاح الدين الأيوبي إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف - بدون تاريخ ، ويختلف
نصه عن الخطاب الأول - أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ص ١٧١ - ١٧٣ .
٤ - كتاب من القاضي الفاضل إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي بشأن الرسالة إلى ملك المغرب
أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ص ١٧٤ - ١٧٦ .
٥ - قطعة من رسالة بقلم القاضي الفاضل من صلاح الدين الأيوبي إلى ابن منقلد - وهو بالمغرب -
ينهى إليه أخبار القتال حول عكا - أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ص ١٨٨ - ١٨٩ .

إلى أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به الدويلات الإسلامية في شمال أفريقيا ، في الجهاد ضد الصليبيين ، فلم يكتف صلاح الدين الأيوبي بطلب المعونة البحرية بل أشار إلى ضرورة قيام أسطول الموحيدين بمحاصرة أسطول صقلية ومنعه من الاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة (١) ، فجاء في إحدى هذه الرسائل « . . . ولو أن دربة عساكرنا في البحر كدربتها في البر ، لعجل الله منهم الانتصاف ، واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالالف ، وقد اشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجرم ، والعدد الدهم ، . . . ولما مخض النظر زيده ، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده ، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحراً من أساطيله المنصورة فان عددها واف ، وشطرها كاف ، ويمكنه - أدام الله تمكينه - أن يمد الشام منه بعد كثيف ، وخذ رهيف ، ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف ، ويمكنه أن يكف شطر الأسطول طاغية صقلية ليحص جناح قلوعه أن تطير ، ويعقل عباب بحره أن يغير ، ويعتقله في جزيرته ، ويجري إليه قبل جزيرته ، فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به المحامد على عقبها ، ويقوم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها . . . » (٢).

كذلك جاء في رسالة السلطان صلاح الدين إلى رسوله شمس الدين أبو الحزم عبد الرحمن بن منقذ الذي أرسله إلى ملك المغرب ، ما يوضح أهمية موقع بلاد المغرب الجغرافي وإمكان استغلال هذا الموقع في الجهاد ضد الصليبيين ، فجاء بها : « . . . فاذا كانت الأساطيل بالجانب المغربي ميسرة ، والعدة فيها متوفرة والرجال في اللقاء فارهة ، وللمسير غير كارهة ، فالبدار البدار ، . . . وإذا كانت دون الأسطول موانع ، أما من قلة عدة ، أو من شغل هناك بمهمة ، أو بمباشرة عدو ما تحصن منه العورة ، أو قد لاحت منه الفرصة ، فالمعونة ما طريقها واحدة ، ولا سبيلها مسدودة ، ولا أنواعها محصورة ، تكون تارة بالرجال ، وتارة بالمال . . . فلا ترضى همته أن يعين الكفر الكفر ، ولا يعين الإسلام الإسلام »

(١) كان وليم الثاني ملك صقلية النورمانى قد بادر سنة ١١٨٨ م بإرسال أسطول يحمل بضع مئات من الفرسان إلى طرابلس تحت قيادة أمير البحر مارجريت البرنديزى الذى نجح فى منع صلاح الدين من الاستيلاء على طرابلس واللاذقية ، وخشى صلاح الدين أن يكون هذا الأسطول النورمانى مقدمة لحملة صليبية كبرى - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٤٢ ، ٨٤٣ ،

Grousset (R.) : Hist - des Croisades, vol. 3, P. 8. , Runciman (S.) : A Hist - of the Crusades, vol. 3, P. 5.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٢٦ - ٥٣٠ ، ابن منكل : الأحكام الملوكية ورقة ١٢٣ - ١٢٧ .

وما اختص بالاستعانة إلا أن العدو جاره ، والجار أقدر على الجار ، وأهل الجنة أولى بقتال أهل النار ، ولأنه بحر والنجدة بحرية ، ولا غرو أن يجيش البحار البحار (١) .

ويتأكد نفس المعنى في النص الذي أورده أبو شامة عن رسالة صلاح الدين إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف في شعبان سنة ٥٨٦ هـ (أكتوبر ١١٩٠ م) ، فقد جاء بها « . . . كان المتوقع من تلك الدولة العالية ، والعزيمة الغادية ، مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية الهادية ، أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين . . . » (٢) .

كما جاء أيضاً في رسالة السلطان صلاح الدين إلى رسوله ابن منقذ - وهو بالمغرب - ينهى إليه أخبار القتال حول عكا ، جاء بها « . . . وأحوج ما كنا إلى النجدة البحرية ، والأساطيل المغربية ، فإن عاريتنا به ترد ، وعاديتنا بها تشتد . . . » ، فإن للإسلام نظرات إلى الأفق الغربي يقلبها ، وخطرات من اللطف الخفي يقربها ، ويكنى من حسن الظن أنها نظرة ردت الهواء الشرقي غربا ، وخطرة أوهمت أن تلك الهمة لو تلم بالسفائن لأخذت كل سفينة غصباً . . . » (٣) .

ورغم أن هذه الرسائل لم تأت بالثمرة المرجوة منها ، بسبب انشغال الموحدين بحروبهم في الأندلس ، فضلا عن مهاجمة قراقوش لاطراف المغرب واستيلائه على تونس وعلان تبعيةها لصلاح الدين (٤) ، فإنها تدل على إدراك صلاح الدين الأيوبي - منذ وقت مبكر - إلى أهمية موقع دول شمال أفريقيا الإسلامية ، والدور الذي يمكن أن تقوم به من أجل التخفيف من حدة الهجوم الصليبي على الشام ، وهي ولا شك نظرة استراتيجية عميقة في استغلال إمكانيات العالم الإسلامي

(١) أبو شامة : الودعيتين ج ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢ ،
Grousset ; op. cit. vol. 3, p. 32.

(٣) أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٤) عن العلاقة بين صلاح الدين ، والمنصور يعقوب بن يوسف أنظر - سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) : العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي - مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ص ٨٤ - ١٠٠ ، ابن أبيك (أبو بكر عبد الله) : كنز الدرر ج ٧ (تحقيق د. سعيد عاشور) ص ٨٣ ، الجليلي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، Gibb, op. cit P.63 .

الجغرافية والحربية والمادية في الجهاد ضد الصليبيين ، وهو ما يتفق مع أحدث أساليب الحرب الاستراتيجية الحديثة .

وإذا كانت رسائل صلاح الدين لم تجد تجاوبا لدى حكام المغرب الموحدين ، فان حكام تونس من الحفصيين ، قاموا بدور هام ضد العداون الصليبي على مصر على يد لويس التاسع - ملك فرنسا - الذي قاد الحملة الصليبية السابعة ضد مصر في صفر ٦٤٧ هـ يونيه ١٢٤٩ م^(١). وينحصر ذلك الدور في تلك الرسالة الهامة التي أرسلها الأمير أبو زكرياء يحيى بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن المولى أبي حفص عمر الهنتاتي ، أمير تونس^(٢) (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ - ١٢٢٨ - ١٢٤٩ م) إلى سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ - ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م) يخبره بتحركات الملك لويس التاسع وقصده الديار المصرية .

وقد أشار إلى هذه الرسالة الهامة إشارة واضحة وصریحة مؤرخ الدولة الحفصية ابن القنفذ القسنطيني (٧٤٠ - ٨١٠ هـ - ١٣٣٩ - ١٤٠٧ م)^(٣) ، فذكر في كتابه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية : « وكان الملك الصالح ابن الملك الكامل بن أيوب صاحب الديار المصرية يعد للأمير أبي زكرياء هذه الفضيلة

ويراه أخا ، فانه تحقق قصد الفرنسيين إلى الديار المصرية ، قبل أن يبلغ ذلك الملك

(١) عن حملة لويس التاسع على مصر أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٥١ وما بعدها ، زيادة (الدكتور محمد مصطفى) : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المتصورة ص ٨٧ وما بعدها ، محمد محمد أمين (الدكتور) : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٦٨) ص ١٠٨ وما بعدها ، جوزيف نسيم (الدكتور) اويس التاسع في الشرق الأوسط (القاهرة ١٩٥٩) ، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل (القاهرة ١٩٦٠) .

(٢) هو يحيى بن عبد الواحد بن أبي بكر بن عمر ، ولد في مراكش سنة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م وبويع في القيروان ثم في تونس سنة ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨ ، ولم يتسم بأمير المؤمنين وأقتصر على الأمير ثم بويع بيعة ثانية سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٣٧ م ، وأعترفت بأمارته قسنطينة ، وبجاية ، وتلمسان ، وصيته ، والمرية ، وأشبيلية ، وغرناطة ، وشريش ، وسجلماسة - أنظر الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي) : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ١ ق ٤ ص ١٠٢٣ وما بعدها ، ابن القنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب) : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ص ١٠٧ وما بعدها ، ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيثي القيرواني) المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ص ١٣٢ وما بعدها .

(٣) عن ابن القنفذ وارتباطه بالأسرة الحفصية أنظر مقدمة كتاب الفارسية تحقيق محمد الشاذلي التيفر وعبد المجيد التركي ص ٨٤ وما بعدها .

الصالح ، فوجه كتابه في ذلك في البر إلى الملك الصالح ، فدخل عليه الرسول بالقاهرة ، فجاءه بالكتاب ، فاذا فيه الاعلام بما عزم عليه العدو - دمره الله - والاعتذار على عدم المبادرة إليه بنفسه وجنده ، لما يخشى من عدو صقلية المجاورة له ، ومن أعراب أفريقية ، فافاض على ذلك الملك الصالح في شكر الأمير أبي زكرياء وأثنى عليه ، وأخذ حينئذ في الاجتهاد للقاء العدو^(١) .

وإذا كان مؤرخو الحروب الصليبية لم يشر أى منهم إلى هذه المراسلة الهامة فربما يرجع ذلك إلى أنها وردت في تأريخ للدولة الحفصية ، ولم يرد ذكرها في أى من مصادر الحروب الصليبية المتداولة .

ولا شك في أن الموقع الجغرافي للدولة الحفصية ، وبسط نفوذها على بعض مدن الأندلس ، جعلها أقرب جغرافيا إلى فرنسا ، وبالتالي أعلم بما يدور في فرنسا من استعدادات عسكرية ، خاصة وأن الدعوة للحملة الصليبية السابعة بدأت في مجمع ليون الذي عقد في صيف سنة ١٢٤٥ م ، وقرر ضرورة إنفاذ حملة صليبية إلى الشرق لتدارك الموقف قبل فوات الأوان^(٢) ، وذلك عقب استيلاء قوات الخوارزمية - العاملة في خدمة الصالح أيوب - على بيت المقدس سنة ٦٤٢هـ - ١٢٤٤م^(٣) ، يضاف إلى ذلك أن استعدادات لويس التاسع لم تكن على درجة كبيرة من السرية ، ففي مجمع ليون أعلن البابا أنوسنت الرابع Innocent IV اختيار البابوية لويس التاسع لتولى قيادة الحملة الصليبية^(٤) . وأخذ لويس التاسع يستعد لحملة الصليبية طوال ثلاث سنوات ، تسربت خلالها أخبار حملته إلى الدول المجاورة ومن بينها الدولة الحفصية ، فكانت رسالة أمير تونس إلى سلطان مصر .

ولا شك في أن الملك الصالح أيوب استفاد كثيراً من هذا التحذير ، فضلا

(١) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية ص ١١٢ .

(٢) سعيد عاشور - الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ .

(٣) محمد محمد أمين : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ص ١٠٢ وما بعدها .

(٤) زيادة : حملة لويس التاسع ص ٨٩ ، محمد محمد أمين : المرجع السابق ص ١١٢ ،

عن التحذير المائل الذي وصله من الامبراطور فردريك الثاني ، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة^(١) ، وعمل على استكمال استعداداته العسكرية .

وإذا كانت رسائل صلاح الدين إلى المنصور يعقوب شاهد على إدراك صلاح الدين إلى أهمية دول شمال أفريقيا بالنسبة للحركة الصليبية ، فإن رسالة أمير الدولة الحفصية هي الدليل العملي على هذه الأهمية ، وإشارة إلى بعض ما يمكن أن يقدمه الغرب الإسلامي إلى الشرق الإسلامي في جهاده ضد الحركة الصليبية ، وتأكيداً جديداً إلى إدراك المسلمين في الشرق والغرب إلى أهمية شمال أفريقيا في مجال الحروب الصليبية .

إدراك الصليبيين لأهمية شمال أفريقيا :

أما إدراك الصليبيين إلى أهمية دول شمال أفريقيا الإسلامية في الحركة الصليبية ، فقد بدأ متاخراً نسبياً ، وتجلى هذا الإدراك في اتجاه حملة لويس التاسع Louis IX سنة ٦٦٨ هـ - ١٢٧٠ م - وهي الحملة الصليبية الثامنة - نحو تونس .

فبالرغم مما عرف عن لويس التاسع من تقواه ، وأنه لم ينس مطلقاً الأرض المقدسة ، إذ كان يرسل كل سنة مبلغاً من المال للاتفاق على جماعة عسكرية صغيرة تركها بعكا ، على أمل أنه سوف يعود مرة أخرى إلى الأرض المقدسة على رأس حملة صليبية ، ولكن لم تنهيا له الفرصة إلا سنة ١٢٦٧ م ، فاقسم للمرة الثانية على أن يقوم بحملة صليبية متأثراً بما جاءه من أخبار انتصارات السلطان بيبرس ،^(٢) فبدأ يعد عدته، وذلك بعد أن حل به الارهاق والمرض،^(٣) وفي سنة ١٢٧٠ م أصبح لويس التاسع مستعداً للتوجه بحملته إلى فلسطين^(٤) ، وبالرغم من ذلك تحولت هذه الحملة عن غرضها الأساسي إلى ميدان آخر على يد شارل كونت أنجو Charles of Anjou ، شقيق الملك لويس^(٥) .

(١) - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٥٤ وما بعدها ، محمد محمد أمين : المرجع السابق ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) . باركر (ارنست) : الحروب الصليبية - ترجمة الدكتور السيد الباز العريبي ص ١٢٩

(٣) Langlois (Ch. V:) Hist. de France, T. 3, II, P. 99.

(٤) Joinville : The Life of Saint Louis, P. 345 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291.

(٥) يرى باركر أن لويس التاسع هو الذي هداه تفكيره إلى أنه يجوز أن يتحول باي (أمير) -

وبالرغم من محاولات تفسير حملة لويس التاسع ضد تونس في ضوء تطورات التاريخ الأوربي ، في ذلك الوقت ، ورغبة شارل كونت أنجو - الذي أصبح ملكاً على جنوب إيطاليا وصقلية ١٢٦٦ (١) - في القبض على خصومه الذين فروا إلى تونس ، وأن يحصل على الجزية التي اعتاد الحفصيون دفعها إلى آل هوهنشتاوفن Hohenstaufen (٢) ، فاني أرى أنه يمكن إدراك الأسباب الرئيسية في تحويل هذه الحملة إلى تونس ، في ضوء أطماع كونت أنجو السياسية والاقتصادية ، ذلك أن شارل رأى ضرورة الإفادة من الفرنسيين والأموال الفرنسية لمصلحته الشخصية ، وليس لمساندة مملكة بيت المقدس ، فكان يأمل في الحصول على مساعدة لشن هجوم على بيزنطة ، فاذا لم يتيسر ذلك ، فلا أقل من ضرورة تحويل الحملة الصليبية إلى جهة يمكن أن يجني من ورائها مكاسب اقتصادية (٣) .

ولم يمنع شارل من اختيار تونس لتوجيه حملة أخيه إليها ، ما عرف عن أميرها أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ - ١٢٤٩ - ١٢٧٧ م) من ميله « للفرنج واستخدامهم » (٤) ، والعلاقات الودية التي تربطه

=تونس إلى المسيحية ، أما شارل فكان يكره مهاجمة تونس لا ارتباطها منذ أمد طويل بعلاقات تجارية مع صقلية ، وأن شارل أرغم على المشاركة في خطط أخيه - باركر : المرجع السابق ص ١٢٩ ، أنظر ما يلي .

(١) أقنع البابا اربان الرابع Urban IV لويس التاسع بضرورة القضاء على الهوهنشتاوفن في صقلية لضمان نجاح كل حملة صليبية مستقبلية ، وبالرغم من وفاة أربان الرابع سنة ١٢٦٤ م ، فإن البابا كلمنت الرابع Clement IV أتم الاتفاق مع شارل كونت أنجو الذي زحف سنة ١٢٦٥ م على إيطاليا ونجح في استخلاص جنوب إيطاليا وصقلية من آل الهوهنشتاوفن - عبد القادر أحد اليوسف (الدكتور) : العصور الوسطى الأوربية ص ١٩٨ ، ٢٨٧ ، وما بعدها ،

Stephenson(C.) : Mediaeval History, P. 479—480 ; Julien : Hist. of North Africa, P. 143 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291.

(٢) اعتاد الحفصيون دفع جزية صغيرة إلى النورمان ، ثم من بعدهم إلى آل هوهنشتاوفن في صقلية مقابل عدم تعرض قراصنة صقلية لهم ، وحتى يتمكنوا من بيع حبوبهم في موانئ الجزيرة ولكن المستنصر رفض دفع هذه الجزية إلى شارل - سعيد داشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٨ ، Julien : op. cit., P. 143 ; Langlois : op. cit., T. 3, II, P. 101. Grousset. op. cit. Vol.3. P.652.

(٣) Julien : op. cit., P. 143 ; Runciman : op. cit., Vol. 3. P. 291,, Grousset, op. cit. Vol. 3. P. 652.

(٤) المقرئزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٦٠١ .

بحكام أوروبا المسيحيين ، فقد أقنع شارل أخاه لويس التاسع أن أمير تونس مستعد للتحويل إلى المسيحية ، وأن إظهار قدر قليل من القوة كفيل بتحقيق هذه الغاية ، وبذلك يمكن إضافة إقليم جديد إلى العالم المسيحي يقع في منطقة بالغة الأهمية الاستراتيجية لكل حملة صليبية جديدة^(١)، أو على الأقل الاستفادة من موارد تونس وموقعها في القيام بحملة صليبية أخرى ضد مصر ، للرد على سلطانها بيبرس الذي أصبح نشاطه يمثل خطراً حقيقياً على الصليبيين^(٢)، كذلك أوضح شارل أن سيطرة المسيحيين على المحور : صقلية - مالطة - تونس - سوف يغلق النصف الغربي من البحر المتوسط أمام السفن الإسلامية في أسبانيا ومراكش ، ويمنعها من الوصول إلى المشرق الإسلامي^(٣).

لم يخف أصدقاء لويس التاسع كراهيتهم واعتراضهم على هذا المشروع ، ومن هؤلاء جوانفيل الذي يقول أنه : « اعتبر جميع من أشاروا على الملك بالقيام بهذه الحملة قد ارتكبوا ذنباً مهلكاً وخطيئة كبرى ... كان أثم الذين أشاروا على الملك بالسفر إثمًا عظيماً لمعرفتهم ما كان عليه من ضعف جثماني ، إذ لم يكن محتمل أن يؤخذ في عربة أو يركبوه جواداً...^(٤) » وبالرغم من معارضة أصدقاء لويس ، وبالرغم من مرضه ، فان لويس التاسع وثق في أخيه شارل ، فاجر من أيج - مورت Aigues-Mortes في جنوب فرنسا ، في ٤ يوليو ١٢٧٠ م ، على رأس حملة ضخمة^(٥)، صحبه فيها أبنائه الثلاثة ، وصهره تيبالد ملك نافار ، وغيرهم من أبناء رفاقه في حملته الصليبية السابقة ، أو من رفاقه الذين ظلوا على قيد الحياة^(٦).

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٨ ،

Duggan (A.) : The Story of the Crusades, P. 244 ; Sadeque (S.F.) : Baybars I of Egypt, P. 60; (Runciman : op. cit., Vol. 3, PP. 291—292, Grousset : op. cit. vol.3 . p. 651, Archer T.A.) The Crusades, p. 401.

(٢) تزايد نشاط السلطان بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) ضد الصليبيين في الشام ، ونجح في سنة ١٢٦٨ م في الاستيلاء على أنطاكية - أنظر تفصيل ذلك في سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤٣ وما بعدها ،

Duggan : op. cit., P. 244, Grousset : op. cit. vol. 3. P. 652. (٣)

Joinville : op. cit. p. 346. (٤)

(٥) بالغت بعض المصادر العربية في تقدير عدد هذه الحملة فيذكر ابن أبي زرع « وهم في أم لا يعلم لها عدد ، ومددهم في البحر متصل ، فكانت الروم في أرباب ألف فارس ، ورماتهم ألف رام ، ورجالها مئة ألف راجل » أنظر الأنيس المطرب بر وعن القرطاس ص ٤٠٤ .

(٦) الجيلاي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٠ ،

Langlois : op. cit., P. 467 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291, Archer ; op. cit. P. 401.

وصل أسطول لويس التاسع أمام قرطاجنة في ١٨ يوليو ١٢٧٠ م ، فيذكر ابن القنفذ القسنطيني « نزول النصارى بتونس بسبعة من الملوك وبكرة من العدد والعدد والخيل والახبية وذلك في صلاة الظهر من يوم الخميس السادس والعشرين من ذى الحجة (٦٦٨ هـ) (١) .

لم تظهر أى دلائل تشير إلى رغبة أمير تونس في التحول إلى المسيحية ، إذ أنه أعاد تحصين عاصمته ، وتعزيز حاميتها (٢) ، إذ أمر « السلطان في سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور لذلك باصلاح الاسوار واختزان الحبوب » (٣) كما بعث السلطان « في ممالكه حاشداً ، فوافته الامداد من كل ناحية ، واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى ، وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بانفسهم » (٤) .

أدرك الظاهر بيبرس - سلطان مصر - مدى خطورة هذه الحملة - إذا قدر نجاحها على مصر والشام ، ولذلك نجده يتناسى خصومته مع الحفصيين (٥) ، ويبادر بالكتابة إلى أمير تونس أبو عبد الله محمد المستنصر يخبره بعزمه على مساعدته كما أمر بحفر الآبار في الصحراء الغربية ليعتمد عليها الجند في طريقهم إلى تونس ، كما أمر عربان برقة بالمسارعة إلى نجدة تونس ، وفي ذلك يقول المقرئ : « فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة على الفرنج ، وكتب

(١) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية ص ١٣١ .

(٢) Calmette (J.) : Le Moyen Age, P. 238 ; Duggan : op. cit., P. 245.

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٩١ .

(٤) ابن خلدون : المرجع السابق ج ٦ ص ٢٩٣ ، الجيلاى : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٠

(٥) ترجع أسباب الخلاف بين بيبرس والحفصيين إلى إتخاذ الحفصيين ألقاب الخلافة ،

ومبايعة شريف مكة للحفصيين بالخلافة والأعراف بسيادتها على الأماكن المقدسة في الحجاز (٦٥٧ هـ)

مما يفقد دولة المماليك سيادتها على بلاد الحجاز ، وهو أمر ليس له سابقة منذ أيام الطولوتيين ، ولذلك

أسرع بيبرس إلى إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة . ابن أبي دينار : (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) :

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٣٧ ، سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ١١٢ . وأنظر أيضاً :

Ayala. D. : Studies on the transfer of the Abbasid Caliphate from Bagdad to Cairo. Arabica. Vol. VII 1960. pp. 41—59.

إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته ، وأمرهم حفر الآبار في الطرقات برسم العساكر ، وشرع في تجريد العساكر «(١).

لم يكتف الظاهر بيبرس بذلك ، بل وعد البنادقة بامتيازات تجارية في مصر وسوريا ، حتى لا يقدموا مساعداتهم البحرية إلى لويس التاسع ، وحتى إذا اضطروا إلى إجابته لطلبه تكون شروطهم قاسية ، فلا يقبلها «(٢).

إنهى أمر حملة لويس التاسع ضد تونس بالفشل ، ازاء مقاومة أمير تونس ، فضلا عن شدة حرارة الجو — في هذا الوقت من السنة — ولتفشى الأمراض في معسكر الصليبيين ، فوقع ألوف من الأمراء والفرسان والعساكر الصليبيين فريسة للمرض ، وكان لويس التاسع من أوائل من فتنك بهم المرض «(٣).

وصل شارل كونت أنجو بجيشه في ٢٥ أغسطس ١٢٧٠ م ، فعلم أن أخاه — لويس التاسع — مات منذ ساعات قليلة ، فتولى شارل قيادة الحملة ، وكان لما أشتهر به شارل من القوة والنشاط ، أثره في عدم القضاء على الحملة ، ومع ذلك فإن شارل تصرف على أنه ملك صقلية ، لا محارب صليبي ، فلم يهتم إلا بمصالحه الشخصية ، ومصالح مملكته ، ولذلك أسرع بعقد معاهدة مع المستنصر في ٥ نوفمبر ١٢٧٠ م ، حصل شارل بمقتضاها على مبلغ من المال على سبيل التعويض لنفسه ولملك فرنسا ، فيذكر ابن القنفذ : « ودفع لهم من المال في الصلح ألف قنطار من الفضة » «(٤) ، كما حصل شارل أيضاً على جزية ضخمة لخزانة صقلية ، تعادل ضعف الجزية التي كان يدفعها الحفصيون من قبل إلى آل هوهنشتاوفن «(٥) ، فضلا عن السماح للرهبان والقساوسة المسيحيين بالاقامة في المملكة الحفصية تحت رعاية الدولة الإسلامية ، « ولهم إتخاذ الكنائس والأديرة ، وأن تعطى لهم الأرض الكافية

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٩٠ . Grousset, op. cit. vol 3, p. 654.

(٢) Heyd (W.) : Hist. du Commerce du Levant , Vol. I, P. 409 ; Sadeque : op. cit., P. 60.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٩ ، Julien : op. cit., P.144 : Cam. Med. Hist., Vol. 6, P. 360.

(٤) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية ص ١٣٢ .

(٥) باركر : المرجع السابق ص ١٣٠ ، Julien : op. cit. p. 144.

لذلك^(١) ، ثم عاد شارل إلى إيطاليا ، ولكن بعد أن قضى على الحملة الصليبية بالفشل^(٢).

وإذا كانت وفاة لويس التاسع ، وفشل حملته السريع على تونس ، جعلت السلطان بيبرس يوقف استعداداته لمساعدة تونس ، فإن هذا لا يقلل من أهمية مبادرة بيبرس ، وإدراكه لأهمية دول شمال إفريقيا الإسلامية في جهاده ضد الصليبيين .

شمال أفريقيا ومشروعات دعاة الحرب الصليبية :

وإذا كانت حملة لويس التاسع على تونس قد منيت بالفشل ، فإن شمال إفريقيا احتل مكانة كبيرة في مشروعات دعاة الحرب الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر ، وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، وأهم هؤلاء الدعاة الذين اهتموا بشمال أفريقيا : ريموند لول Raymond Lully ، أورو مان لول Roman Lull وبوركارد Burcard وفيليب دي ميزير Philippe de Mezieres ومارينو سانودو Marino Sanudo

عاصر ريموند لول (١٢٣٢ - ١٣١٦ م) فترة الانهيار الصليبي في الشرق وسمع مع معاصريه عن سقوط عكا آخر المعاقل الصليبية في الشام سنة ١٢٩١ م ، على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون^(٣) ، وكان لول قد بدأ نشاطه الديني سنة ١٢٦٣ م عندما أعلن توبته ، بعد حياة مملوءة بالخلاعة والمجون ، ووهب نفسه للقديس فرانسيس St. Francis^(٤) ، فوضع الكثير من الكتب والرسائل^(٥) ،

(١) الجيلاي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٣ .

(٢) Joinville : op. cit., P. 350 ; Julien : op. cit., P. 144 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291.

(٣) أنظر تفصيل ذلك في - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٧٦ وما بعدها .

(٤) قديس إيطالي (فرانسواداسيز) ولد سنة ١١٨٢ م ، وأسس مذهبه (الفرانيسمكي) سنة ،

١٢٠٩ م ، وتوفي سنة ١٢٢٦ م - الجيلاي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٣ حاشية (١) ، Turner (W.) : The Catholic Encyclopedia, Vol. XII, P. 670.

(٥) ينسب إلى لول أكثر من أربعة آلاف كتاب ورسالة ، ولكن من الثابت أنه ألف على الأقل

٣٠٠ كتاب ، ووضع خططه الصليبية في كتاب Liber de Fine أنظر

Atiya (A.S.) : The Crusade in the Later Middle Ages, P. 74 ; Crusade, Commerce and Culture, P. 96.

وسافر إلى المراكز الرئيسية في أوروبا ليلقي المحاضرات ، كما قابل البابا ، وعرف طريقه إلى المجالس الدينية ، وسافر أيضاً إلى الشرق (١).

وكان الهدف الرئيسي لريموند لول من وراء نشاطه الديني هو ادخال كافة الأمم بما في ذلك المسيحيين الشرقيين ، والتتار ، والمسلمين إلى حظيرة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ومن أجل تحقيق هدفه أخذ يدعو إلى القيام بنشاط صليبي أساسه التبشير كدعوة سلمية للدخول في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية (٢)، أما الحرب الصليبية فكان يرى أنها آخر أمل لتحقيق هدفه ، وكان يقول أنه يدعو إلى حرب صليبية ليس بالسيف ولكن بالحب ، ولكن لم يلبث أن قال « ليس فقط في الأراضي المقدسة ، ولكن أيضاً في الدول الإسلامية بصفة عامة ، يجب أن تغزى بالجيوش (٣).

لم يكن لول أول من عمل بالتبشير بين المسلمين (٤) ، ولكنه كان أكثر مجهوداً من الذين سبقوه أو عاصروه ، وقد بدأ جهوده التبشيرية بين المسلمين بعد أن تعلم اللغة العربية في مدرسة ميورقة - أول مدرسة في الغرب لتعليم اللغة العربية - حتى أصبح يتكلم اللغة العربية بطلاقة ، ويكتب بها أيضاً ، ويترجم كتاباته إلى اللغة العربية (٥).

وفي سنة ١٢٩٢ م أبحر لول من جنوة إلى تونس ، ليدعو إلى المسيحية عن طريق الفلسفة (٦) وهناك نظروا إلى دعوته على أنها شرك وحض على الكفر ، فحكم عليه بالاعدام ، ثم خفف الحكم إلى النفي ، فنقل من زنزانه إلى مركب جنوى

(١) Atiya : The Crusade in the Later Middle Ages, P. 75.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٤ ، Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 431

(٣) Atiya : op. cit., P. 75...76.

(٤) من الأفكار الصليبية للتبشير بالمسيحية بين المسلمين ، مظهر أثناء حملة الأطفال سنة ١٢١٢ م عندما ظهر في حوض الرين صبي اسمه نيقولا ، نادى بأن الأطفال الألمان لن يلجأوا إلى غزو الأراضي المقدسة بالقوة ، وإنما سينجحون في تحويل المسلمين بجمعاً إلى المسيحية عن طريق التبشير - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٥٥ ، ٩٥٦ .

(٥) Atiya : op. cit., P. 89 ; Turner : op. cit., P. 670.

(٦) Turner : op. cit., P. 670.

تحت وابل من الحجارة في شوارع المدينة^(١) .

ورغم أن حياته أنقذت باعجوبة ، فانه كان يحلم بالعودة ثانية إلى تونس « لينقذ أرواحهم » على حد تعبيره^(٢) ، ولكنه قبل أن يعود ثانية إلى تونس سمع بغزو التار لبلاد الشام سنة ١٢٩٩ م ، فاسرع إلى قبرص في طريقه إلى الشام عسى أن يقابل خان التار يدعوّه إلى المسيحية ، ولكنه وصل إلى الشام بعد أن غادرها التار فطلب من هنري الثاني ملك قبرص مساعدته في مهمته التبشيرية في مصر والشام ، ولكن هنري الثاني أعاده إلى جنوه ، ومنها إلى باريس^(٣) .

وفي سنة ١٣٠٧ م أبحر لول ثانية إلى شمال أفريقيا ، وفي هذه المرة نزل في مدينة بجاية بالجزائر ، في محاولة لنشر المسيحية بين المسلمين وخاصة البربر ، وفي بجاية اتصل ببعض العلماء المسلمين ، وطلب مناظرتهم في مواضيع دينية تتعلق بالإيمان ، وحدد قاضي المدينة الزمان والمكان لتلك المناظرة ، إلا أن الرأي العام في بجاية ثار على لول فالتى به في السجن بتهمة الاساءة إلى المسلمين^(٤) ، ولحماته من غضب الجماهير ، وبعد أن قضى في السجن مدة ستة أشهر ، طرد من البلاد^(٥) .

ولم يلبث أن قدم لول مشروعا إلى مجمع فيينا Council of Vienna (١٣١١ - ١٣١٢ م) للقيام بحملة صليبية^(٦) ، يكون على رأسها ملك ، وتشارك فيها جميع هيئات الفرسان من داوية واسبتارية وتيوتون وغيرهم ، على أن يندمجوا جميعاً في هيئة واحدة تحت زعامة الملك الذي سيتولى قيادة الحملة ، واقترح لول أن يبدأ سير الحملة من أسبانيا حيث يقوم الصليبيون بطرد المسلمين منها ، ثم ينتقلون عبر المضيق إلى شمال أفريقيا^(٧) ، حيث يحاربون البربر في عقردارهم ،

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٣٩ . الجليلي : تاريخ الجزائر العام

ج ٢ ص ٣٣ . Atiya : op. cit., P. 90.

Atiya : op. cit., P. 90.

(٢)

Ibid, P. 90...91.

(٣)

(٤) أنظر ملخص آراء لول في اليهودية والمسيحية والاسلام في Atiya : op. cit., P. 92.

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٩ ، Atiya : op. cit., P. 90...91.

Turner : op. cit., P. 670.

(٦)

(٧) كانت حملة لويس التاسع على تونس أول إشارة إلى أهمية شمال أفريقية كقاعدة لضرب مصر -

مبتدئين بسبته ، ثم يتوجهون نحو تونس ويزحفون بحذاء الساحل إلى مصر ، وبذلك يسهل الاستيلاء على مصر واستعادة الأراضي المقدسة(١).

ورغم فشل ريموند لول مرتين في التبشير بالمسيحية في شمال أفريقية ، ورغم أنه بلغ الثالثة والثمانين من عمره ، فإنه عاد للمرة الثالثة والأخيرة إلى شمال أفريقيا سنة ١٣١٥ م ، وفي هذه المرة كان يحمل خطاب توصية مؤرخ ٥ نوفمبر ١٣١٤ م من جيمس الثاني ملك أرغونة James II of Aragon للأمير تونس أمير المؤمنين المولى أبي يحيى اللحياني بن الأمير أبي العباس (٧١١ هـ - ٧١٧ هـ - ١٣١١ - ١٣١٧ م) (٢) فسمح أمير تونس لريموند لول بقضاء حياة هادئة في تونس واحتاط لول فاخذ يدعو لدعوته سرّاً ، ولا يجعل سبباً للعامة لطرده ، ولكن أحد كتبه التي كتبها في حوالى ذلك الوقت ، قدم إلى مفتى تونس ، ولذلك نقل لول إلى بجاية بالجزائر (٣).

وفي بجاية تحقق أمل ريموند لول ، إذ أنه كان قد أعرب منذ عشرين سنة أنه يأمل أن يظل في مهمته التبشيرية حتى الموت ، كما عبر في مناسبة أخرى عن خوفه من أن يموت ميتة طبيعية ، فما أن وصل إلى بجاية في أواخر سنة ١٣١٥ م أو في بداية سنة ١٣١٦ م حتى اكتشف أمره ، ورجم بالحجارة على الشاطئ حتى الموت وعندئذ قام أثنان من التجار الجنوية بسحب جثته إلى سفينتهما ، وعندما

مستقبلاً ، أما رومان لول فيعتبر أول من أشار إلى طريق الساحل الشمالى لأفريقيا كطريق للحملات الصليبية ، ثم تلاه في ذلك كل من بركارد وفليب مزير - أنظر Atiya : op. cit., Ps. 80,101,147. وأنظر ما سبق ص ١٥٨ وما يلي ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(١) إعتقد الصليبيون منذ وقت مبكر أن مفتاح بيت المقدس في مصر ، وأن استيلائهم على مصر هو الضمان الوحيد لضمان سيطرتهم على بيت المقدس ، ويؤكد هذا ما ذكره ابن واصل عن حملة لويس التاسع على مصر فيقول : « حدثته نفسه بأن يستعيد البيت المقدس إلى الفرنج إذ هو بيت معبودهم حل ما يزعمون ، وعلم أن ذلك لا يتم إلا بملك الديار المصرية » ابن واصل : مفرج الكروب (المخطوطة) ، ج ٢ ورقة ٣٥٥ ب . سعيد عاشور . الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٤ ، ١٢٣٩ ،

Atiya : op. cit., P. 80...81.

(٢) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ابن منقل

القسنطيني : الفارسية ص ١٥٩ ، Atiya : op. cit., P. 93.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٠ ، الجيلاي : تاريخ الجزائر العام

ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٤ ؛ Atiya : op. cit., P. 94.

وصلا إلى Las Palmas في جزر البليار (ميورقة) دفن في كنيسة سان فرانسيسكو (١) .

أما بوركارد Burcard فهو من دعاة الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي ، إذ بدأ نشاطه الديني بالرحيل إلى الشرق الأدنى حوالي سنة ١٣٠٨ م وهناك ظل نحواً من أربعة وعشرين سنة يبشر بالمسيحية وفقاً للمذهب الكاثوليكي ، عندما عاد بوركارد إلى أوروبا سمع بمشروع الحملة الصليبية التي كان يعدها ملك فرنسا فيليب السادس دي فالوا Philippe de Valois (٢) (١٣٢٨ - ١٣٥٠ م) ، وفي الحال بدأ بوركارد يعد تقريره (Directorium) الذي قدمه للملك سنة ١٣٣٢ م (٣) .

وفي هذا التقرير اهتم بوركارد بدراسة الطرق المؤدية إلى الشرق ، وعدد منها أربع طرق رئيسية (٤) ، منها الطريق الأفريقي ، الذي سبق أن ذكره ريموند لول ، كما درس فيما بعد في تقرير فيليب دي مزير في تاريخ لاحق . إلا أننا نلاحظ أن بوركارد لم يحدد استخدام هذا الطريق (٥) ، نظراً لطول المسافة عبر مضيق جبل طارق إلى الساحل الشمالي لأفريقيا ثم الاتجاه شرقاً عبر الطريق البري إلى عكا ، ولا يقصر من طول هذه المسافة اتجاه الصليبيين مباشرة إلى تونس ، ومنها براً إلى الشرق ، يضاف إلى ذلك أن نزول الصليبيين في شمال أفريقيا سوف يستتبعه

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٠ ،

Atiya : op. cit., P. 94 ; Crusade, Commerce, Culture, P. 96.

(٢) لم يقدر لمشروع حملة فيليب السادس أن يخرج إلى حيز التنفيذ ، فبينما كان فيليب يشرف على الترتيبات النهائية لاقلاع حملته من مرسيليا إلى الشرق ، إذ بلغه نبأ هجوم الإنجليز على بلاده ، فتجددت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا ، واضطر فيليب إلى العودة مسرعاً إلى باريس - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٨ .

(٣) Atiya : op. cit., P. 97...99 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 440.

(٤) الطرق الأربعة التي حددها بوركارد هي : الطريق الأفريقي ، وطريق البحر إلى قبرس ومنها إلى الشام ، وطريق شمال إيطاليا إلى دلماشيا وصربيا ثم إلى القسطنطينية ، وطريق المانيا وهنغارها ثم إلى القسطنطينية - أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٦ و ١١٩٧ ،

Atiya : op. cit., PP. 101...103.

(٥) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١١٩٦ ، ص ١٢٤٠ .

بالضرورة الدخول في حروب مريعة ضد الممالك الاسلامية هناك وإذا نجح الصليبيون في التغلب على هذه العقبة ، سيكون عليهم عبور الصحراء الليبية وتحمل قسوة الحياة بها ، فاذا وصلوا بأمان إلى وادي النيل ، فانهم سوف يجدون سلطان مصر قد أعد عدته للقضاء عليهم ، ولذا فان بور كارد يرى أنه لا أمل لنجاح حملة صليبية تتخذ هذا الطريق ، وفي ضوء هذه الاعتبارات لا يرى بور كارد أي مبرر لحملة القديس لويس السابقة ضد تونس (١).

أما فيليب دي ميزير Philippe de Mézières (١٣٢٦ - ١٤٠٥ م) (٢) والذي بدأ نشاطه الديني سنة ١٣٤٥ م ، فقد كتب تقريراً (Songe du vieil Pèlerin) سنة ١٣٨٩ (٣) ، وهو تقرير مطول اخلاقي مثالي ، قدم فيه ميزير النصيح والخبرة ، وكان من بين المشاكل الرئيسية التي درسها ميزير في هذا التقرير ، الطرق التي على الصليبيين أن يسلكوها في طريقهم إلى الشرق ، وأوضح ميزير أنه لا يرى ضرورة في أن تسير كل القوى الصليبية في طريق واحد ، وفي نفس الاتجاه ، فهناك طرق مختلفة تناسب أمما مختلفة ، وفي جميع الاتجاهات فان قضيتهم الرئيسية هي خدمة المسيحية (٤).

وبالنسبة للطريق الأفريقي ، رأى ميزير ، أنه الطريق المثالي الذي يجب أن يسلكه صليبيو أسبانيا ، وأرغونه ، والبرتغال ، ونافاري ، وأنه على هؤلاء الصليبيين أن يقوموا بغزو ممالك غرناطة ، وبنى مرين ، وتلمسان ، ومراكش ، وتونس ، قبل أن يتوجهوا إلى الشرق (٥).

وإذا كان ريموند لول ، وبور كارد ، وفيليب دي ميزير ، قد اهتموا بدراسة طريق شمال أفريقيا كطريق للحملات الصليبية إلى الشرق ، واختلفوا فيما بينهم في تقدير مدى أهمية هذا الطريق بالنسبة لمشروعاتهم الصليبية ، فان

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤٠ ، وأنظر ما سبق ص ١٥٦ وما بعدها ،

Atiya : op. cit., P. 101.

Atiya : op. cit., Ps. 137, 140. ; Crusade ..., P. 102.

Atiya : op. cit., P. 144.

Atiya : op. cit., PP. 146...147.

(٥) عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 147.

مارينوسانود Marino Sanudo (١٢٧٤-١٣٤٣ م) (١) بحكم أصله البندقي اهتم بالعامل التجارى فى الحركة الصليبية ، ولم يغب عنه أهمية شمال أفريقيا التجارية ، ولذا كان يرى أن القوة البحرية الصليبية ، يجب أن يشمل حصارها الاقتصادى (٢) بالإضافة إلى مصر ، تونس أيضاً ، وغيرها من الممالك الإسلامية (٣).

الحملة الصليبية على شمال أفريقيا فى القرن ١٤ م :

لم تكن فكرة إرسال حملة صليبية ضد شمال أفريقيا جديدة على أوروبا فى أواخر العصور الوسطى ، فقد مهدت لها حملة لويس التاسع على تونس ، وكتابات دعاة الحرب الصليبية وخاصة ريموند لول ، وفيليب دى مزير ، فى الوقت الذى كان فيه فيليب دى مزير يعد تقريره ، تجمع أسطول مشترك أسهمت فيه صقلية بثلاث سفن ، وبيزا بخمس سفن ، وجنوة باثنتى عشر سفينة ، واستطاع رجال هذا الاسطول بقيادة منفرد Manfredo de Chiaramonte ، أن يستولوا سنة ١٣٨٨ م على جزيرة جربة (٤) الواقعة فى خليج قابس بشمال أفريقيا (٥) والتابعة لآبى العباس أحمد الثانى المستنصر أمير بنى حفص فى تونس (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ - ١٣٧٠ - ١٣٩٣ م) (٦) ، ولم تلبث أن وافقت جنوة - صاحبة القوة الكبرى فى الاسطول المشترك - على ضم جربة إلى مملكة صقلية ، بعد أن تعهدت ملكة صقلية مارى Marie بدفع مبلغ ٣٦٠٠٠ قطعة ذهبية لجنوة مقابل ما قامت به من جهد فى فتح الجزيرة (٧) ، وفى العام التالى قام البابا أربان السادس

Atiya : op. cit., Ps. 116, 126 ; Crusade ..., P. 98.

(١)

(٢) عن دور الحصار الاقتصادى فى الحركة الصليبية أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية

ج ٢ ص ١١٩٩ وما بعدها ،

Heyd : op. cit., Vol. I, P. 152 ; Vol. II, P. 24, 25 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 441.

(٣) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، Atiya : op. cit., P. 123.

(٤) جربة : جزيرة على مقربة من قابس ، يهاويها البحر الكبير مجاز - ياقوت : معجم البلدان .

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 398.

(٦) ابن المنقذ القسنطينى : الفارسية ص ١٧٧ ، ١٨٨ ، الوزير السراج : الحلل السنية ج ١

ق ٤ ص ١٠٦٥ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ .

(٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 398.

Urban VI بتعيين منفرد كحاكم على جزيرة جربة وباقي الجزر الصغيرة القريبة من تونس^(١).

وكان لنجاح الأسطول الصليبي المشترك ، وفي مقدمته سفن جنوة ، في الاستيلاء على جزيرة جربة ، حافظاً لجنوة للتفكير في القيام بحملة صليبية أكبر ضد المسلمين بشمال أفريقيا ذاتها ، ولتحقيق هذا الهدف رأت جنوة ضرورة الاعتماد على مساعدة إحدى الدول الأوروبية الكبرى ، فالتجّهت إلى شارل السادس ملك فرنسا (١٣٨٠ - ١٤٢٢ م) للتعاون معها في مشروع الحملة الصليبية على شمال أفريقيا^(٢).

ويلاحظ أن شمال أفريقيا - في هذا الوقت - أصبح يعاني من التدهور نتيجة لانحلال دولة الموحدين ، وقيام عدة أمارات على أنقاضها مثل بني نصر في غرناطة ، وبني مرين في فزان ، وبني عبد الواد في تلمسان ، والحفصيين في تونس^(٣).

كانت تونس هي موضع اهتمام الصليبيين في القرن الرابع عشر ، نظراً لأهمية موقعها التجاري ، مما جعل كثيراً من التجار الإيطاليين بصفة خاصة يترددون على تونس - العاصمة وموانئها مثل سوسة ، والمهدية ، وسفاقس ، وقابس ، فضلاً عن جزيرة جربة التي استولت عليها صقلية سنة ١٣٨٨ م^(٤).

كما كانت موانئ تونس قواعد طيبة لكثير من المجاهدين المسلمين ، والذين لم يفرقوا بين أعمال القرصنة والجهاد ، فيذكر ابن خلدون أن غزاة البحر «يصطنعون الأسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة - وجزائرهم ، على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة ، فيظفرون بها غالباً ويعودون بالغنائم والسبي والاسرى حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجابة بأسراهم^(٥) » ولما عجز الحفصيون عن

(١) Atiya. op. cit. p. 398.

(٢) كانت فرنسا تمر بفترة استعجاب بعد انتهاء الدور الأول من أدوار حرب المائة عام مع إنجلترا سنة ١٣٦٠ م - أنظر سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 399.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤١ ، Atiya : op. cit., P. 401.

(٤) أنظر ما سبق ص ١٦٧ ، سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤١ ، Julien : op. cit., P. 149.

(٥) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

منع أولئك المجاهدين القراصنة ، من مزاولة نشاطهم ، عمدوا إلى مساعدتهم وتشجيعهم (١).

ولم تستطع الجمهوريات الإيطالية ، التي اعتمدت في حياتها على التجارة ، أن تسكت على تلك الاعتداءات ، ولا سيما بعد أن ثبت لديها أن شواطئ تونس بالذات هي الاوكرار الرئيسية للقراصنة ، وأن هؤلاء يحظون بعطف أمير تونس ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « فشق ذلك على أمم الفرنجة ، فتداعوا لمنازلة المسلمين والاخذ بالثأر منهم » (٢).

اختار الجنوية أن يوجهوا حملتهم الصليبية التالية إلى المهديّة (٣) ، ولذلك أرسلوا سفارة إلى شارل السادس - ملك فرنسا - تطلب معونته (٤) ، وذلك في ٢٩ نوفمبر ١٣٨٩ م ، ونجح الجنوية في استثارة حماسة الملك شارل ، بعد أن صوروه في صورة حامى المسيحية ، المدافع عن كيائها ضد المسلمين ، كما تعهد الجنوية بالاشتراك في هذه الحملة بعشرين ألفا من المحاربين ، فضلا عن تقديم السفن والمؤن اللازمة للصليبيين ، ووعد الملك بالتفكير في الامر ، واتخاذ قراره خلال يومين ، ويقال أنه اعتذر عن عدم إمكانه تولى قيادة الحملة (٥).

عرض شارل السادس الفكرة على أمرائه ، فعارضها البعض بحجة حاجة فرنسا إلى الاحتفاظ بقوتها ، ولا سيما وأن الحرب قد تتجدد بين لحظة وأخرى مع إنجلترا ، فضلا عن عدم جدوى مثل تلك الحملة على شمال أفريقيا ، ولكن انتصر رأى

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٠ .

(٣) المهديّة : في أفريقية (تونس) منسوبة إلى المهدي عبد الله المهدي ، ولها موقع استراتيجي هام بين سفاقس والمنستير ، وهي جزيرة متصلة بالبر (أى شبه جزيرة) كهيئة كف متصلة بزند ، محصنة بسور ، وأبواب الحديد المصمت ، في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار ، ولها بابان بأربعة مصاريع ، لكل باب دهليز يسع خمسمائة فارس ، ويقول البكري أن كل باب وزنه ألف قنطار ، وعلى طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة حديد ولها مرسى منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا يقوم على طرفيه برجان بينهما سلسلة من حديد تحميه من طرق راكب الروم . ياقوت : معجم البلدان . ؛ البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٧٩ ، مجهول : كتاب الاستبصار (تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد) ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) أنظر ما سبق ص ١٦٧ .

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٢ ، Atiya : op. cit., P. 403.

الامراء الشبان الذين دفعتهم حماسهم إلى التمسك بفكرة مساعدة الجنوية ، ومشاركتهم في حملتهم الصليبية على شمال أفريقيا^(١) .

وافق شارل السادس على المساهمة في مشروع الحملة الصليبية - الذي تقدمت به جنوة - ضد المهدية ، ولكنه وضع بعض الشروط لهذه المساعدة منها : أن يزود المشتركون في هذه الحملة أنفسهم بالسلاح على حسابهم الخاص ، وليس على حساب الدولة ، وألا يستخدم كبار البارونات لهذه الحملة الرجال من خارج إقطاعاتهم ، وأن المسموح لهم بالاشتراك في هذه الحملة هم الفرسان والمشاة فقط ، وليس للعامة هذا الامتياز ، ما داموا على الأقل ليسوا من السادة ، وأخيراً ألا يزيد عدد المشتركين في الحملة عن خمسة عشر ألفاً^(٢) .

ووقع الاختيار على لويس الثاني البوربوني Louis II, duc de Bourbon خال الملك ، ليتولى قيادة الحملة ، فقد كان رجلاً ناضجاً ، ذو خبرة في شئون الدولة والحرب^(٣) ، ويقال أن لويس البوربوني « توسل إلى الملك لمنحه قيادة الحملة وأن يسمح له بالحرب باسم الملك ، وفي خدمة الرب ، وحيث لا يوجد مجد يعادل السير على خطوات لويس التاسع ، والحرب في المنطقة التي قضى فيها القديس آخر أيامه للدفاع عن القضية المقدسة »^(٤) .

ذاع خبر الحملة التي يعدها لويس الثاني البوربوني ، فاقبل على المشاركة فيها الكثيرون ، وألحوا في السماح لهم بحمل الصليب قبل أن يكتمل العدد حسب الأمر الملكي^(٥) ، كما أقبل على الاشتراك في هذه الحملة عدد كبير من إنجلترا ، وأرغونة وفلا ندرز ، ومختلف أنحاء فرنسا ، أما الفرسان الفرنسيون الذين اسهموا في هذه الحملة فبلغ عددهم نحو ألف وخمسمائة فارس^(٦) ، كما بلغ عدد سفنها حوالي مائة سفينة كبيرة ، بالإضافة إلى عدد من السفن الصغيرة^(٧) ، وتم الاتفاق على أن

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، Atiya : Ibid.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٣ ، Atiya : op. cit., P. 404.

(٣) ولد لويس البوربوني في ٤ أغسطس ١٣٣٧ ، أي أنه كان في الثالثة والخمسين في وقت الحملة - أنظر Atiya : op. cit., P. 405.

(٤) Atiya : op. cit., P. 406 ; Crusade ..., P. 105.

(٥) أنظر ما سبق ، Atiya : op. cit., P. 407, 408.

(٦) Cam. Med. Hist., Vol. 7, P. 370.

(٧) الزركشي : تاريخ الدولتين ص ١١٢ ، الوزير السراج : الحلل السندمية ج ١ ق ٤ - ص ١٠٦٩ ، Atiya : op. cit., P. 406.

يكون تجمع القوات الفرنسية في مرسيليا ، والقوات الجنوية في جنوة ، ثم اجتمع الجميع في جنوه ، ومنها أبحرت الحملة إلى المهديّة في الثالث أو الرابع من يوليو ١٣٩٠ م^(١).

اتبعت الحملة أقصر طريق بين جنوة وتونس ، فسارت في البحر التيراني ، ثم البحر المتوسط إلى خليج قابس ، وتوقف الاسطول عند جزيرة صغيرة لاتبعد أكثر من ١٨٠ ميلا عن الشاطئ الافريقي ، وذلك لمدة تسعة أيام من أجل راحة الجنود ، ولعقد مجلس الحرب والمشورة لتقرير الخطوات التي يجب اتباعها عند الوصول إلى الشاطئ الافريقي^(٢).

استقر الرأي النهائي على أن تكون المهديّة (Cité d'Auffrique) الهدف الرئيسي للحملة ، وقام هذا الاختيار على أساس أن المهديّة هي المركز الرئيسي للقراصنة المسلمين ، الذين كثيراً ما اعتدوا على السفن المسيحية ، وهاجموا المدن والقرى على شواطئ سردينيا ، وصقلية ، وإيطاليا^(٣).

يضاف إلى ذلك أنه سبق للأوربيين الاستيلاء على المهديّة مرتين : مرة سنة ٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ ، عندما استولت عليها قوة مشتركة من جنوة ، وبيزا ، ونورمان صقلية ، ومرة ثانية سنة ٥٤٣ - ١١٤٨ م ، عندما استولى عليها نورمان صقلية ، وفي هذه المرة استمرت المهديّة كمستعمرة تابعة لصقلية لمدة اثنتي عشرة سنة قبل أن يستردها الموحدون في عهد عبد المؤمن سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م^(٤)، وأنه طالما نجحت الجيوش المسيحية في الاستيلاء عليها مرتين ، فيبدو أنه من الممكن الاستيلاء عليها هذه المرة أيضاً سنة ٧٩٢ هـ - ١٣٩٠ م .

هذا فضلا عن أن المهديّة من أقوى المدن الساحلية التونسية ، وأن الاستيلاء

(١) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٤ ،
Atiya : op. cit., P. 409,410.

(٢) Atiya : op. cit., P. 411 ; Crusade ..., P. 106.

(٣) أنظر ما سبق ص ١٦٨ ، ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان - مادة المهديّة ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٢٥ ،

عليها يقضى على قوة تونس ، ويتيح للصليبيين الفرصة لعمليات أكبر على اعتبار أن المهديّة هي مفتاح أفريقيا الشماليّة^(١) .

وصلت أخبار الاعداد لهذه الحملة إلى تونس ، قبل وصول الصليبيين ، فارسل أبو العباس أحمد الثاني المستنصر ، أمير تونس ابنه أبافارس « يستنفر أهل النواحي ، ويكون رصداً للأسطول هناك ويراقب الشواطئ »^(٢) ، ورغم هذا استطاع الصليبيون النزول إلى الشاطئ دون مقاومة^(٣) ، فقد وضع المسلمون خطتهم على أساس التحصن في مدينة المهديّة ، وتجنب الاشتباك المباشر مع الصليبيين ، فيما عدا قذف النيران من الأبراج على الأسطول أثناء دخوله الميناء ، وترك الصليبيين خارج المدينة تحت رحمة حرارة الجو في ذلك الوقت من السنة^(٤) .

مضى اليوم الأول دون أي اشتباك سواء من الصليبيين أو من حامية المدينة^(٥) ، وفي صباح اليوم التالي أمر الدوق لويس ببدء الحصار برأ وبحراً ، فتولى الجنوية الحصار من ناحية البحر ، بينما قام الفرنسيون ، وباقي الصليبيين الأجانب بمحاصرة المدينة من الجهات البرية الثلاث ، وقطع جميع الاتصالات بين المهديّة والمناطق المجاورة ، وبالتالي منع وصول أي امدادات إليها^(٦) .

مرت ثلاثة أيام دون أي اشتباك بين الطرفين ، ولكن في نهاية اليوم الثالث ، وبينما كان الصليبيون يتناولون عشاءهم ، قام المسلمون بهجوم مفاجيء على المعسكر الصليبي ، وقدرت المصادر عدد المسلمين الذين قاموا بهذا الهجوم المفاجيء بعدد

Atiya : op. cit., P. 412.

(١)

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٠ .

(٣) لا يعرف على وجه التحديد اليوم الذي نزل فيه الصليبيون إلى البر ، فهو في ما بين يوم ٢٢ يوليو ويوم ٧ أغسطس ١٢٩٠ م - أنظر . Atiya : op. cit., P. 415.

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 414, 415.

(٥) تذكر المصادر العربية : « فاتفق للمولى أبي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة » الزركشي : أخبار الدولتين ص ١١٢ ، الوزير السراج : الحلل السندسية ج ١ ق ٤ ص ١٠٦٩ ، والمرووف أن القوات الإسلامية بقيادة أبي فارس كانت مرابطة خارج المهديّة - أنظر مايلي ص ١٧٤ .

(٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 416.

يتراوح بين ستة آلاف ، وأثنى عشر ألفا ، إلا أن الحراس الصليبيين ، و كانوا نحو من مائتي في اسلحتهم ، وألف من الجنوية رماة الاقواس ، كانوا مستعدين لمثل هذا الهجوم المفاجيء ، وتمكنوا من صد هجوم المسلمين ، ومتابعتهم إلى بوابات المدينة ، ولم تجرؤ حامية المدينة بعد ذلك على القيام بهجوم مماثل ، وكان عليها أن تدافع عن المدينة من وراء الأسوار تاركة الأراضي الفسيحة - خارج الاسوار - للجيش الصليبي ، والجيش الإسلامية التي قد تأتي من أى مكان في تونس^(١).

ليس من السهل تحديد عدد الجيش الإسلامي - الذى وصل خارج المدينة - فالمصادر الغربية^(٢) تبالغ عادة في اعداد المسلمين لتزيد من أهمية العمل الذى يقوم به الصليبيون ، فتذكر أن قوات إسلامية وصلت بقيادة ابى فارس - ابن أمير تونس - ، وأن مقدمة هذه القوات وصلت إلى خارج المهدية قبل وصول الصليبيين ، أما القوات الرئيسية للجيش الإسلامي ، فقد تتابع وصولها لعدة أيام ، وأنه بينما يقوم الصليبيون بمحاصرة المدينة ، جاءت سفينتان جنويتان كانتا تراقبا الشاطئ ، تخبران بتقدم الجيش الإسلامي ، وعلى رأسه امراء تونس ، وبجابه ، وتلمسان ، ويقدر عددها بستين ألفا من الجنود الأقوياء ، وفي رواية أخرى أنه بلغ عددها أربعين ألفا من الجنود^(٣).

ورغم هذا تجنب المسلمون الاشتباك مع الصليبيين في معركة فاصلة ، فعندما وصلوا إلى مرمى ضربة قوس من الصليبيين لم يتقدموا أكثر من ذلك ، وعندما حل الليل تحصنوا في مواقعهم فوق تل صغير في مواجهة العدو^(٤).

كان للصليبيين هدفين : الأول هو صد أى هجوم مفاجيء يقوم به المسلمون ، والثانى هو محاولة اخراج المسلمين من حصونهم ، وجرحهم إلى معركة في المنطقة السهلية ، ولكن ما أن وصلت الاخبار الجديدة بمقدم الجيش الإسلامي الكبير حتى

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 417.

(٢) لم تحدد أى من المصادر العربية المتداولة اعداد هذا الجيش .

(٣) ابن خلدون : المعبر ج ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٤ ،

Atiya : op. cit., P. 418.

Ibid. (٤)

جمع الدوق مجلس الحرب ، للنظر فيما يمكن عمله لتحقيق أهدافهم ، فاما الجنوية الذين يعرفون أهل المغرب من المسلمين ، أكثر من غيرهم ، فقد اشاروا بضرورة احاطة المهديّة بسور يعلو أربعة أقدام لمنع خيول المسلمين من القفز في المعسكر الصليبي واشاعة الذعر بين القوات ، واقامة الابراج على هذا السور حتى يتمكنوا من مقاتلة حامية المدينة^(١).

وبينما يحسن الصليبيون أوضاعهم الدفاعية ، فان المسلمين تجنبوا الدخول في معركة حاسمة ، بل أنهم حافظوا على جعل العمليات محدودة ، وفي اضيق نطاق ، فاقصر الأمر على مناوشات بين الطرفين ، ولكن عندما انتهى الصليبيون من بناء السور ، ونصبوا عليه برجاً كبيراً يشرف على المدينة وشحنوه بالمقاتلة ، اسرع المسلمون إلى قذف ذلك البرج « بالحجارة والسهم والنفط فاحترق البرج »^(٢).

استمر الحصار الصليبي للمهديّة تسعة أسابيع ، لم يحقق الصليبيون خلالها أي نصر أو تقدم ، فلم يستطيعوا اقتحام المدينة ، أو التغلب على الجيش الذي حضر بقيادة ابي فارس ، والذي ظل مرابطاً أمام الصليبيين ، هذا في الوقت الذي بدأ الصليبيون — يعانون فيه من قسوة حرارة الصحراء الافريقية ، كما بدأت موثهم في التناقص ، فعانوا من نقص مياه الشرب ، وزاد عدد مرضاهم ، كما بدأ الجنوية يشكون من تعطل سفنهم ، وأصبح الشعور العام في المعسكر الصليبي يفضل رفع الحصار ، بعد أن شكوا في جدواه ، ولم يكن المسلمون أقل رغبة من الصليبيين في إنهاء هذا الوضع ، بعد أن تعذر عنهم أيضاً القيام بعمل حاسم ضد الصليبيين^(٣).

وازاء هذه الظروف فن الطبيعي أن يرحب الطرفان بمفاوضات من أجل السلام ، وبدأ الجنويون يتوسطون لانهاء هذه الحملة الصليبية ، فهم أكثر علاقة بأهل تونس ، ومعرفة بالبلد ، كما أنهم أيضاً أقل اهتماماً بالحملة الصليبية كحرب مقدسة، ولكن كبقية أهل المدن الايطالية، ينظرون إليها من خلال مصالحهم الاقتصادية^(٤).

(١) ابن خلدون : المبرج ج ٦ ص ٤٠٠ ، Atiya:op. cit., P. 419.

(٢) ابن خلدون : المبرج ج ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 423.

(٣) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 425.

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٦٢ وما بعدها ، Atiya : op. cit., P. 426.

دخل الجنوية في مفاوضات مع أمير تونس الحفصي ، دون أخذ رأى لويس الثاني البوربونى ، قائد الحملة^(١) ، وبعد أربعة أيام توصل الطرفان إلى عقد هدنة لمدة عشر سنوات كما تعهد أمير تونس ألا يتعرض - طوال مدة الهدنة - للمسيحيين في بلاده بأذى ، وأن يدفع دخل المهديّة للجنويين مدة خمسة عشر سنة ، وأن يدفع خلال عام خمسة وعشرين ألفاً من الدوكات لكل من لويس البوربونى وجمهورية جنوة ، تعويضاً عن النفقات التي تحملوها في تلك الحملة^(٢).

أقر لويس البوربونى ، وكبار رجال حملته ، هذه الاتفاقية ، ووجدوا فيها ترضية - كافية للصليبيين ، وتعويضاً لهم عما تكبدوه من أموال ، ولذلك أمر لويس رجال الحملة بالانسحاب إلى السفن التي أبحرت عائدة إلى صقلية وسنها إلى جنوة ، حيث اتجه كل فريق من الصليبيين إلى بلده^(٣) ، وفي ذلك تذكر المصادر العربية : « وخيب الله سعيهم وانصرفوا بعد شهرين ونصف من نزولهم »^(٤) ، أو « فانصرفوا خائبين »^(٥) ، أو « وتفرقوا شذر مذر »^(٦).

وهكذا انتهت الحملة الصليبية على المهديّة سنة ١٣٩٠ م ، دون أن تحقق أى من أهدافها ، فلم تستولى على المدينة ، ولم تحطم قوة القراصنة ، أو الجيش الاسلامى في شمال أفريقيا ، كما أنها لم تحقق للصليبيين أى نجاح في الشرق^(٧) ، مما جعل ابن خلدون يصف تلك النهاية بأنها جاءت فشلاً للمسيحيين . ونصراً للجيش المسلمين^(٨).

(١) اعتبرت المصادر العربية هذا الوضع غداراً من الجنوية بالفرنسيين ، فذكر الوزير السراج : « ثم ان النصارى في أنفسهم اضطربت أحوالهم لانهم كانوا من فرقتين أهل جنوة وفرنسة ، وأراد أهل الجنوة الغدر بالفرنسيين » ، كما ذكر الزركشى : « ثم أن النصارى اختلفوا فيما بينهم وأراد الجنوى الغدر بالفرنسى » - أنظر الحلل السندسية ج ١ ق ٤ ص ١٠٧٠ ، تاريخ الدولتين ص ١١٣ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٥ ،

Atiya : op. cit., P. 427 ; Crusade ..., P. 106.

(٣) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤٥ ، Atiya : op. cit., PP 428...430 .

(٤) ابن القنفذ القسنطينى : الفارسية ص ١٨٨ .

(٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ص ١١٣ .

(٦) الوزير السراج : الحلل السندسية ج ١ ق ٤ ص ١٠٧٠ .

Atiya : op. cit., P. 432.

(٧)

(٨) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٥ .



شمال إفريقيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر

المصدر : J. D. An Atlas of African Hist
P. 15 : المجلد الثاني، الجزء ١٩٤١

لم ينته دور شمال أفريقيا في الحركة الصليبية ، بانتهاء هذه الحملة ، فمن المعروف أن الحروب الصليبية نقلت ميدانها من المشرق إلى المغرب في القرن الخامس عشر ، وأن الإسبانيين والبرتغاليين هم الذين تزعموا الحركة الصليبية في ذلك الوقت ، وكما تطلع المشرق إلى المغرب في جهاده ضد الصليبيين ، عندما كان المشرق هو الميدان الرئيسي للحركة الصليبية ، فإن المغرب تطلع إلى المشرق أيضاً في جهاده ضد الحركة الصليبية في القرن الخامس عشر ، ذلك التطلع الذي انتهى باستيلاء العثمانيين على الجزائر سنة ١٥٢٩ م ثم ، على تونس سنة ١٥٣٤ م .

مراجع البحث

أولا : المصادر :

- ١ - ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني من علماء تونس في اواخر القرن ١١ هـ - ١٧ م) :
- المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس
تحقيق وتعليق محمد شمام - الطبعة الثالثة
تونس ١٩٦٧ .
- ٢ - ابن أبي زرع (علي الفاسي ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) :
- الأنيس المطرب بروض القرطاس (في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)
الرباط ١٩٧٣
- ٣ - ابن الاثير (عز الدين أبو الحسن ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) :
- الكامل في التاريخ
١٢ جزء
بيروت ١٩٦٦
- ٤ - ابن ابيك (أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :
- كنز الدرر وجامع الغرر
الجزء السابع وعنوانه : الدرر المطلوب في اخبار بني أيوب .
تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ١٩٧٢

- ٥ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :
- العبر وديوان المبتدأ والخبر
بولاق ١٢٨٤ هـ .
- ٦ - ابن القنفذ القسنطيني - (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب
ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م) :
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية .
تقديم وتعليق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي
تونس ١٩٦٨
- ٧ - ابن منكلي (محمد بن منكلي من علماء القرن ٨ هـ / ١٤ م) :
- الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال
في البحر .
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣ فروسية تيمور
(قام بدراستها وتحقيقها الدكتور / عبد العزيز محمود
عبد الدايم - رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة
القاهرة ١٩٧٤) .
- ٨ - ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) :
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب
الأجزاء ١ - ٣ نشر الدكتور جمال الدين الشيال .
القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠
الجزء الرابع نشر وتحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع
القاهرة ١٩٧٢ .
باقى الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩
تاريخ .
- ٩ - أبو شامة (شهاب أبو محمد عبد الرحمن ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) :
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين .
القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- ١٠ - البكري (ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)
- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب
نشر دى سلان الجزائر ١٨٥٧ م)

- ١١ - الزركشى
(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم من علماء القرن ٩ هـ / ١٥ م)
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .
تحقيق وتعليق محمد ماضور
الطبعة الثانية - تونس ١٩٦٦
- ١٢ - القلقشندى
(أبو العباس أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :
- صبح الاعشى فى صناعة الانشا .
١٤ - جزء القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٨ .
(كاتب مراکشى مجهول)
- كتاب الاستبصار
نشر وتحقيق : الدكتور سعد زغلول عبد الحميد
الاسكندرية ١٩٥٨
- ١٤ - المقرئى
(تقي الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
- السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الأول والثانى (٦ أقسام)
نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة .
القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٥٨
الجزء الثالث والرابع (٦ أقسام) نشر الدكتور سعيد
عبد الفتاح عاشور .
القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣
- ١٥ - الوزير السراج
(محمد بن محمد الافنداسى ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) :
الحلل الهندسية فى الأخبار التونسية
الجزء الأول - أربعة أقسام .
تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة .
تونس ١٩٧٠ .
- ١٦ - ياقوت
(شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
- معجم البلدان .
طهران ١٩٦٥ م طبعة بالأوفست عن طبعة ليزج
١٨٦٦ م .

ثانيا - المراجع العربية :

١٧ - باركر (ارنست) :

- الحروب الصليبية

ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى - بيروت ١٩٦٧ .

١٨ - الجيلالى (عبد الرحمن بن محمد)

- تاريخ الجزائر العام - جزآن

بيروت ١٩٦٥ .

١٩ - سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) :

- العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور

بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى .

مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ١٩٥٢ - ١٩٥٣

ص ص ٨٤ - ١٠٠ .

٢٠ - سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

- الحركة الصليبية جزآن - القاهرة ١٩٦٣ .

- أوربا العصور الوسطى الجزء الأول - القاهرة ١٩٧٢

- الظاهر بيبرس - القاهرة ١٩٦٣ .

- الناصر صلاح الدين - القاهرة ١٩٦٥

٢١ - السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى)

- الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى - ٣ أجزاء

الدار البيضاء ١٩٥٤ .

٢٢ - عبد القادر أحمد اليوسف (الدكتور) :

- العصور الوسطى الأوربية

بيروت ١٩٦٨

٢٣ - محمد محمد أمين (الدكتور) :

- السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب

رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٦٨ .

٢٤ - محمد مصطفى زيادة (الدكتور) :

- حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة

القاهرة ١٩٦١

ثالثا - المراجع الاوربية :

25. Archer, (T. A.) :
— The Crusades. London 1914.
26. A tiya (A.S) :
— The Crusade in the Later Middle Ages. London 1938.
— Crusade, Commerce and Culture, Blomington 1962.
27. Calmette (J) = Le Moyen Age, Paris 1948.
28. Duggan (A.) = The Story of the Crusades 1097-1291 London 1963.
29. Gibb. (S.H.) : The Life of Saladin. Oxford 1973.
30. Grousset (R.) : Hist-des Croisades 3 vols. Paris 1943-6.
31. Heyd W. : Hist. du Commerce du Levant, 2 vols. Leipzig, 1936.
32. Joinville : The Life of Saint Louis ed-Penguin 1963.
33. Julien (ch. A.) : History of North Africa, translated by John Petrie, ed. C.C. Stewart, London 1970.
34. Langlois(ch.-v.): Hist. de France, Tome 3' II (1226-1328), ed. Ernest Lavissee, Paris 1901.
35. Runciman (S.) : A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge 1951-1955.
36. Sadeque (S.F.) : Baybars I of Egypt, Dacca 1965.
37. Stephenson (C.) : Mediaeval History, United States Armed Forces Institute, 1943.
38. Turner (w.) : The Catholic Encyclopedia, Vol. XII.
39. Cam. Med. Hist. vols. VI, VII, Cambridge 1957-1958.

وأنظر أيضا:

1. Brunschvig (R.) : La Berberie Oriental sous Les Hafcides, 2 vols. Paris 1940-1949.
2. Mas Latrie (M. de). ed. Commerce et expéditions militaires de La France et de Venise au moyen age, Paris 1835.
3. Mirot (L.) : Une Expédition française en Tunisie au XIVe siècle, le siège de Mahdia, 1390, Revéu des eutds historique, Paris 1932.
4. Peers, E. Allison : Roman Lull, London. 1929.
5. Wolff (R.W.), and Hazard (H.R.) eds. The Later Crusades, Philadelphia, 1961.

الايكولوجيا البشرية

(المفهوم ، المجال ، الهدف)

دكتور فاروق عبد الجواد شويقة

مدرس الانثروبولوجيا الطبيعية

الكلمات الدالة : الايكولوجيا . الجغرافيا الانثروبولوجية .

«HUMAN ECOPOLGY»

ABSTRACT

Ecology deals with the relations of living creatures to each other and to their environment. The word is derived from two Greek words meaning «study of the home». Ecology accordingly enters the scope of geographical studies specially the physical approach.

The ecological studies began to appear and take shape with the start of the twentieth century. The human ecology involves the relations between man and his environment. It is mostly classified as being both a biological and a social science. Rather, it identifies relationships that contribute to understanding a wide variety of problems.

Shuwayqah, Faruq A.

التعريف والمفهوم

ظهر مصطلح Ecology لأول مرة في اللغة الألمانية Ökologie عندما وضعه أستاذ البيولوجيا الألماني أرنست هايكل Haeckl, E. Heinrich (٥) ، محدداً له مجالا واطاراً يشمل دراسة التعاون بين الكائنات الحية التي تعيش في بيئة معينة ودرجة تلاؤمها مع هذه البيئة .

وفي عام ١٨٦٩ دخل اللغة الإنجليزية oecology ، وأخذ مفهومه يتسع فشمّل واهتم بالعلاقات المزدوجة المتبادلة بين مختلف النظم الحيوية والأشكال البيولوجية وبيئاتها (١) .

وقد بدأ استعمال هذا المصطلح أولاً لدراسة البيئة النباتية ، وأخيراً في عام ١٩٣٠ أمتد مجاله إلى الحياة الحيوانية (٢) . وتنطق هذه الكلمة في الإنجليزية e.col'ō-g-y (٣) أما في الفرنسية فتكتب oecology وتنطق Ök-ec-logie (٤) وفي الألمانية تكتب وتنطق Ökologie (٥) .

ومن التعريفات المحددة للاكلوجيا إعتبارها الدراسة العلمية عن توزيعات الكائنات الحية (٦) ، وقد عرف هذا المصطلح بأنه علم البيئة (٧) ، ويتضمن هذا التعريف مفهوم التفاعل interaction .

(*) حيث اشتقه من الكلمة اليونانية oikos بمعنى بيت house مضافاً إليها logy (The Concise Oxford Dictionary of Current English. London, Oxford University, 1968, p. 386 Second column)

(١) Webster's Third New International Dictionary. Springfield, Marriam Co., 1967, p.720 Second column.

(٢) The Oxford English Dictionary ; supplement bibliography. Oxford, The Clarendons Press, 1933, Vol. 3, p. 319 Third column.

(٣) Webster's New Twentieth Century Dictionary of the English Language ; Unabridged. 2 rd. ed. New York, The world publishing, 1968, p. 574 Middle column.

(٤) Harrap's Standard French and English Dictionary ; Edited by J. E. Mansion. Part 2 : English-French, with supplement. London, George Harrap & Co. Ltd., 1962, p.368 Second column.

(٥) Webster's Seventh New Collegiate Dictionary. Springfield, Marriam Co., 1961, p.262 Second column.

(٦) Andrewartha, H. G. : Introduction to the Study of Animal Population. Chicago, University of Chicago Press, 1961, p. 22.

(٧) الإتحاد العلمي العربي : المصطلحات العلمية . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

والاكتولوجيا عند اللغويين المترجمين تعني « علم البيئة » أو « التبيوء » وتعني علم أثر البيئة في عالم الاحياء (١) ، ومنها الاكتولوجيا البشرية Human Ecology وهي تلك الدراسة التي تهتم بالعلاقة بين المجتمعات البشرية وبيئاتها المتباينة وبأوجه نشاطاتها المتعددة (٢) ، أو بمعنى آخر التفاعل المتبادل بين الانسان وبيئته بجوانبها المتعددة الثابتة والمتغيرة. وهي بذلك تدخل في مجال إهتمام الجغرافيا الطبيعية بقدر ما تدخل في مجال الجغرافيا الانثروبولوجية Anthropogeography وهي بحق تشمل دراسة العلاقة بين الإنسان والحياة أي بين البيئة وبين نشاط سكانها (٣) .

وعلى ذلك فيطلق مصطلح أكتولوجيا على الدراسات التي تبحث في العلاقة المتبادلة أو في التفاعل بين الإنسان وبيئته . وهذه الدراسات تشمل التقدم الصناعي والتكنولوجيا واستعمالاتها المختلفة بما في ذلك الحرف التقليدية (٤) والمتقدمة .

وفي نطاق الأنثروبولوجيا يعطى هذا المصطلح أكثر من دلالة ، فهناك الدلالة البيولوجية والدلالة الاجتماعية وغيرهما ولكنه بعامه يتعلق بالتأثيرات البيئية على الظروف الطبيعية والثقافية والاجتماعية ، وعلى ذلك فان البيئة لها أثرها على حجم المجتمع ونظام تركيبه لذا فانه يكثر استعمال النمط الأكتولوجي في الدراسة الأنثروبولوجية (٥) .

وقد عرب هذا المصطلح بدخوله العربية (١٩٦٥) * بلفظه وحروفه حيث

(١) ألياس ألتون ألياس : القاموس المصري ، إنكليزي - عربي . ط ٩ . القاهرة ، المطبعة المصرية ، دت ، ص ٢٢٧ المورد الثاني

(٢) Webster's Third New International Dictionary, p. 110 3 rd. column.

(٣) محمد السيد غلاب (مترجم) : الأرض والتطور البشرى ، تأليف لوسيان فيفر . ط ٢ . أسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣ ، ص ١٦

(٤) Beals, Ralph L. & Hoijer, Harry : An Introduction to Anthropology. 4 th. ed. New York, Macmillan, Co., 1972, p.113

(٥) Ibid, p.114

• بأقرار لجنة الجغرافيا بمجمع اللغة العربية له ثم بموافقة مؤتمر المجمع في الدورة الحادية والثلاثين في الجلستين السادسة والسابعة المنعقدتين بتاريخ ٢٣ من فبراير ١٩٦٥ ، ٢٨ من فبراير ١٩٦٥ . (مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع . مج ٧ ، ١٩٦٥ . القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤٠)

أصبح رسمه العربي « الأكلوجيا » (بدون ياء قبل الكاف) . وقد ورد في تعريف هذا المصطلح في المعجم الجغرافي الذي أصدره مجمع اللغة العربية أنه : « علم البيئة : وهو العلم الذي يدرس الترابط بين الأحياء والبيئة الطبيعية^(١) . ويلاحظ على هذا التعريف أنه قد استعمل كلمة ترابط بدلا من تفاعل التي أفضلها والتي شاع استعمالها كتعبير عن المفهوم المقصود ، وأيضاً لأن كلمة ترابط التي استعملت في التعريف لا تعطى الدلالة الكاملة التي تحملها كلمة interrelationship التي تضمها تعريف Oxford * وتعريف Webster ** للمصطلح وهي تعني العلاقة المتبادلة أو التفاعل ، كما أن كلمة ترابط لا تتعدى معنى العلاقة والصلة بين الشئيين^(٢) ، بينما التفاعل يعنى أن تتفاعل مادتين مما ينتج عنهما مادة أخرى جديدة^(٣) ، وهذا هو المعنى المقصود^(٤) .

كما أن تعريف المجمع استعمل تعبير البيئة الطبيعية فحسب في حين أن الكائنات الحية لا تتأثر بها فقط ، بل تتعداها إلى سائر جوانب البيئة الأخرى من ثقافية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية وغيرها ، لذلك يقترح أن يكون تعريف المصطلح هو : « الأكلوجيا : علم البيئة : وهو العلم الذي يدرس التفاعل بين الكائنات الحية وبين مكونات وعناصر المكان بجوانبها المختلفة » . وبذلك يتحقق الايضاح المطلوب ونتلافى تكرار استعمال لفظ البيئة في المصطلح وفي التعريف .

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الجغرافي (٢) ، ١٩٦٥ . القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤ .

* وهو : Branch of biology dealing with living organisms, habits, modes of life and relations to their surrounding» (The Concise Oxford Dictionary of Current English, London, Oxford University, 1968, p. 386 Second column),

** وهو : «A branch of science concerned with the interrelationship of organisms and their environments.»

(Webster's third New International Dictionary, p. 720 Second column).

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط . ج ١ . القاهرة ، المجمع ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢

(٣) نفس المرجع ، ص ٨١٤

(٤) Worthington, E. Barton : «What is Human Ecology». In : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. London, Charles Knight & co., 1972, p. 8

مجال الاكلوجيا

لعل من الأسباب الرئيسية في اتساع مجال الاكلوجيا كونها علماً ومنهجاً في نفس الوقت ، وكان من نتيجة هذا الوضع المزدوج أن تشعبت مجالاتها بحيث شملت نطاقات متسعة من العلوم الطبيعية والاجتماعية ، وعلى ذلك فان الدراسة الحالية تقسم مجال الدراسات الاكلوجية إلى ثلاث نطاقات رئيسية هي :

Physical Ecology	الأكولوجيا الطبيعية
Social Ecology	الأكولوجيا الاجتماعية
(١) Biological Ecology	الأكولوجيا الحيوية

وتتضمن هذه الأخيرة ثلاث مجالات إهتمام هي :

Botanical Ecology	الأكولوجيا النباتية
Zoological Ecology	الأكولوجيا الحيوانية
Human Ecology	الأكولوجيا البشرية

نطاق دراسة الاكلوجيا البشرية :

تتسم الأكولوجيا البشرية بالإنسان وتفاعله مع البيئة بمجالاتها المختلفة ، لذلك فانه يصعب التركيز على الجزئية الخاصة بالأكولوجيا البشرية كأحد فروع نطاق الأكولوجيا الحيوية ، وعلى هذا فسوف نتعرض بالدراسة لسائر نطاقات الدراسات الاكلوجية باعتبار أن كل البيئات ما كانت لتظهر أهميتها وما كانت لتستحق الدراسة إلا لغرض خدمة الإنسان وأهدافه^(٢) ، وعليه فسوف نعرض لأهم مكونات الدراسات الاكلوجية ذات الصلة المباشرة بالإنسان ، وهي تلك التي تعرف في عرف البعض بالأكولوجيا البشرية .

تعتمد الأكولوجيا البشرية في بحوثها ودراساتها على مجالين من مجالات المعرفة هما : —

Worthington, E. Baroton :op. cit., p. 9

(١)

Newbould, P.J. : «The Contribution of Ecology to the Study of Human

(٢)

Ecology». In : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. p. 37

Micro-Regional geography

الجغرافيا الإقليمية الدقيقة

Anthropo-geography

الجغرافيا الأنثروولوجية

ويتضمن المجال الأول اهتمامات متعددة لعل أهمها دراسة التربة Soil ، كما يشمل دراسة المناخ الحيوى Bioclimatology الذى يشمل علم المناخ الطبى Medical-climatology بفروعه المختلفة ومنها الجغرافيا الطبية Medical-geography والاختلافات المرضية الفصلية Seasonal Variation (Diseases) وأثر المناخ على المحاصيل Crops and Climate ، وتفاعل الانسان مع عناصر المناخ المختلفة ، وأخيراً سلاسل الغذاء Food chains بما فيها من تتابع غذائى ومن كيمياء حيوية وتمثيل غذائى .

أما المجال الثانى فيتضمن عدة اهتمامات يتسع نطاقها كثيراً عن نطاق المجال الأول ، إذ أنها تتصل بصورة أو بأخرى بالمجالات التالية :

Man-Influence of environment

تفاعل الإنسان والبيئة

Social Sciences

العلوم الإجتماعية ، خاصة :

Social psychology

علم النفس الإجتماعى

Sociology

علم الإجتماع

Population

السكان

Human embryology

علم الأجنة البشرية

من هذا يتضح أن الأكلوجيا تمثل مجالا متسعا من الدراسات المتشعبة التى يدخل بعضها نطاق العلوم البحتة والعلوم التطبيقية ، والبعض الآخر نطاق العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ومع ذلك فإن هناك من يقول بأنها ليست علما وإنما هى منهج بحث (١). وما لاشك فيه أن الأكلوجيا تمثل منهجا للبحث يلجأ إليه المشتغلون فى العلوم المختلفة عند محاولة تفهم أسس المشكلات التى تطرأ على الموضوع محل الدراسة ، ولكنها تمثل فى نفس الوقت أيضاً علما قائما بذاته له منهجه وأهدافه وأساليبه ببحثه وموضوعاته الفرعية المتخصصة .

(١) جمال حمدان : « هذه هى الجغرافيا » . فى : مرآة العلوم الإجتماعية . القاهرة ، العدد

الأول ، ديسمبر ١٩٥٧ ، ص ٢٢

وتتخذ الأكلوجيا البشرية في دراستها منهجين. الأول : المنهج الوصفي وهو الذى يتضمن وصف الجوانب المختلفة للبيئة ، وأما الثانى : فهو المنهج التحليلى الذى يدرس العلاقة بين عناصر ومكونات البيئة وما تحدثه من تفاعل يخلق فى النهاية نمطاً متميزاً تعرف به البيئة (١) .

ويعتمد السبيل الوصفي الميدانى على جمع المادة العلمية من الحقل ويستعمل لذلك أسلوب الملاحظة وجمع القياسات والعينات وغيرها من أساليب العمل الحقلى ، ويراعى فى الملاحظة أن تكون علمية منهجية يقوم بها الباحث بصبر للكشف عن تفاصيل الظواهر وعن العلاقات الخفية التى توجد بين عناصرها أو بينها وبين بعض الظواهر الأخرى (٢) .

أما السبيل التحليلى فيعتمد على شقين :

١ - التحليلات العملية المتعددة من فزيائية و كيميائية للبيانات التى تجمع من العينات التى أخذت محلاً للبحث ، وإجراء الدراسة المقارنة لها مع عينات مماثلة من بيئات متعددة متباينة ، أو مع عينات متعددة من ذات البيئة أخذت على فترات زمنية متباعدة .

٢ - التحليلات الرياضية وتعتمد أساساً على التحليل الاحصائى وهو الذى يتم فيه تحويل الحقائق العلمية إلى رموز رياضية تدخل فى مقاييس واختبارات تأكد للتحقق من مدى صحة الفرض المعروض تعليلاً للمشكلة محل البحث .

ولما كان منهج دراسة الأكلوجيا البشرية يهدف أساساً لوضع أفضل الخطط للاستغلال الأمثل للبيئة التى يحيا فيها الانسان، وذلك بعد دراسة دقيقة وتفصيلية لظروفها الواقعية ومدى انعكاسها على الانسان ووظائفه المتعددة ، فانه يتضح أن هذه النتائج لا تكاد تتحقق إلا إذا أتبع أسلوب تكاملى يستخدم المناهج الأكلوجية المتعددة ، ولما كانت دراسة البيئة البشرية لا تخرج إطلاقاً عن كونها دراسة للأرض بعناصرها المتعددة وأثرها على الانسان فلا مفر إذن من إتباع المنهج التكاملى .

(١) Krebs, Charles J. : Ecology ; the experimental analysis of distribution and abundance. London, Harper & Row Publishers, 1972, p. 9

Ibid, p. II

(٢)

بعض الأهداف

يتسع هدف الأكلوجيا البشرية اذ يهتم أولاً بدراسة البيئة التي يحيا فيها الانسان بجوانبها المتعددة الطبيعية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية . . . ، كما يهتم بمحاولة وضع منهج للانسان ليصل به إلى أفضل إستعمال مناسب لهذه الجوانب المتعددة ليحقق أهدافه القريبة والبعيدة في الحياة (١) .

وعلى هذا فقد دعت الأمم المتحدة إلى مؤتمر البيئة البشرية الذي عقد في ستوكهولم في صيف عام ١٩٧٢ والذي تركزت مهمته الرئيسية في أن يحدد بوضوح ما يجب اتخاذه للحفاظ على الأرض كمكان مناسب للانسان ليس الآن فحسب ولكن للأجيال القادمة أيضاً (٢) ، وذلك لأن تقدير الزمن الأكلوجي لا يقاس بالسنين المحدودة ولكن بمئات وآلاف الأجيال (٣) .

ويتركز هدف الأكلوجيا البشرية الحديث حول التفاعل المتبادل بين الإنسان والبيئة باعتبارها الاطار الذي يحيا فيه الانسان ويمارس نشاطه ، وأن هذا التفاعل يحدد إلى مدى بعيد درجة التخلف الفكري (٤) .

ولما كانت الموضوعات المتعلقة بالبيئة البشرية متعددة ومتشعبة فإن بحثها يتطلب جهوداً اجتماعية بالإضافة إلى المعرفة العلمية المتخصصة الدقيقة ومع هذا فيمكن لغير المتخصص من المثقفين العامين أن يسهم برأى يكون في جل الأحوال ذا نفع كبير ، ويرجع هذا في الواقع إلى نظرتة الشاملة للمشكلات المعقدة الخاصة بالإنسان والبيئة تلك النظرة التي لا يشوهها محدودية التفكير الذي غالباً ما يصاحب التفكير المتخصص .

Ibid, p.623

(١)

(٢) باربارا وارد ، رينيه ديبو : أنه عالم واحد ترجمة سعيد دويدار وآخرون . القاهرة ، دار

المعرفة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨

Krebs, C.J. : op. cit : , p.514

(٣)

(٤) محمد عبد الفتاح القصاص : « الإنسان والبيئة » . في : محاضرات المجمع المصري للثقافة

العلمية ، ١٩٧٢

في مجال الدراسات الجغرافية :

قسم الدراسات الجغرافية في مجال الأكلوجيا عن طريق بحوث الجغرافية الإقليمية الدقيقة التي يتركز هدفها في الوقت الحاضر على دراسة استعمال الأرض بصورها المختلفة Land Use وهذا المفهوم نصل إلى أن دراسة الأكلوجيا البشرية تدخل في نطاق الجغرافيا التطبيقية ، يضاف إلى ذلك أنها تعتبر حلقة الصلة الحديثة بين الأنثروبولوجيا والجغرافيا على أساس اعتبارين : الأول هو كون الأكلوجيا البشرية أحد فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية (١). أما الثاني فهو أن الجغرافيا هي أقدر المعارف على شرح العلاقة بين الإنسان والبيئة وتفسيرها وذلك بطريقة كلية (٢) تملأ متصل الزمكان .

ولقد حاول الكتاب في القرن الماضي فهم الطبيعة البشرية عن طريق التبرير وليس التعليل ، ذلك أنهم كانوا يربطون بين المجتمعات الأنسانية والبيئة الجغرافية دون سابق فحص أو دراسة علمية سببية (٣) وأستمر الحال كذلك حتى كتابات تشارلز دارون Darwin, Charles R. (١٨٥٩-١٨٨٢) خاصة كتابيه عن : أصل الأنواع (١٨٥٩) * ، أصل الإنسان (١٨٧١) * ، وهي التي زادت من شأن البيئة بحيث جعلت منها قوة عارمة في اختيار الأنواع التي تناسبها فتسمح بتكاثرها واستمرارها أما الأنواع الأخرى فلا تجد ما يناسبها ولا تستطيع الملائمة معها فتزوي ولا تعقب فتقرض. تلك هي باختصار أسس فكر دارون التي تركت أثرا كبيرا في المدارس الفكرية المختلفة ومنها الفكر الجغرافي خاصة في مجال الجغرافيا الأنثروبولوجيا ، وهو ذلك الإطار الذي تأثر أكثر من غيره بعوامل التطور والاختيار الطبيعي .

(١) Morel, P. : L. Anthropologie Physique. Paris, Presses Universitaires de France, 1962, p. 9.

(٢) عبد الفتاح محمد وهبة : « الجغرافيا والدراسة الميدانية » . في : المجلة الجغرافية المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٩٦٨ ، ص ٥٣

(٣) محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع . ط ٣ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠

* صدر في ٢٤ من نوفمبر سنة ١٨٥٩ بعنوان : «On the Origin of Species by means of Natural Selection or Preservation of Favoured Races in the Struggle for life»

** وقد صدر بعنوان : «Descent of Man, and Selection in Relation to sex

وفي الحقيقة أن الغالبية العظمى من صعوبات الانسان البيئية المعاصرة تنشأ من سوء تعايش الإنسان مع البيئة مما يفرض زيادة الاهتمام بالدراسات الاكولوجية خاصة الجانب البشرى منها وهنا تدخل الجغرافيا المجال (١)* .

ولقد تطورت الدراسات الجغرافية الحديثة بحيث أصبح هدفها الأول تطبيق الأساليب الجغرافية على مشكلات المجتمع المعاصرة بهدف الوصول إلى أفضل الحلول ، وتلك هي أهم أهداف الجغرافيا التطبيقية (٢) التي تمثل إحدى حلقات دراسة الجغرافيا الانثروبولوجية باعتبار أنها تدرس احتياجات كل من الأرض والانسان إلى التخطيط والتنمية .

ويتفق منهج الاكولوجيا البشرية الذي يعتمد في المرتبة الأولى على المنهج التكاملى بجانبية الوصفي الميداني والتحليلي المعملى الرياضى ، مع منهج الجغرافيا التطبيقية إلى حد كبير** ، وكان هذا من أكبر عوامل الربط بين الاكولوجيا البشرية والجغرافيا التطبيقية ، ذلك الربط الذى جعل كلا منهما يتبادل أحيانا المجال والهدف ، ومن هذا أصبح الجغرافى هو انسب باحث للعمل في مجال الاكولوجيا البشرية فهو يبدأ دائماً بالأرض وينتهى بالتخطيط .

(١) Bowen-Jones, H. : «A Geographer's Viewpoint» In : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. p. 60

* من الدراسات التى أجريت على نسق هذا المنهج :

Rizkana, I. and Abou El Ezz, M.S. : The Heigh Dam Lake in Aswan ; A new Environment in the Making.» In : Bulletin de la Societe de Geographie e'Egypte T. 37, 1964, pp. 101-110

(٢) محمد محمد سطيحة : «الجغرافيا التطبيقية ؛ تطورها ومناهجها وأهدافها» فى : المجلة الجغرافيا العربية . السنة الأولى العدد الأول ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨

** من الدراسات التى توضح هذا المنهج :

فؤاد محمد الصقار : التخطيط الاقليمى . إسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٩

جمال الدين الدناصورى : الجغرافيا التطبيقية ؛ طرق التطبيق وإنجازاته ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ .

صلاح الدين الشامى : الجغرافيا دعامة التخطيط . إسكندرية . منشأة المعارف ، ١٩٧١ .

وتتميز الجغرافيا التطبيقية عن الدراسات الجغرافية العامة بأن هدفها هو تقييم الظواهر المدروسة وتقديم النتائج في صورة كمية . لذا فإنها تتخذ المنهج العلمي أسلوباً لها في سبيل إيضاح وجهة نظر علمية تتنبأ بأوضاع المستقبل (١) .

في مجال الدراسات الحضارية والاجتماعية :

عند دراسة المظاهر الحضارية في إحدى المجتمعات وما يرتبط بها من دراسة حجم المجتمع ونمط حياته يكون البحث قد دخل في نطاق الدراسات الاكلوجية . ويتم النسق الاكلوجي في الدراسات الاجتماعية بدراسة العلاقة العميقة بين البيئة الطبيعية والمناشط الاجتماعية ، ولكي يتكامل دورة نجده يعتمد على عدة عناصر منها : البيئة والسكان والتنظيم الاجتماعي ثم التقدم الحضاري ممثلاً في التكنولوجيا الحديثة (٢) .

ويتركز محور هذا النسق حول إيضاح دور وتأثير البيئة على تغير ظروف وأنماط الحياة والاجتماعية لدى السكان ، ونظراً للدور الملموس الذي تقوم به التكنولوجيا الحديثة في تغيير معالم البيئة . فإن هذا النسق الاكلوجي لا يظهر أثره في المجتمعات البسيطة إلا لدى الجماعات المحدودة التقدم الحضاري والتي تخضع لظروف البيئة . تلك الجماعات المنعزلة بيئياً وثقافياً يعتبر النسق الاكلوجي أفضل الانساق لدراساتها اجتماعياً وحضارياً (٣) .

(١) محمد محمد سليحة : المنصر السابق ، ص ٤٦ .

(٢) Beals, Ralph L. & Hoyer, Harry : An Introduction to Anthropology. Fourth edition. New York, Macmillan Co., 1971, p.113.

(٣) أحمد الخشاب : دراسات اثروبولوجية : ط ٣ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٤) ظهرت بعض الدراسات التي تتبع هذا المنهج منها :

Evans-Pritchard, E.E. : «Non-Dinka Peoples of Amadi and Rumbek». S.N.R., Vol. 20, 1937., part. I, pp. 156-158.

— : «Economic life of the Nuer ; cattle». S.N.R., Vol. 20, 1937, part 2, pp. 209-246.

— : «Economic life of the Nuer ; cattle part 2, S.N.R. Vol. 21, 1938, part I, pp. 31-78

— : Nuer Religion. Oxford, clarendon press, 1956.

— : The Azande ; History and political institutions. Oxford, clarendon press, 1971.

Abou-Zeid, A.M. : « The Nomadic and semi-Nomadic Tribal populations of the Egyptian Western Desert and the Syrian desert.» Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University. Vol. 12, 1963, pp. 71-133.

ويعتبر الاحساس بالمكان والزمان من المظاهر الاساسية في دراسة الاكلوجيا العامة خاصة عند دراسة الجماعات القبلية البسيطة التي تعتمد في تحديد فكرة المكان والزمان على تجربتها الخاصة تلك التجربة التي تعتمد أساساً على تتابع وتكرار الأحداث الطبيعية والتطور البيولوجي للكائنات الحية خاصة الإنسان (١) .

من هذا يتضح صدق أهمية العناية بدراسة العوامل الطبيعية والعلاقات الاكلوجية في الابحاث الاجتماعية والانثروبولوجية التي تنتهج نهجا بنائيا وظيفيا في دراسة المجتمع أيا كانت درجة تخلف هذا المجتمع أو تقدمه (٢) .

وعلى هذا فان دراسة موضوعات الاكلوجيا البشرية التي تركز بالدرجة الأولى على التفاعل بين الانسان والبيئة تتطلب القيام بابحاث جماعية يشترك فيها العديد من المتخصصين فمن جغرافي بشري بالمفهوم الانثروبولوجي - Antropogeo-grapher إلى الاجتماعي إلى المؤرخ الحضاري إلى سائر المتخصصين في مجالات المعرفة الإنسانية العديدة .

وبهذا المفهوم تتخطى أبحاث الاكلوجيا البشرية الحدود التعريفية للعلوم المختلفة حيث يكون هدفها محاولة فهم أكبر قدر ممكن من جوانب التفاعل بين الإنسان والبيئة والعلاقات المكانية التي تربط عناصر البيئة المختلفة وربط الظاهرات والأحداث بعضها ببعض وتشكيل الانماط المختلفة لهذا التفاعل (٣) (٤) .

(١) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعي ؛ مدخل للدراسة المجتمع . ج ٢ الإنسان . ط ٢ . إسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ ، ص ص ٤٥ - ٤٨

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

(٣) فاروق محمد الجمال : « المنهج الرياضي والإحصائي في البحث الجغرافي » في : المجلة الجغرافية العربية ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٩٨ .

(٤) من البحوث والدراسات التي أجريت متبعة هذا المنهج :

سليمان أحمد حزين : « البيئة والموقع الجغرافي وأثرهما في تاريخ مصر العام » في : مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ، المجلد ٢٠ ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ، ص ص 437 - 464

Huzayyin, S.A. : «Some new light on the beginning of Egyptian Civilization». In: Bul'etin de la Société de Geographie d'Egypte. T. 20, 1939-1942, pp.203-273.

-«ABD Al-» Aziz Kamil : «Sudan profile ; a comparative Cultural Study»

In : Bulletin de la Société de Geographie d'Egypte. T. 40 1967, pp. 6-34.

والتخطيط للعلاقات الاجتماعية يتطلب دراسة عناصر الاكلوجيا البشرية المتاحة والمتوقعة بجوانبها المختلفة ، وقد جرت معظم الدراسات الاكلوجية المعاصرة في مجتمعات مرت خلال مرحلة تغير من بيئة استاتيه هامدة أشبه بالبكر طبيعياً وبالفطرة اجتماعياً وحضارياً ، إلى بيئة متطورة دينامية سريعة التطور والتغير ، وفي الغالب يحدث هذا عند إقامة مشروعات إنتاجية ضخمة تدخل على البيئة تغيراً كبيراً ، مثل إقامة سد على أحد الأنهار ، أو فتح منجم أو إنشاء مجمع صناعي ، أو توسع زراعي ، فكل هذه المشروعات يصحبها دائماً حدوث تغير كبير في عناصر ووظائف المجتمع وفي أهدافه الاجتماعية والحضارية ، وتدخل دراسة جميع هذه المراحل بصورة أو بأخرى في أحد مجالات الانثروبولوجيا التطبيقية (١) التي تتصل على أكثر من محور بالاكلوجيا البشرية .

في مجال الدراسات البيولوجية :

يصعب تحديد نطاق الاكلوجيا البشرية في مجال الدراسة البيولوجية ذلك أن مفهوم ومجال كل من الاكلوجيا والانثروبولوجيا مازال يبحث عن التحديد والتكوين (٢) ، فمن أهم حاجات الإنسان البيولوجية الحاجة إلى الطعام والصحة والتكاثر ، ومن هنا تدخل العلوم البيولوجية في دراسة الاكلوجيا البشرية : ذلك أن العضلات الكبرى التي تواجهها ما هي إلا عضلات بيولوجية في الدرجة الأولى (٣) . ويقسم البعض نطاق دراسة الاكلوجيا البشرية إلى :

- (أ) Autecology ونختص بدراسة الكائن الحي كفرد وعلاقته بالبيئة .
- (ب) Synecology وتهتم بدراسة مجموعات الكائنات الحية وعلاقتها ببيئتها المختلفة ، وتقسم المجموعة الثانية إلى انجالات التالية :

(١) Beals, R.L. & Hoijer H. : An Introduction to Anthropology. p. 616.

(٢) Sheddick, N.G. : «The Contribution of Anthropology to the Study of Human Ecology». In : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. p. 75.

(٣) Benton, A.H & Werner, W.E. : Field Biology and Ecology. New York, McGraw-Hill, 1966, p. 2.

(٤) يتكون الغلاف الحيوي من المكونات الرئيسية الثلاثة لعناصر الحياة وهي : الغلاف الصخري ، الغلاف الجوي ، الغلاف المائي . وأن التفاعل المتبادل بين الكائنات الحية في هذه المكونات الثلاث أمر لا مفر منه وتنتج عنه سلاسل الغذاء التي تمثل الدعامة الأولى في توازن واستمرار الحياة .

الأنظمة البيئية Ecosystems ، الجماعات Communities ، المجموعات
السكانية Populations (١) .

وعلى ذلك فإنها تتداخل مع دراسة الفسيولوجيا البيئية والسلوك البيئي ،
ومن هذا يبدو إهتمام الاكلوجيا بمجالات معينة مثل :

علم الأرصاد الجوية والجيولوجيا والجيوكيمياء (٢) والسكان (٣) وغيرها من
العلوم والدراسات الطبيعية والتطبيقية . ومن هنا تزايد إهتمام البيولوجيين
بالاكلوجيا حيث كان يعتقد بعض البيولوجيين في أوائل هذا القرن أن الاكلوجيا
هى التعبير الحديث لمجال دراسة التاريخ الطبيعى (٤) ، ذلك أن للبيئة أثر ملموس على
بيولوجية الإنسان (٥) .

ويقدر أثر البيئة فى مجال الدراسات البيولوجية بعدة وسائل قياسية يتصل
بعضها بقياس السمات الظاهرية للكائن الحى ويتصل بعضها الآخر بقياس الجانب
التركيبى له ، والاثنين معا يهدفان إلى تحديد موقف الكائن الحى من الصحة والمرض .

وبالنسبة للإنسان نجد أن تأثير البيئة يدخل إليه عن عدة سبل لعل أهمها المناخ
والغذاء ، أما المناخ فيؤثر بعناصره المختلفة على كثير من الصفات الظاهرية للإنسان (٦) .
فيقوم الضوء وأشعة الشمس فوق البنفسجية إذا كانت بكمية كبيرة بتنشيط التفاعلات
البيوكيميائية بين الأكسوجين وأحد الأحماض الأمينية المسمى Tyrosine فى

(١) Krebs, Charles J. : Ecology. p.12.

(٢) Ibid p.10

(٣) من الدراسات التى أجريت فى مجال السكان تطبيقاً لهذا المنهج :

Abdel Hakim, M. Sobhi : «The Population of Egypt A demoglographic study.» In :
Bulletin of the Faculty of Arts Cairo University, Vol. XXXIX, Parts 1 & 2 1967, pp. 17-44.

Sadek, Dawlat : «Industries Employment and Urban Redevelopment in Egypt». In :
Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University. Vol. 16, 1962, Alexandria University
Press 1963. The European Section pp. 49-59.

Adams, Charles C. : «The new natural history ; Ecology.» In : Am. Museum (٢)
J., Vo . 17, 1917, pp.491-492.

Wolstenholme, G. (ed.) : Man and his future. London, Churchi TLD, (٤)
1967, p. 135

Coon, C.S. ; Hunt E.E. : The Living Races of Man. London, Jonathan (٥)
cape 1966, p. 213 ff.

طبقة الجلد العميقة مما ينتج زيادة في المادة الملونة وهي التي بانتقالها إلى خلايا البشرة الظاهرية يظهر اللون الأسمر بدرجاته المختلفة (١) .

ويظهر أثر درجة حرارة الجو على الإنسان في إرتفاع القامة Stature وفي نوعية الأمراض السائدة في فصول السنة المختلفة ، وأيضاً في درجة الخصوبة والرغبة في الاتصال البيولوجي بين الجنسين ، اتضح هذا من عدة بحوث أجريت على احصاءات جمعت عن عينات من العالم القديم والامريكتين يظهر منها أن العامل الأكبر في تحديد الخصوبة هو درجة الحرارة (٢) ، ومن الذين نحثوا هذا الموضوع الاستاذ الياباني Takahashi (١٩٦٤) في بحثه الذي أجراه على عينات أوربية ويابانية حيث استنتج أن أعلى درجة خصوبة تكون عندما يصل المتوسط الشهري لدرجة حرارة الجو إلى ٢٠°م (٣) .

ويظهر أثر البيئة أيضاً في معدل المواليد ومدى ارتباطه بالمعدل العام في الإقليم أو الدولة ، وتتداخل هنا عدة عوامل بيولوجية واجتماعية واقتصادية وجغرافية والجدير بالذكر أنه إذا ما أجريت مقارنة إحصائية بيولوجية بين عشرينين ممثليتين بيولوجيا (٤) وتعيش كل منهما في بيئة متباينة حتى ولو كانتا متجاورتين — فانه يظهر فرق واضح في معدل المواليد بينهما وما هذا إلا نتيجة تباين البيئة (٥) .

أما الغذاء فانه عن طريق نوعيته وكميته ونظام تعاطيه وهي أمور يمكن للإنسان أن يتحكم فيها الآن إلى حد كبير ، أن يزيد من احتمال ظهور أثر العوامل الوراثية الإيجابية بحيث يتم التلائم أكثر مع الحياة في البيئة التي يرغب الإنسان المعيشة فيها .

(١) Montagu, Ashley: The concept of Race. London, Macmillan, 1964, p. 110

(٢) Cawgill, Ursula M. : «The Season of Birth in Man.» In : Man . Vo . I, No.2, June 1966, p. 238

(٣) Ibid, p. 233.

(٤) ويمكن التأكد من ذلك بإجراء دراسة انثروبولوجية دقيقة (أنثروبومترية ، انثروبوسكوبية ، بيوكيميائية ، باثولوجية) .

(٥) (٤) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية؛ دراسة في تفاعل الإنسان والبيئة. رسالة دكتوراه، غير منشورة ، القاهرة، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ص ٢٦٦ - ٢٧٣ .

ويظهر غنى البيئة ومدى استفادة الانسان منها بعدة مقاييس انثروبولوجية لعل أهمها : وزن الجسم وارتفاع القامة الكلى ثم محيط الصدر وارتفاع الجلوس، ويجرى التقييم باستخراج معامل بنية الجسم ومقارنته بمثيله في بيئة متباينة أو بمقارنته بمعامل مماثل لنفس الشخص بعد فترة معينة يكون فيها الشخص تحت الملاحظة أو الاختبار أو التوجيه الغذائى فى ذات البيئة أو بيئة مغايرة .

وهناك أيضاً مقارنة الأمراض المسببة للوفاة إذ المعروف أن لكل بيئة أمراضها الشائعة الخاصة المسئولة إلى حد بعيد عن معظم حالات الوفيات .

وتدخل فى هذا المجال أيضاً الآثار المترتبة على مشاكل البيئة فى الدول الصناعية المتقدمة من تلوث للمحيط البيئى بأجزائه المختلفة ذلك التلوث الذى يأخذ أكثر من صورة فمن تلوث فيزيائى حيث يتزايد احتمال إرتفاع متوسط حرارة الجو نتيجة تراكم ثان أكسيد الكربون فى الهواء، إلى تلوث كيميائى بيولوجى حيث يتزايد احتمال الاصابة بالأمراض وحدثت الوفيات بين الكائنات الحية نتيجة استعمال مركبات كيميائية سامة فى إحدى حلقات سلسلة الغذاء .

ورغم عدم معرفة منهج سلوك الصفات الجينية Geno type فى المستقبل إلا أنه من المعروف أن للبيئة أثر ملموس كالعوامل الوراثية فى تحديد صفات الكائن الحي^(١). وقد اتضح ذلك من ظهور السلالات البشرية خاصة المحلية Local Races منها^(٢).

(١) Young, J.Z. : An Introduction to the study of Man. Oxford, Carendon Press, 1971, p. 543.

(٢) Garn, Stanley M. : Human Races. 2rd. ed. Springfield, Charles & Thomas, 1969 p 140.

خاتمة (١٠)

يتركز محور اهتمام الاكلوجيا البشرية في مجال العلوم البيولوجية والدراسات الجغرافية ، وقد تجلى ذلك بوضوح من أن مبتكر المصطلح من البيولوجيين المهتمين بموضوع التطور الحيوى ، ويتجلى أيضاً من الاهتمام المتزايد من الجغرافيين خاصة المهتمين منهم بالدراسات الانثروبولوجية وبمشكلات البيئة وعلاقتها بالانسان والنتائج المترتبة على التفاعل المتبادل بين البيئة والانسان .

وعلى هذا فان إطارى الاكلوجيا البشرية هما : البيئة والانسان، وبذلك فانها تدخل بصورة أو بأخرى مجال معظم فروع المعرفة الانسانية ، وكان من نتيجة ذلك إتساع مجال بحوثها ودراساتها ، فبعضها يدخل نطاق العلوم البحتة والتطبيقية ، والبعض الآخر يدخل نطاق العلوم الإجتماعية والإنسانية .

وتتركز الاهتمامات الحديثة للاكلوجيا البشرية في دراسة أثر التكنولوجيا على مكونات البيئة، وانعكاس ذلك على حلقات سلسلة الغذاء وأثرها على الانسان وذلك بغرض التوصل لانبجح أساليب علاج المشكلات التى تطرأ على متصل البيئة — الانسان .

هذا ويبدو أن درجة نجاح الإنسان مادياً في الحياة تتركز في التعايش الأنسب وفي خلق التوازن الأمثل مع كائنات محيطه البيئى ، التى تمثل حلقات متتابعة في سلسلة غذائه وحياته . هذا التعايش والتوازن يضع الانسان على بداية طريق السعادة والرفاهية المادية .

وقد فرض الهدف على الاكلوجيا البشرية شمولية النظرة، ودقتها في معالجة مشكلاتها ، ولا يتحقق هذا إلا باتباع أسلوب البحث الجماعى المنظم الهادف .

(١٠) الشكر واجب للسيد الأستاذ الدكتور محمد صبحى عبد الحكيم أستاذ الجغرافيا البشرية وعيد كلمة الآداب بجامعة القاهرة على قراءته هذا المقال قبل النشر .

بيبلوجرافيه بأهم المراجع والمصادر

أولا : أهم المراجع :

1. Dewey Decimel Classification. 18th. ed. Washington, Library of Congress, 1971.
2. Majmal Lugha al'rabia : المعجم الجغرافى (٢) ، ١٩٦٥ :
القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٦ .
3. المعجم الوسيط . ج ١ . القاهرة ، المجمع ، ١٩٦٠ : _____
4. The Oxford English Dictionary : Oxford, Clarendon press, 1933.
5. Subject Headings, Used in the Dictionary Catalogs of the Library of Congress. 7th. ed. Washington, Library of Congress, 1966.
6. Webster's Third New International Dictionary. Springfield, Marriam Co., 1967.

ثانياً : أهم المصادر :

7. Abcu Zeid, A.M. : البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع . ج ٢ الانساق . : ط ٢ . أسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ .
8. Barbara. Word & Cubos, Bene : أنه عالم واحد :
(الترجمة العربية) . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٣ .
9. Beals Ralph L. & Heijer Harry An introduction to Anthropology. 4th. ed., New York, Macmilan Co., 1972.
10. Benton, A .H . & Werner, W.E. : Field Biology and Ecology. New York, 1966.
11. Coon, C.S. ; Hunt, E.E. : The Living Races of Man. London, Jonathan cape, 1966.
12. Gammal al, Faruq : « المنهج الرياضى والاحصائى فى البحث الجغرافى » :
فى : المجلة الجغرافية العربية . السنة الثانية . العدد الثانى . القاهرة ، ١٩٦٩

13. Ghallab, M.A. : البيئة والمجتمع . ط ٣ : القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ .
14. _____ : الأرض والتطور البشرى (الترجمة العربية) : ط ٢ . اسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣ .
- 15, Kassas, .A. : « الإنسان والبيئة » . فى المجتمع المصرى : للثقافة العلمية ، ١٩٧٢ .
16. Krebs, Carles J. : Ecology ; the experimental analysis of distribution and abundance. London, Harper & Raw Publishers. 1972.
17. Mines, Samuel : The last days of mankind ; ecological survival or extinction. New york, Simon and Schnster, 1971
18. Morel, P. : L'Anthropologie Physique. Paris, Presses Univesitaives de France, 1962.
- 19 . Odum, Eugene P. : Ecology. New Delhi, Amerined Publising Co., 1970
- 20 . Rogres, Paul (ed.) : The Education of Human Ecologists. London, Charles Knight & Co. 1972.
- 21 . Setiha, M.M : « الجغرافيا التطبيقية ؛ نظورها ومناهجها وأهدافها . فى اخلة الجغرافية العربية . السنة الأولى . العدد الأول ، القاهرة . ١٩٦٨
- 22 . Smith, R.L, : The ecology of man ; and ecosystem approach. New York, Horper& Raw, 1972.
- 23 . Weheba, A. M. « الجغرافى والدراسة الميدانية » : فى : اخلة الجغرافية العربية ، السنة الأولى ، العدد الأول . القاهرة ، ١٩٦٨
- 24 . Wolstenholme, G . (ed.) : Man and his future. London churchill LTD, 1967, p. 135.
- 25 . Young, J.Z. : An Introduction to the Study of Man. Oxford, Clarendon Press, 1971.

التكرار الجيني لأليلات مجموعة الدم ABO في بعض مناطق مصر

وعلاقتها بتوزيع السلالات البشرية في القارة الأفريقية

دكتور السيد غلاب ، دكتور نجيب نصار ، دكتور فاروق عبد الجواد شويقة

الكلمات الدالة : التكرار الجيني ، مجموعة الدم ABO ، مصر

«GENE FREQUENCY OF ABO BLOOD GROUP IN EGYPT AND ITS RELATION TO TRIBES DISTRIBUTION IN AFRICA»

ABSTRACT

Gene frequency of ABO blood group in different regions of Africa was discussed. An experiment for determining gene frequency of ABO alleles in Egypt was carried out and a comparison between gene frequencies was made. It was obvious that «i» frequency was in accordance with the distribution of Arabian and Nigroides immigrations.

Ghallab, M.S. ; Nassar, N. ; Shuwayqah, F.A.

لعب توزيع فصائل مجموعة الدم ABO دوراً كبيراً في تحديد مدى انتشار السلالات البشرية المختلفة في العالم ، ويرجع هذا لما تتميز به من عدم تأثيرها بالعوامل البيئية وندرة تعرضها للطفرات^(١) ، والأهم من هذا كله سلوكها الوراثي البسيط الذي يرجع إلى جين واحد ذي ثلاثة أليلات ، وعلى هذا يسهل تماماً على باحث الوراثة العشائية أن يخضعها لقوانين وراثة العشائر وأن يرى من خلال انتقالها عبر الأجيال مؤشراً جيداً إلى تحديد الأصل السلالي .

(١) Lundman, Bertil : The ABO-System and Racial Geography. In : Current Anthropology, Vol. 7, 1966, p. 183

والحقيقة أن الحاجة لتحديد سلالة بشرية عن أخرى من خلال مفهوم وراثي قد ازدادت بصورة شديدة في القرن العشرين حتى لقد عرفت السلالة البشرية بأنها تلك العشيرة التي تختلف عن العشائر الأخرى في تكرار بعض جيناتها ، Gene frequency أي أن السلالة البشرية عشيرة من الجينات Community of Genes ولا شك أنه ما من جين اسهل في حساب تكراره من جينات مجموعة الدم ABO .

ولقد أدى استعمال التكرار الجيني خاصة جين مجموعة الدم ABO في دراسة انسلالات البشرية خدمة كبيرة لعلماء السلالات التقدميين ، فلم يعد لون البشرة أو غيره من الصفات الانثروبولوجية الظاهرية هي الصفات الوحيدة التي يختلف فيها الناس ، ولقد وضح هذا منذ زمن بعيد وأن اقتصر الأمر على المشاهدة الظاهرية دون الحساب الرياضي ، ويظهر هذا واضحا في بعض الجماعات ذات الصفات المتميزة ومنها البوشمن في جنوب القارة الافريقية ، فهم بشعرهم المفلفل وبشرتهم المائلة للصفار أكبر دليل على صعوبة الاعتماد على لون البشرة أو أى صفة أخرى ظاهرة بمفردها في تمييز السلالات البشرية .

والأكثر من هذا أهمية ، وهو مانود ابرازده هو استعمال صفات أخرى وراثية يمكن اخضاعها للتحليل الرياضي ، فهي بجانب الصفات الظاهرية تعطى دلالة فائقة الأهمية على موقف السلالة البشرية وعلى أصلها السلالي .

ولقد أوضح هاريسون (١٩٦٤)^(١) في كتابته عن التكرار الجيني لمجموعة الدم ABO ، أن تكرار الجين (المسبب وجوده بحالة أصيلة لمجموعة الدم O) يسود في مصر بنسبة ٦٠ - ٧٠٪ في الصعيد ، وتتناقص هذه النسبة كلما اتجهنا شمالا (خريطة ١) حتى تصل إلى ٦٠ - ٤٠٪ في الدلتا وشبه جزيرة سيناء .

وفي دراستنا الحالية أخذنا عينات من سجلات فصائل الدم من المستشفيات الجامعية بالقاهرة والمنصورة وأسيوط تراوح عددها ما بين ١٠٦١ بالقاهرة ١٥٠٣ بالمنصورة ، ٦٦٥ بأسيوط (جدول ١) كما أوردنا بيانا بعينات أخرى من مصادر موثوق بها (جدول ٢) .

Harrison, G.A. : Human Biology. Oxford, 1964

(١)

جدول ١ — النسبة المئوية لفصائل الدم ABO في بعض مناطق مصر (الدراسة الحالية) :

O		AB		B		A		العينة		الملاحظة
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
٣١,٨٠	٤٧٨	١١,٣٨	١٧١	٢٢,٠٩	٣٣٢	٣٤,٧٣	٥٢٢	١٠٠	١٥٠٣	المضجرة
٣٠,٢٥	٣٢١	١١,٢٢	١١٩	٢٣,٣٧	٢٤٨	٣٥,١٦	٣٧٣	١٠٠	١٠٦١	القاهرة
٢٩,١٧	١٩٤	١٠,٥٣	٧٠	٢٦,٩٢	١٧٩	٣٣,٣٨	٢٢٢	١٠٠	٦٦٥	أسبوط

جدول ٢ — النسبة المئوية لفصائل الدم ABO في بعض مناطق مصر (من مصادر متعددة) :

O		AB		B		A		العينة		المنطقة.
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
٣٩,٦٠	١١٨	٣,٣٧	١٠	٢٣,٥٧	٧٠	٣٣,٣٣	٩٩	٩٩,٨٧	٢٩٧	(١) سيوة
٣٥,٤٩	٢١٩	٦,٨١	٤٢	٢٠,٧٥	١٢٨	٣٦,٩٥	٦٢٨	١٠٠	٦١٧	بلدو الصحراء الغربية (٢)
٤٢,٣٠	٢٢	٣,٨٤	٢	٢١,١٥	١١	٣٢,٦٨	١٧	٩٩,٩٧	٥٢	جعافرة كوم أمبو (٣)
٤٧,٨٢	٥٥	٣,٤٧	٤	١٧,٣٩	٢٠	٣١,٣٠	٣٦	٩٩,٩٨	١١٥	كنوز أسوان (٤)
٤٤,٧١	٩٣	٣,٨٥	٨	١٥,٨٣	٣٣	٣٠,٥٨	٧٤	١٠٠,٠١	٢٠٨	فديجة عنبة (٥)

(١) Publication of the Joint Arabic — Polish Anthropological Expedition, Vol. 2, 1964, p. 252.

(٢) Ibid, Vol. 2, p. 31

(٤) Awmy, A. Y.; Kamel, Karim and Hoerman, Kirk C. : ABO Blood Groups and Hemoglobin Variants among Nubians, Egypt, AUR. In : A. J. P. A, vol. 23, No. 7, March 1965, p, 82.

(٥) محمد فوزي جاب الله وعائدة عبد العظيم : مادة غير منشورة ، ١٩٧٣ .

ولايجاد التكرار الجينى لكل من أليلات مجموعة الدم ABO استعملت المعادلات الآتية (طنطاوى ١٩٦٦) :

$$I - \sqrt{\bar{O} + \bar{B}} = (p) \quad I^A \quad \text{التكرار الجينى للأليل}$$

$$I - \sqrt{\bar{O} + \bar{A}} = (q) \quad I^B \quad \text{التكرار الجينى للأليل}$$

$$\sqrt{\bar{O}} = (r) \quad i \quad \text{التكرار الجينى للأليل}$$

فاتضح التكرار الجينى الموضح فى الجدول رقم (٣) .

جدول ٣ - التكرار الجينى لافصائل دم المجموعة ABO فى بعض مناطق مصر
(الدراسة الحالية)

المنطقة	تكرار الجين I^A (p)	تكرار الجين I^B (q)	تكرار الجين i (r)
المنصورة	٢٦ر٥٨	١٨ر١٨	٥٦ر٣٩
القاهرة	٢٦ر٧٢	١٩ر٠٧	٥٥ر٠٥
أسيوط	٢٥ر١٠	٢٠ر٨٨	٥٤ر٠٤
سيوه	٢٩ر٧٣	٧ر٥٤	٦٢ر٩٣
بدو الصحراء الغربية	٢٥ر٠١	١٤ر٨٩	٥٩ر٥٧
جعافرة كوم أمبو	٢٠ر٣٥	١٣ر٤٠	٦٥ر٠٤
كنوز أسوان	١٩ر٢٥	١١ر٠٥	٦٩ر١٥
فديحة عنيبه	٢٢ر١٧	١٠ر٤٠	٦٦ر٨٧

وكما يظهر من هذا الجدول يتضح أن تكرار الجين i يقل فى مصر كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقى إذ تصل نسبته إلى ٦٩ر١٥ فى محافظة أسوان بينما تصل نسبته إلى ٥٦ر٣٩ فى المنصورة ، ٥٥ر٥ فى القاهرة ، ٥٤ر٠٤ فى أسيوط وهذا يتفق مع رأى هاريسون السابق الاشارة إليه ، وهو أمر متوقع فوادي النيل يعتبر ممر Corridor عبر من خلاله جينات العشائر الزنجية من الجنوب إلى الشمال ومن

الطبيعي أن يقل التكرار الجيني لهذا الجين كلما اتجهنا شمالا حيث تكثر الهجرات السامية وهي عشائر تتميز بانخفاض التكرار الجيني فيها للأليل (هاريسون ١٩٦٤) (خريطة ٢) .

وبمقارنة هذه النتيجة بتلك التي أظهرها تقرير عوفى وكامل (جدول ٤) وتلك التي أظهرها فوزى وعابدة (جدول ٥) نجد اتفاقا في التكرار الجيني للأليلات مع كل مما أظهره الباحثون السابقون .

جدول ٤ - التكرار الجيني لفصائل دم المجموعة ABO عند كنوز أسوان (١)

تكرار الجين I^A (p)	تكرار الجين I^B (q)	تكرار الجين i (r)
١٩ر٣١	١١ر٠٨	٦٩ر٥٩

جدول ٥ - التكرار الجيني لفصائل دم المجموعة ABO عند فديجة عنييه (٢)

تكرار الجين I^A (p)	تكرار الجين I^B (q)	تكرار الجين i (r)
٢٢ر٢٢	١٠ر٤٢	٦٧ر٣٦

وقد أكدت دراسات أخرى غير هاريسون من تميز الجماعات الزنجية بتكرار عاليه للجين i ، ونشير هنا إلى تلك الدراسة التي اجراها ليستر وآخرون (١٩٦٦) على سكان جزيرة سوقطرة وهي موضحة بالجدول رقم ٧ (٣) .

(١) Awny, A.Y., Kamel, Karim and Hoerman. Kirk C. : op. cit p ; 82

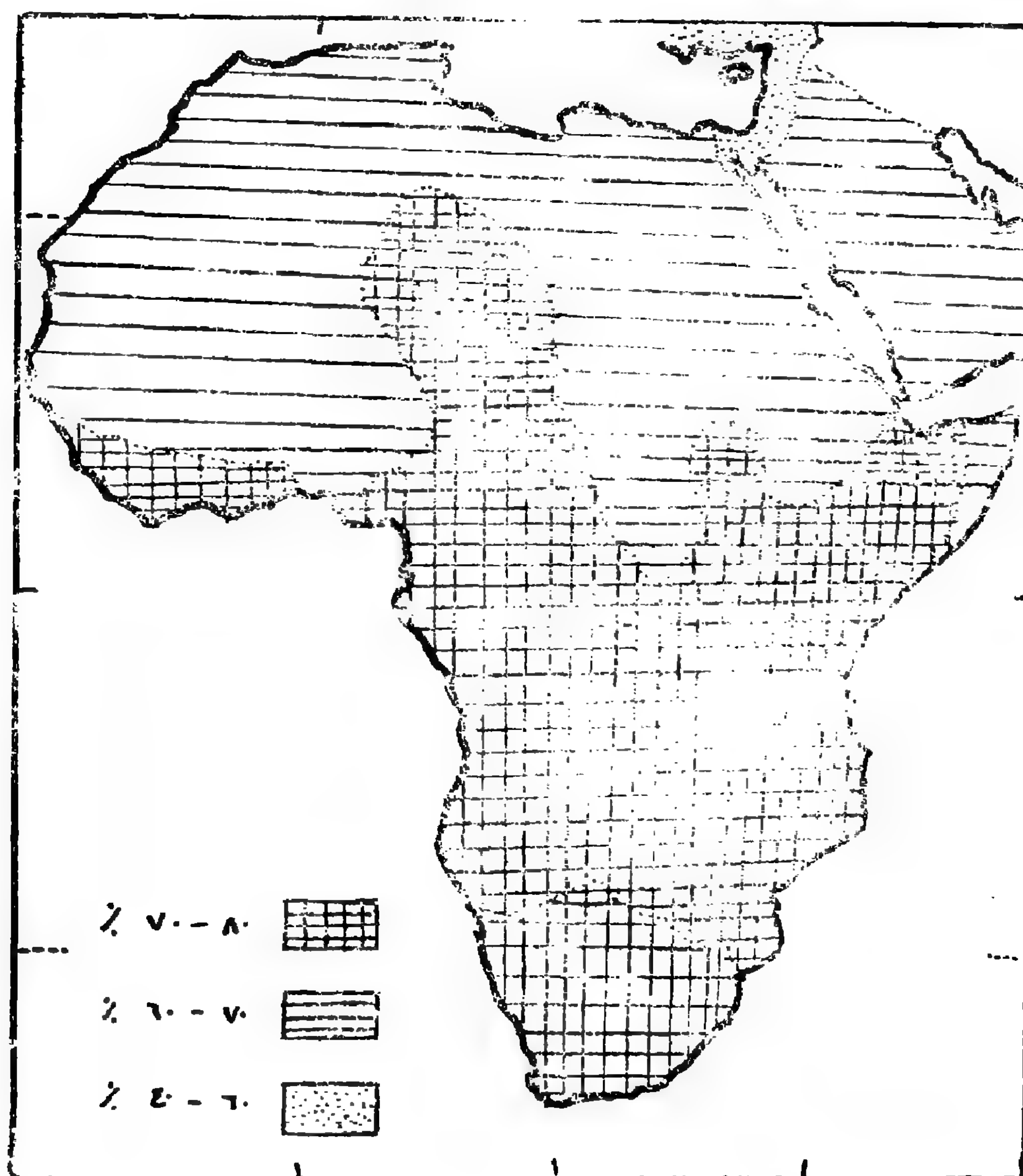
(٢) عن فوزى جاب الله ، عابدة عبد العظيم : بحث غير منشور ، ١٩٧٣ .

(٣) Lister, R.W., and others : «The Blood Groups and Hoemoglobin of the Bedouin of Socotra». In : Man, Vol. I, March 1966.

جدول ٧ - التكرار الجيني لفصائل دم المجموعة ABO عند سكان
سكان جزيرة سوقطرة

تكرار الجين I^A (p ₁)	تكرار الجين I^B (p ₂)	تكرار الجين I (q)	تكرار الجين i (r)
٨٤٢	٦٢٧	٤١٢	٨١٢٠

خريطة ١ - التكرار الجيني للجين ، في افريقيا



هاريسون ، ١٩٦٤

ببليوجرافية بالمصادر

1. Awny, A.Y. : Kamel, Karim and Horeman, Kirk C. : "ABO,, Blood Group and Hemoglobin Variants among Nubians, Egypt, AUR"
In : American Journal of Physical Antropology Vol. 23, No.1, March 1965.
 2. Harrison, G.A. : Human biology. Oxford, 1964.
 3. Lister, R.W., and others : "The Blood Groups and Hoemoglobin of the Bedouin of Socotra", In : Man, Vol. I, No. 1, March 1966.
 4. Lundman, Bertil: "The ABO-System and Rocial Geography", In : Current Anthropology, Vol. 7, 1966.
 5. Publication of the Joint Arabic-Polish Anthropological Expedition. 3 Vols. Cairo, 1961, 1964, 1965.
 6. Tantawy, ' : وراثة العشائر . اسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٦
-

الاتجاهات الحديثة للنظام السياسي في السودان

بين الواقع وتقنين الفكر السياسي المايوي

للدكتور أحمد عامر

مدرس العلوم السياسية بجامعة أسيوط

CONTEMPORARY POLITICAL SYSTEM

IN MODERN SUDAN

The purpose of this paper is not only to describe How the Modern Sudan is governed or the Way the Political System works but it is also an attempt to explain how the contemporary political system in Modern Sudan came to be what it is and the origins of its character in Sudan's History . It is a survey of the political development of the political system describing how and why it has come to work in the way that it does to-day.

The first part deals with the descriptive study of the political powers, legislative, executive and judiciary and the Peoples Political Organization. It also studies the various factors which deeply affected the political structure whether historical, economic social or religious.

The Second part is an analytical study explaining the political system in the Sudan and surveying the factors which create the principles of its balance.

As a matter of fact, the two parts the descriptive and the analytical treatment, are complementary and give a picture of the system in united frame.

(القسم الأول)

في الحادى عشر من شهر أبريل سنة ١٩٧٣ أجاز أول مجلس للشعب - في جلسته العاشرة بعد المائة - مشروع الدستور الدائم للسودان ثم وافق عليه رئيس الجمهورية في ٨ مايو من العام نفسه . ومنذ ذلك الحين أصبح الدستور الدائم نافذ المفعول^(١) ، وانتهى العمل بالامر الجمهورى الخامس ويتضمن الدستور الدائم ٢٢٥ مادة موزعة على ١٣ بابا^(٢) .

أولا : وصف النظام السياسى المعاصر في السودان

النظام السياسى هو الشكل الذى يتخذه الحكم في الدولة كالنظام البرلمانى أو النظام الرئاسى أو حكومة الجمعية وغيرها من الأنظمة السياسية المختلفة التى ترتديها الحكومات . ومن ثم فالنظام السياسى بهذا المفهوم لا يختلف كثيراً عن النظام الدستورى ، ذلك لأن لكل دولة عصرية دستوراً ولا بد للسلطة التى هى العنصر المتحرك من شكل تناسب به وتسير بمقتضاه . فالدستور يرتبط بالمجتمع السياسى ارتباطاً أصيلاً لأنه ينبثق عن كيان المجتمع البشرى ذاته ومن ثم فهو يتصل فكرياً وتاريخياً بالفلسفات والنظريات والقيم والمعتقدات السائدة على اختلاف اتجاهاتها إذ منها ومن الواقع يستمد الدستور جذوره ومبادئه بل جذور النظام السياسى بأكمله .

(١) المادة ٢١٧ من الدستور الدائم للسودان .

(٢) سبق إصدار الدستور الدائم للسودان عمالية مخاض طويلة نسبياً ، فقد قدمت مسودة مشروع الدستور إلى مجلس الشعب السودانى سنة ١٩٧٢ وناقشها المجلس في لجانته العشر المختلفة والتى انتهت إلى إقرار جزء كبير من مواد مسودة المشروع فقد كان هناك اتفاق كامل في القضايا الدستورية الجوهرية التى حسمها الفكر السياسى المايوى (نسبة إلى ثورة مايو) كالنظام الرئاسى ومبدأ الإرادة الشعبية وتوحيد الجهود السياسية في تنظيم سياسى واحد كما كان هناك اتفاق شبه تام أيضاً على نوع الهيئات والمؤسسات الدستورية والعلاقات بينها ، إلا أنه كان هناك أيضاً بعض القضايا التى احتاجت إلى إعادة النظر فأحيلت إلى المكتب السياسى للاتحاد الاشتراكى وكلفت لجنة مختارة « لجنة التنسيق » لتتظرف هذه القضايا وأبدا مقترحاتها فيها وعقدت اللجنة إحدى وثلاثين إجتماعاً لفترة من ٢٤ يناير حتى ٨ مارس سنة ١٩٧٣ وذلك للتوحيد وجهات النظر المختلفة في مشروع موحد . وتضمن مشروع الدستور المعدل ٢٣٩ مادة أى بزيادة قدرها ٥٥ مادة على موارد المسودة كما تضمن ٢٤ فصلاً أى بزيادة قدرها أربعة فصول على فصول المسودة ثم حيل مشروع الدستور المعدل بعد ذلك إلى مجلس الشعب الذى اجتمع في هيئة لمناقشته واستمرقت هذه المناقشة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

وقد وعى الدستور الدائم للسودان هذه الحقيقة فنص على أن هذا الدستور « استلهاما لتاريخ نضالنا واهتداء بقيم امتنا وبوحى من ضميرها ووجدانها »^(١). ذلك أن الدستور في الدولة العصرية هو القانون الأساسى الذى تدور فى فلكه حياتها السياسية ويتجاوب فيه كيانها الاجتماعى وترتكز عليه أوضاعها الإدارية ومنه تستمد مبادئها القانونية والسياسية .

وبعبارة أخرى فان دراسة الدستور لا تعتبر دراسة للنظام السياسى بالمعنى العلمى إلا إذا اقترنت بمعرفة الأفكار والآراء والقيم السياسية المختلفة والمشاكل الحياتية خاصة المشاكل السياسية التى تصطدم بها السلطة الحاكمة .

وانطلاقا من هذه الحقيقة فان دراسة النظام السياسى فى السودان يجب ألا تقتصر بداهة على تفسير قواعد الدستور واستنباط معانى نصوصه بل لابد من الاستناد إلى الوسط الاجتماعى الذى انبثقت منه دولة السودان العصرية إذ أنه بين الدولة وقيامها تفاعلا دائما وتداخلا لا ينقطع تأثيره المتبادل .

وأود أن استاذن فى اعفائى من تحليل مكونات المجتمع السودانى والذى يتضمن :

١ - الاقليم كوسط جغرافى ، وتأثير الاقليم على المجتمع باعتبار أن الإنسان هو العامل الجغرافى الأول والأهم كما أثبت التاريخ فى جميع أحقابه ثم علاقة الوضع الاقليمى بقوانين المجتمع .

وهنا يمكن أن نشير إلى أن السودان تقع فى الشمال الشرقى من أفريقيا وهى أوسع دول القارة مساحة (٢٥٠٦ر٨٠٠ كيلو متر مربع) يحدها من الشمال مصر ومن الشرق البحر الاحمر وأثيوبيا ومن الجنوب كينيا وأوغندا وزائير ومن الغرب جمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد وليبيا .

٢ - البشر فهم مادة المجتمع ويشكلون كالاقليم عنصراً أساسياً فى تركيب الجماعة السياسية ولابد من دراسة النواحي البيولوجية والديمجرافية - (العددية) والمرفولوجية (الشكلية) .

(١) ديباجة الدستور .

ونشير في هذا الصدد إلى أن عدد سكان السودان ٨٠٠ر٠٠٠ ١٥ر٨٠٠ نسمة (١٩٧٠) واللغة الرسمية هي العربية ويتحدث بها حوالى ٥١٪ من السكان كما توجد لغات ولهجات أخرى في الجنوب تبلغ حوالى ٣٢ لهجة مختلفة والدين الإسلامى هو ديانة أغلبية السكان (٧٠٪) ومعظمهم يتركزون في الاقاليم الست الشمالية ومعظم الجنوب قبائل ورعاة وثنون وتوجد نسبة من السكان تدين بالمسيحية .

كما أود أن أستاذن أيضاً في إعفائى من دراسة القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع السودانى سواء من حيث شكلها ومصادرها ومضمونها ودرجة التزامها .

ومهما يكن من أمر فان طريقة ممارسة الحكم في السودان تدور حول خمس هيئات أو مؤسسات دستورية وهى :

١ - السلطة التنفيذية (رئيس الجمهورية)

٢ - السلطة التشريعية (مجلس الشعب)

٣ - السلطة القضائية .

٤ - التنظيم السياسى : (الاتحاد الاشتراكى السودانى)

٥ - الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب .

ويقتضى وصف النظام السياسى في السودان أن نشير إلى كل مؤسسة بشىء من التفصيل .

١ - السلطة التنفيذية

رئيس الجمهورية هو رأس الدولة ويتولى السلطة التنفيذية ويشارك في السلطة التشريعية (١) وهو رمز الوحدة الوطنية والسيادة وممثل الإرادة الشعبية (٢) ويساعد مجلس الوزراء رئيس الجمهورية في اداء المهام التنفيذية (٣) ورغم أنه يجوز لرئيس الجمهورية أن يعين رئيساً للوزراء لمعاونته (٤) إلا أنه يظل مسئولاً بمفرده عن السلطة التنفيذية (٥) .

(١) المادة ٨٠ من الدستور .

(٢) المادة ٨٢ من الدستور .

(٣) المادة ١١٠ من الدستور .

(٤) المادة ٩٠ من الدستور .

(٥) الملاحظ أنه إزاء احتمال أن يكون هناك رئيسان أحدهما يتولى رئاسة الدولة والآخر يعينه رئيس -

طريقة اختيار رئيس الجمهورية :

يمارس رئيس الجمهورية مهام منصبه بناء على تفويض مباشر من الشعب فيرشحه الاتحاد الاشتراكي السوداني ويستفتي عليه الشعب^(١) ويشترط في رئيس الجمهورية أن يكون سودانياً ومن أبوين سودانيين وألا تقل سنه وقت الترشيح عن ٣٥ عاماً وأن يكون متمتعاً بحقوقه السياسية والمدنية^(٢) . وفترة الرئاسة مدتها ست سنوات ميلادية تبدأ من تاريخ أداء القسم « ويجوز انتخاب الرئيس لأي عدد من الفترات تالية ومتصلة^(٣) . ولقد تخوف بعض أعضاء مجلس الشعب السوداني عند مناقشة هذا النص من أن عدم تحديد عدد مرات تجديد فترة الرئاسة يغري رئيس الجمهورية بالاستبداد . إلا أن البعض قد رد على ذلك بأنه يجب أن ننظر إلى المؤسسات الدستورية ونوعها وإلى طبيعة المجتمع واحتياجاته فالمجتمع السوداني المعاصر مازال في طريق الوحدة الوطنية التي لم تكتمل له مقوماتها بعد ولا تزال خصائصه الثقافية والحضارية مشتتة كما أن مزاجه انشطارياً فيه الكثير من الفارقة والفتنة . ومن ثم فإن المجتمع السوداني يحتاج إلى قوة بجمع مغناطيسية تستقطب وتوجه قواه المختلفة في قوة واحدة هي قوة الإرادة الشعبية وهي ليست قوة رئيس أو شخص معين أو قوة وظيفة معينة فالشعب السوداني لا يخشى الاستبداد والقهر ولم يشكوه إلا أنه يعاني التخلف ويحتاج إلى قيادة تستطيع أن تمحو هذا التخلف .

والضمان لعدم استبداد رئيس الجمهورية هو أن الاتحاد الاشتراكي السوداني يرشح رئيس الجمهورية والاتحاد الاشتراكي منظم على أساس تسلسل هرمي من الوحدات المنتخبة ومن ثم فإن رئيس الجمهورية لا يمكنه أن يحكم إلا برضاء الشعب^(٤) .

= الدولة لتولى رئاسة الوزراء فاننا نحدد دستور السودان يستخدم كلمة رئيس الجمهورية بدلا من كلمة الرئيس (رئيس الدولة والحكومة معاً) كما يجري عليه العمل في معظم النظم الرئاسية .

(١) المادة ٨٠ من الدستور .

(٢) المادة ٨٣ من الدستور .

(٣) المادة ٨٤ من الدستور .

(٤) أنظر محاضر جلسات مجلس الشعب السوداني لمناقشة مشروع دستور السودان الدائم في الفترة

من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

ولكن ماذا يحدث إذا خلا منصب رئيس الجمهورية ؟ لعلاج هذه القضية ليست هناك مشكلة إذا كان هذا الخلو نتيجة انتهاء فترة الرئاسة فيستمر الرئيس السابق في تصريف اعباء الرئاسة إلى أن يتقلد الرئيس الجديد مهام منصبه (١) .

أما إذا كان خلو منصب رئيس الجمهورية بسبب استقالته (٢) أو عجزه عجزاً دائماً عن ممارسة سلطاته أو فقد أهليته أو أدين بتهمة الخيانة العظمى (٣) . في هذه الحالات يتولى رئاسة الجمهورية مؤقتاً النائب الأول لرئيس الجمهورية ويليه بالترتيب نائب الرئيس ثم رئيس مجلس الشعب فرئيس المحكمة العليا إلى أن يتم اختيار الرئيس الجديد خلال مدة لا تجاوز ستين يوماً من تاريخ خلو منصبه (٤) .

اختصاصات الجمهورية :

يتضح من تحليل الدستور السوداني واتجاهات مناقشاته في مجلس الشعب واللجان المختلفة أن رئيس الجمهورية يتمتع بالسيطرة والتفوق بمعنى أن له السلطة العليا والأخيرة وتكاد تكون هذه السلطة مطلقة فهو المسئول الوحيد عن العمل التنفيذي وإدارته كما أنه يمثل الإرادة الشعبية وممثل الأمة وتتجلى هذه النظرة في أن الرئيس الجمهورية في السودان يختص بالآتي :

١ - مسئولية صيانة الدستور واستقلال الوطن وسلامة أراضيه وحماية كيان الدولة وكفالة حسن سير السلطات العامة (٥) . كما أنه مسئول أيضاً عن حماية انتصارات ثورة مايو ومكاسب الشعب ودعم تضامن قوى الشعب العاملة وتحقيق العدل والرفاهية للشعب (٦) .

(١) المادة ١٠٩ من الدستور .

(٢) يشترط أن تعتمد المحكمة العليا بناء على إبلاغ مجلس الشعب و مجلس الوزراء إذا كان مجلس الشعب غير قائم أن رئيس الجمهورية قد تقدم باستقالته مكتوبة لرئيس مجلس الشعب وتليت أمام المجلس (المادة ١٠٤ من الدستور) .

(٣) يتم إتهام الرئيس بالخيانة العظمى بناء على طلب أعضاء مجلس الشعب وتوافق مثل هذه النسبة من أعضاء المجلس في جلسة سرية أمام محكمة خاصة (المادة ١٠٧ من الدستور) .

(٤) المادة ١٠٦ من الدستور .

(٥) المادة ٨١ من الدستور .

(٦) المادة ٨٢ من الدستور .

٢ - تعيين رئيس الوزراء والوزراء واعفائهم من مناصبهم وقبول استقالاتهم^(١) كما يرأس اجتماعات مجلس الوزراء وتلقى تقارير الوزراء ويعين ذوى المناصب العليا فى الخدمة المدنية^(٢).

٣ - يتولى القيادة العليا للقوات المسلحة^(٣) ، وله أن يرسلها فى أية مهمة خارج البلاد إذا اقتضت مصلحة البلاد أو التزاماتها ذلك^(٤). كما أنه يعين الضباط^(٥).

٤ - يعين ويعزل رئيس وقضاة المحكمة العليا وقضاة الاستئناف والمحاكم الأخرى . وجميع القضاة مسئولون أمامه عن حسن أدائهم^(٦).

٥ - لرئيس الجمهورية سلطات سيادية كحق منح العفو عن العقوبة وتخفيفها أما العفو الشامل فلا يكون إلا بقانون^(٧).

٦ - يختص رئيس الجمهورية فى مجال العلاقات الخارجية بتعيين رؤساء البعثات الدبلوماسية وعزلهم^(٨) واعتماد سفراء الدول الأجنبية وممثليها الدبلوماسيين لدى حكومة السودان^(٩). كما يعلن الحرب بعد موافقة مجلس الشعب^(١٠). ويبرم المعاهدات ويصدق عليها ماعدا معاهدات الصلح والتحالف والمعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى أراضي الدولة أو تتعلق بحقوق السيادة أو تؤثر فى نظام الحكم أو تفرض على الدولة التزامات جديدة أو تحمل خزانة الدولة نفقات غير واردة بالموازنة العامة للدولة أو تنطوى على تعديل لنصوص تشريعية أو تغيير للحقوق المدنية للأشخاص هذه المعاهدات لا تكون نافذة إلا بعد تصديق مجلس الشعب عليها^(١١).

(١) المادتان ٨٩ و ٩٠ من الدستور .

(٢) المادتان ٩١ و ٩١ من الدستور .

(٣) المادة ٩١ من الدستور .

(٤) المادة ٩٧ من الدستور .

(٥) المادة ٩٢ من الدستور .

(٦) المادتان ١٩٥ و ١٩٥ من الدستور .

(٧) المادة ٩٦ من الدستور .

(٨) المادة ٩٢ من الدستور .

(٩) المادة ٩٢ من الدستور .

(١٠) المادة ٩٧ من الدستور .

(١١) المادة ٩٨ من الدستور .

٢ - السلطة التشريعية

يتولى مجلس الشعب - وهو مجلس نيابي مكون من مجلس واحد - السلطة التشريعية مع رئيس الجمهورية (١).

تشكيل مجلس الشعب وطريقة عمله :

يشكل مجلس الشعب بحيث يمثل المناطق الجغرافية والوحدات الإدارية وتحالف قوى الشعب العاملة (٢) ولرئيس الجمهورية تعيين عدد من الأعضاء في المجلس لا يتجاوز العشرة لتمثيل الكفاءات المختلفة في المجلس بشرط ألا يكونوا من الوزراء (٣) وان كان يجوز الجمع بين منصب الوزارة وعضوية المجلس .

ويشترط في عضو مجلس الشعب : أن يكون سودانياً وألا يقل عمره عن ٢١ سنة وأن يكون سليم العقل متمتعاً بحقوقه السياسية ملماً بالقراءة والكتابة وألا يكون أدين في جريمة تهم الشرف والأخلاق وأمن الدولة (٤). ولا يجوز لعضو مجلس الشعب أن يشغل أى منصب بمرتبة في الدولة أو القطاع العام أو أجهزة الحكم الشعبي والمحلى (٥).

ويكون اجتماع المجلس قانونياً بحضور نصف الأعضاء ويصدر قراراته بالاغلبية المطلقة ماعدا الأحوال التي ينص فيها الدستور على خلاف ذلك وإذا تساوت الأصوات في أى موضوع يعتبر مرفوضاً (٦). ويجتمع المجلس بناء على دعوة رئيس الجمهورية وينفض بقرار منه أيضاً ويجوز لرئيس الجمهورية دعوة المجلس إلى دورة استثنائية وأى اجتماع للمجلس في غير الزمان والمكان الذي يحدده رئيس الجمهورية يعتبر لاغياً كما أن قراراته تكون باطلة .

(١) المادة ٩٥ من الدستور .

(٢) المادة ١٢٦ من الدستور .

(٣) المادة ١٢٧ من الدستور .

(٤) المادة ١٢٩ من الدستور .

(٥) المادة ١٥١ من الدستور .

(٦) المادة ١٤٢ من الدستور .

ومدة المجلس أربع سنوات تبدأ من تاريخ أول جلسة له وتجرى انتخابات المجلس الجديد خلال ستين يوما بعد نهاية مدة المجلس السابق . والمقر الرسمي لمجلس الشعب مدينة أم درمان .

اختصاصات مجلس الشعب :

تتعلق اختصاصات مجلس الشعب بالتشريع والعلاقات الخارجية والعمل التنفيذي والشئون المالية والإدارية وأهمها :

- ١ - رقابة ومحاسبة السلطة التنفيذية (١) .
- ٢ - اقرار الخطة العامة للتنمية (٢) . واقرار مشروع الموازنة العامة ومناقشة الحساب الختامي للدولة (٣) وللمجلس الشعب حق رفض أى تقديرات شملها مشروع اعتماد الموازنة كما له أن يعترض على المشروع (٤) ولا يجوز للسلطة التنفيذية بعد إقرار الموازنة من مجلس الشعب نقل أى مبلغ من باب إلى آخر أو الصرف على بند غير وارد فيها أو تجاوز تقديرات الصرف المعتمدة إلا بعد موافقة مجلس الشعب (٥) .
- ٣ - تعديل الدستور بناء على اقتراح ثلثي أعضاء مجلس الشعب ويصبح الاقتراح نافذا بموافقة ثلثي أعضاء المجلس وموافقة رئيس الجمهورية وإذا لم يتفق رئيس الجمهورية ومجلس الشعب على التعديل يطرح الامر على الاستفتاء الشعبى .
- ٤ - حق سحب الثقة من الوزراء واستجوابهم .

العلاقة بين السلطين التنفيذية والتشريعية

يمارس رئيس الجمهورية بعض اختصاصاته بالتعاون مع مجلس الشعب وأول هذه الاختصاصات هى المشاركة فى السلطة التشريعية (٦) وتتجلى مظاهر هذه المشاركة أن رئيس الجمهورية له الحق فى الآتى :

-
- (١ و ٢) المادة ١١٥ من الدستور .
 - (٣) المادتان ١٦٩ و ١٨١ من الدستور .
 - (٤) المادة ١٧١ من الدستور .
 - (٥) المادة ١٧٧ من الدستور .
 - (٦) المادة ٨٠ من الدستور .

١ - حق اقتراح القوانين^(١) ، بل أن هذا الحق مكفول أيضاً لرئيس الوزراء ومجلس الوزراء والوزراء وفي حالة غياب مجلس الشعب أو نشوء ظرف هام وعاجل يحق لرئيس الجمهورية أن يصدر أوامر جمهورية مؤقتة لها قوة القانون على أن تعرض هذه الأوامر على مجلس الشعب خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ صدورها أو في أول جلسة للمجلس في حالة الحل أو وقف جلساته أو انتهاء دورته فإذا لم تعرض أو عرضت ولم يقرها المجلس زال ما كان لها من قوة القانون ولكن بدون أثر رجعي^(٢)

٢ - حق الاعتراض (الفيتو) على مشروعات القوانين التي أجازها المجلس ويردها إلى المجلس مشفوعة بأسباب الاعتراض خلال ثلاثين يوماً من رفعها إليه فإذا لم يردها في هذا الموعد اعتبر قانوناً وصادر أما إذا ردها في الموعد المحدد إلى المجلس وأجازها ثانية بأغلبية أعضائه اعتبر قانوناً وصادر^(٣) .

٣ - حق اقتراح تعديل الدستور بشرط أن يوافق مجلس الشعب على ذلك بأغلبية ثلثي أعضائه^(٤) ومن حق ثلثي أعضاء مجلس الشعب اقتراح تعديل الدستور وإذا نشب خلاف بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية حول التعديل عرض الأمر على الاستفتاء الشعبي .

أما مظاهر التعاون بين السلطتين التنفيذية والتشريعية فتتلخص في أن رئيس الجمهورية يقوم ببعض الأعمال التي تعد تدخلاً في شئون السلطة التشريعية (مجلس الشعب) في حين أن الأخير يمارس بعض الاختصاصات التي تعد من صميم العمل التنفيذي وسوف تعرض بعض صور التعاون على النحو الآتي :

(١) يتدخل رئيس الجمهورية في عمل مجلس الشعب حيث يتمتع الرئيس بالاختصاصات التالية :

١ - تعيين عدد من الأعضاء في مجلس الشعب لا يتجاوز العشرة أعضاء يمثلون الكفاءات المختلفة^(٥) .

(١) المادة ١٦٢ من الدستور .

(٢) المادة ٩٨ من الدستور .

(٣) المادة ٩٩ من الدستور .

(٤) المادة ٢٢٥ من الدستور .

(٥) المادة ١٢٧ من الدستور .

٢ - يلتقى بيانا يتضمن السياسة العامة للدولة وذلك عند افتتاح دور الانعقاد العادى لمجلس الشعب^(١).

٣ - يصدر اللائحة التى تنظم أعمال مجلس الشعب^(٢).

٤ - يدعو مجلس الشعب إلى الانعقاد ويأمر بفض دورته^(٣) وله أن يدعو إلى دورة غير عادية بالتشاور مع رئيس مجلس الشعب^(٤).

٥ - يخاطب مجلس الشعب بشخصه أو بالرسائل وله أن يطلب رأى المجلس فى موضوع معين ويعطى هذا الطلب الأولوية على أعمال المجلس الأخرى^(٥).

٦ - يستفتى الشعب فى المسائل الهامة التى تتصل بمصالح البلاد العليا بالتشاور مع مجلس الشعب ونتيجة الاستفتاء ملزمة و نافذة من تاريخ إعلانها^(٦).

٧ - يعلن حالة الطوارئ إذا حدث خطر داهم يهدد استقلال البلاد أو وحدة وسلامة أراضيها أو كيانها الاقتصادى أو النظام الجمهورى ومؤسساتها الدستورية أو تنفيذ التزاماتها الدولية أو مكاسب الشعب^(٧).

(ب) يتدخل مجلس الشعب فى عمل رئيس الجمهورية حيث يتمتع المجلس بالاختصاصات التالية :

١ - يؤدى رئيس الجمهورية اليمين أمام مجلس الشعب قبل مباشرة مهام منصبه^(٨).

(١) المادة ١٥٦ من الدستور .

(٢) المادة ١٣٦ من الدستور .

(٣) المادتان ١٣٢ و ١٣٣ من الدستور .

(٤) المادة ١٣٤ من الدستور .

(٥) المادة ١٠٢ من الدستور .

(٦) المادة ١٠٨ من الدستور .

(٧) يشترط أن يعرض إعلان حالة الطوارئ على مجلس الشعب خلال خمسة عشر يوما وإذا لم يكن المجلس منعقدا يدعوا لرئيس المجلس للنظر فيها أو إتخاذ قرار بشأنها فى مدة لا تتجاوز ثلاثين يوما وإذا كان المجلس منحلا يعرض الأمر على المجلس الجديد فى أول جلسته له وتنفذ حالة الطوارئ لمدة لا تتجاوز ثلاثين يوما وبخلاف الأحوال التى لا يكون فيها المجلس منحلا لا يجوز للرئيس تجديدها وزيادتها لا بعد موافقة مجلس الشعب (المادة ١٠٣ من الدستور .)

(٨) المادة ٨٥ من الدستور .

٢ - يكلف مجلس الشعب - بموافقة رئيس الجمهورية - أية لجنة من أعضائه بالتحقيق في أية مسألة تدخل في اختصاص ومسئولية السلطة التنفيذية وترفع هذه اللجنة تقريرها إلى المجلس^(١).

٣ - يفوض مجلس الشعب رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو أى من الوزراء اصدار أية أوامر لوائح أو أحكام تكون لها قوة القانون .

العلاقة بين الوزارة ومجلس الشعب :

توضح هذه العلاقة في الصور الآتية :

١ - يجوز الجمع بين المنصب الوزاري وعضوية مجلس الشعب^(٢) ، كما يجوز للوزراء حضور جلسات مجلس الشعب والاشتراك في مناقشاته دون أن يكون لهم حق التصويت إلا إذا كانوا أعضاء في المجلس^(٣).

٢ - رئيس الوزراء والوزراء مسئولون أمام مجلس الشعب منفردين عن تصرفاتهم^(٤) إلى جانب مسئوليتهم أمام رئيس الجمهورية عن اداء مهامهم^(٥) ، وهم ملزمون بالمثول أمام مجلس الشعب أو لجانه للرد على أسئلة أعضاء المجلس واستفساراتهم واستجواباتهم وعلى الوزراء تقديم أى بيانات يطلبها المجلس أو لجانه^(٦) ، ويحق لعضو مجلس الشعب توجيه أسئلة إلى رئيس الوزراء أو الوزراء كل في اختصاصه^(٧) ويحق له أيضاً أن يستجوب أياً منهم عن مسألة ذات صيغة عامة^(٨).

وللمجلس الشعب أو احدى لجانه أن يطلب من رئيس الوزراء أو أى من الوزراء الادلاء ببيان عن موضوع يدخل في نطاق اختصاصه^(٩).

(١) المادة ١٦٠ من الدستور .

(٢) المادة ١١٧ من الدستور .

(٣) المادة ١٢٨ من الدستور .

(٤) المادتان ١١٣ و ١١٦ من الدستور .

(٥) المادة ١١٤ من الدستور .

(٦) المادة ١١٥ من الدستور .

(٧) المادة ١٤٨ من الدستور .

(٨) المادة ١٤٩ من الدستور .

(٩) المادة ١٥٠ من الدستور .

٣- رغم أن الأصل في انشاء الضرائب الجديدة أو تعديل الضرائب القائمة أو الغائها يكون بموافقة مجلس الشعب (١) . إلا أنه لمجلس الوزراء أن يصدر أمراً بـسريان ضريبة مقترحة أو أى تعديل أو إلغاء مقترح لضريبة قائمة من تاريخ عرض مشروع القانون الخاص بذلك على مجلس الشعب ولكن بشرط أن ينتهى العمل بذلك الأمر عند صدور القانون المالى أو عند رفض مجلس الشعب للمشروع (٢) .

٤- يحق لمجلس الشعب أن يتقدم بأغلبية ثلثى أعضائه بطلب إلى رئيس الجمهورية باعفاء رئيس الوزراء أو أى من الوزراء من منصبه إذا رأى مجلس الشعب أن تصرفاته فى مسألة معينة تستوجب اللوم أو أنه فقد ثقة المجلس بصفة عامة (٣) وإذا ما أصدر المجلس قراراً بعدم الثقة وجب على رئيس الوزراء أو الوزير المعنى وضع إستقالته رهن تصرف رئيس الجمهورية (٤) . ويجب أن نشر فى هذا الصدد إلى أنه قدم اقتراح عند مناقشة مشروع الدستور بأن ينص على أنه يجب على رئيس الجمهورية الإستجابة لطلب ثلثى أعضاء مجلس الشعب سحب الثقة من الوزير إلا أنه عدل عن الأخذ بهذا الاتجاه للأسباب الآتية : (٥) .

— أن النظام السياسى الذى جاء به الدستور الدائم ليس برلمانياً أو رئاسياً وإنما هو مزيج وخليط .

— أن هذا الاقتراح يجعل النظام السياسى نظاماً برلمانياً بحثاً لانه ينزم رئيس لجمهورية بقبول الاستقالة وتنحية الوزير وهذا خطأ لانه يمنع الوزير من القيام بواجبه على الوجه الاكمل وتصبح كثير من الاصلاحات متعذرة فضلاً عن أنه يؤدى إلى تبارى الوزراء فى كسب رضاء وثقة أعضاء مجلس الشعب .

— أن الوزير ملزم إذا فقد ثقة المجلس أن يضع استقالته تحت تصرف رئيس الجمهورية .

(١) المادة ١٧٨ من الدستور .

(٢) المادة ١٧٩ من الدستور .

(٣) المادة ١٥٢ من الدستور .

(٤) المادة ١٥٣ من الدستور .

(٥) محاضر جلسات مجلس الشعب لمناقشة مشروع الدستور فى الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل

سنة ١٩٧٣ .

— أن رئيس الجمهورية مكلف بمهمتين أولهما : إدارة الجهاز التنفيذي ثانيهما الاستجابة للطلبات الشعبية بوصفه ممثلاً للارادة الشعبية .

التوازن بين السلطين التشريعية والتنفيذية :

تتجلى أهم مظاهر التوازن بين السلطين التشريعية والتنفيذية فى النظام السياسى السودانى بانه لرئيس الجمهورية حل مجلس الشعب إذا رأى أن المصلحة العامة تقتضى ذلك وأن الظروف تحتم الاحتكام من جديد إلى الناخبين^(١) . ومن الملاحظ أنه فى النظام الرئاسى لا يستطيع الرئيس حل المجلس مطلقا وفى مقابل ذلك لا يستطيع المجلس أن يسقط الوزارة ولا أن يسائل السلطة التنفيذية أو يستجوب الوزراء أو يسحب الثقة منهم أو يطالبهم بالاستقالة . وفى النظام البرلمانى يستطيع رئيس الوزراء أن ينصح رئيس الدولة بحل المجلس النيابى كما أن الأخير يستطيع أن يسقط الوزارة .

أما فى دستور السودان الدائم فاننا إزاء نظام رئاسى يقتبس بعض ملامح النظام البرلمانى فيحق لمجلس الشعب كما سبق أن اشرنا استجواب الوزراء والزامهم بالمشول أمامه للرد على استفساراته ولتقديم البيانات وللإستجواب وأن يسحب الثقة ويوصى رئيس الجمهورية بقبول استقالة أى من الوزراء وفى مقابل ذلك منح الدستور رئيس الجمهورية حق حل المجلس النيابى (مجلس الشعب) إلا أن هذا الحق مقيد بأربعة ضوابط أولها : أن تكون هناك ظروف تستدعى اللجوء إلى الناخبين ثانيها : أن يتضمن قرار الحل دعوة لانتخاب مجلس جديد . ثالثها : أن يجتمع المجلس الجديد خلال خمسة عشر يوما من تاريخ انتخابه . رابعها : عدم جواز حل المجلس الجديد خلال سنة من تاريخ انتخابه^(٢) .

وعلى كل فان المفهوم السياسى الذى يكمن وراء فكرة فصل السلطات يعتمد أساساً على الشك فى السلطة سواء كانت تشريعية أو تنفيذية أو قضائية . ولعلاج ذلك ابتداع نظام التوازن والتعاون بين السلطات والذى بمقتضاه لا يستطيع صاحب أى سلطة أن يذهب إلى نهاية الشوط إلا أن هذا الفصل بين السلطات نظرى بحت

(١) المادة ١٠٠ من الدستور .

(٢) المادة السابقة .

أثبتت التجارب أنه غير ممكن عمليا . وفي دستور السودان الدائم فإن الوزير الذي يفقد ثقة مجلس الشعب ملزم بأن يضع استقالته تحت تصرف رئيس الجمهورية كما أن حق الرئيس في حل مجلس الشعب هو حق احتياطي للظروف الاستثنائية وهو حق بغيض ذلك لأن اللجوء إليه باستمرار يعني أن النظام لا يعتمد على ثقة شعبية وفي الوقت نفسه فهو رخصة ضرورية في الأزمات الطارئة ليؤكد لكل السلطات أن عملها مكمل لبعضها البعض وأن التعاون والوثام يجب أن يسود بينها علاوة على ذلك فإن حق الرئيس حل مجلس الشعب يعطي الجماهير الشعبية الفرصة المباشرة للمشاركة في العملية الديمقراطية إذ أن لهذه الجماهير أن تؤثر على من تنتخبته سواء كان رئيس جمهورية أو أعضاء مجلس الشعب . فعن طريق الحل تستطيع الجماهير إذا رأت أن سياسة المجلس لا تمثل رغباتها أن تلجأ للضغط على رئيس الجمهورية لحله وتستطيع أيضاً أن تضغط على أعضاء المجلس إذا رأت أن سياسة الرئيس حادت عن التكليف الذي كلفته به ، ليطلبوا من الرئيس أن يعرض سياسته على الاستفتاء الشعبي إذا كانت قصير بالمصلحة العامة ولا تجوز على تأييد الجماهير ورئيس الجمهورية ملزم بالاستجابة لهذا الطلب خلال ستين يوماً من تاريخ رفعه^(١). وبذلك تستطيع الجماهير أن تمارس هذا الحق بحرية تملك به أمرها .

٣ - السلطة القضائية

رغم أن القضاة مسئولون أمام رئيس الجمهورية عن حسن أدائهم^(٢) إلا أنه من ناحية أخرى نجد أن ولاءهم لهيئة مستقلة هي الهيئة القضائية التي هي بدورها أيضاً مسئولة مباشرة أمام رئيس الجمهورية عن أداء عملها^(٣) . كذلك فقد ضمن الدستور استقلال القضاة في أداء واجباتهم القضائية ولا سلطان عليهم إلا الحكم القانون .

(١) المادة ١٠١ من الدستور . وأنظر أيضاً محاضر جلسات مجلس الشعب لمناقشة مشروع الدستور في الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

(٢) المادة ١٩٤ من الدستور .

(٣) المادة ١٩٣ من الدستور .

وقد أحدث الدستور الدائم للسودان هتتين قضائيتين هما :

١ - المحكمة الدستورية العليا وهي حارسة للدستور وتختص بتفسيره والطعن في دستورية القوانين وتنازع الاختصاص القضائي والطعن بالنقض في جميع المواد القانونية .

٢ - مجلس القضاء العالي : ويختص بالشئون الإدارية للقضاء ، وهو يختلف في مفهومه عن النظم التي يكون فيها للقضاء وضعاً مستقلاً خارجاً عن نطاق السلطة الممنوحة للقضاء حسب الدستور الدائم محكوم ومقيد بولاية للارادة الشعبية (رئيس الجمهورية) وهو يختلف بذلك عن معظم البلدان التي نجد فيها السلطة القضائية موازية للسلطين التشريعية والتنفيذية ذلك أن النظام السياسي في السودان يجعل جميع السلطات خاضعة للارادة الشعبية ، وسلطة الارادة الشعبية وضعت لتمثل السلطة التنفيذية ولذا فان رئيس الجمهورية هو المشرف والمسئول عن القضاء .

وبالجملة فان استقلال القضاء في المفهوم السوداني ليس استقلاله عن السلطين التنفيذية والتشريعية ولكن حق القضاة في التصرف بحرية حسب القانون (١) .

٤ - التنظيم السياسي

يقوم التنظيم السياسي في السودان على أساس تحالف قوى الشعب العاملة المتمثلة في الزراع والعمال والمثقفين والرأسمالين الوطنيين والجنود ، وهو التنظيم السياسي الوحيد في السودان وتقوم أجهزته وتنظيماته على أساس مبادئ المشاركة الديمقراطية (٢) . وذلك أمر طبيعي مادامت ثورة الخامس والعشرين من مايو قد تفجرت من كفاح جماهير العمال والمزارعين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية (٣)

(١) محاضر جلسات مجلس الشعب لمناقشة مشروع الدستور في الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

(٢) المادتان ٣ و ٤ من الدستور .

(٣) فاتحة ميثاق العمل الوطني الذي قدمه الرئيس جعفر محمد نيمري رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكي السوداني إلى المؤتمر القومي التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ والذي أقره بالإجماع في جلسته الختامية في ١٠ يناير من العام نفسه .
أنظر ميثاق العمل الوطني ، الاتحاد الاشتراكي السوداني ، شركة الطابع السوداني ص ٣ .

«وتتلاحم فيها قوى الثورة وصولاً إلى تحالف كافة القوى ذات المصلحة فيها»^(١)، ذلك أن الشعب السوداني «يُحشد قواه في الاتحاد الاشتراكي السوداني التنظيم السياسي الثوري الشامل ليحمي إرادته في الحرية . . . بارساء الديمقراطية السليمة ونقل السلطة إلى أيدي الشعب»^(٢).

وسنعرض بالتحليل أهداف الاتحاد الاشتراكي السوداني واختصاصاته وواجباته وأساس ممارسته السلطة وهيكله وبنائه التنظيمي بمستوياته المختلفة ومسئولية كل مستوى والعلاقة بينها وبين جهاز الحكم ومؤسساته.

١ - أهداف الاتحاد الاشتراكي السوداني :

الاتحاد الاشتراكي السوداني هو التنظيم السياسي الوحيد ومن ثم فهو يشكل الإطار السياسي الشامل للعمل الوطني ويتسع مع منظمات الجماهيرية لجميع قوى الشعب العاملة علاوة على ذلك فإن الاتحاد الاشتراكي السوداني هو المسئول عن قيادة الحياة في السودان وتوجيهها لأنه يتولى قيادة العمل الوطني وقيادة نشاط الدولة كله فله سلطة وضع السياسات العامة والخطط والبرامج وله حق الاشراف والمراقبة باسم الشعب كما أنه يتصدى للدفاع عن مصالح الجماهير وهو أعلى تنظيم في الدولة بن هو سلطة الثورة على أجهزة الدولة إذ أنه يمثل السلطة الشعبية ولذا فإن مجلس الشعب ومجالس الحكم الشعبي المحلي تنفذ السياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي^(٣)

ويلتزم الاتحاد الاشتراكي بحماية الميثاق التزاماً فكرياً ووطنياً « وحماية الميثاق هي الالتزام الفكري والوطني به ، مبادئ وأهدافاً واسلوب عمل ، وهي باستيعابه وتمثله سلوكاً يومياً في حركة جماهيرنا وهي الوقوف في وجه المخرفين والانتهازين والمتسلقين والمتاولين وهي الجهد الدائب والمتجرد ليصير الميثاق واقعاً معاشاً ينتقل

(١) المرجع السابق ص ٥ .

(٢) ميثاق العمل الوطني مرجع سابق ، الباب الثاني ص ٢٩ .

(٣) الأمانة العامة ، الاتحاد الاشتراكي السوداني ، النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي السوداني ، صادر بالقرار الجمهوري رقم ٣٠ في ٢٥ يناير سنة ١٩٧٢ ، دار الأيام للطباعة والشر ، الخرطوم بحري . ص ٥ .

به المجتمع السوداني بارادة الجماهير الثورية وبأدائها من التخلف الاقتصادي والاجتماعي إلى مجتمع التقدم ،^(١) ويمكن أن تحمل أهداف الاتحاد الاشتراكي السوداني في الآتي (٢) :

— توحيد قوى الشعب العاملة لحماية منجزات وأهداف ثورة مايو ولبناء السودان الاشتراكي الواحد .

— دفع العمل الثوري وقيادته لتحقيق الديمقراطية السليمة ولتحقيق مبدأ نقل السلطة إلى الشعب .

— بناء وقيادة المنظمات الجماهيرية الشعبية .

أما أسس وقواعد وضوابط ممارسة العمل السياسي داخل الاتحاد الاشتراكي السوداني فإنها تقوم على : احترام الأقلية لرأى الاغلبية وخضوع الأجهزة الدنيا للأجهزة العليا وكسب ثقة الشعب على أساس من الاقناع والاقناع والارتكاز على نظام الطاعة الواعية لا السلبية في العلاقات بين أجهزة الاتحاد والمنظمات الجماهيرية وعدم تعالي أجهزة الاتحاد على الجماهير وعدم انعزالها عنها والعمل بالجماهير لمصلحتها مع الحرص على نشر الحقائق على الجماهير والاعتراف بالخطأ واصلاحه ، وقبول استخدام النقد والنقد الذاتي البناء في العمل والالتزام باحترام النشاط النقابي ومساعدة النقابات في الاحتفاظ باستقلالها واحترام نظامها الداخلي . كل هذه الضوابط في ممارسة العمل السياسي تهدف أن تجعل من الاتحاد الاشتراكي السوداني تنظيمًا جماهيريًا فعالًا يقوم على أسس ديمقراطية سليمة وانفتاح صحي واجباي بين أجهزته وبينه وبين الجماهير (٣) .

(١) ميثاق العمل الوطني مرجع سابق ، الباب السادس ص ٧٧ .

(٢) المادة الأولى من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي السوداني ، مرجع سابق ص ٦ وأيضاً خطاب الرئيس جعفر محمد نيمري في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القومي التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ مشورات الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، مطابع مؤسسة القرشي ، الخرطوم . ص ١٣ .

(٣) المادة الثانية من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي السوداني ، مرجع سابق . ص ٦ وما بعدها أيضاً خطاب الرئيس جعفر محمد نيمري في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القومي التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ مرجع سابق ، ص ١٤

٢ - عضوية الاتحاد الاشتراكي السوداني :

يجب ألا تقل نسبة العمال والمزارعين عن ٥٠٪ من مجموع الاعضاء عند تشكيل أجهزة الاتحاد الاشتراكي من الوحدة الأساسية حتى المؤتمر القومي للعام وذلك باستثناء مؤتمرات ولجان الاتحاد الاشتراكي التي لا تتوفر في عضويتها هذه النسبة (١).

وعضوية الاتحاد الاشتراكي السوداني حق لكل مواطن صالح سوداني لا تقل عمره عن ١٨ سنة ولم تصدر ضده أحكام جنائية ماسة بالأمانة والشرف ، ولم يعزل سياسياً و يؤمن بالمبادئ وأفكار ثورة مايو ومبادئها وبالميثاق دليل عمل الثورة مع استعداده للعمل في أجهزة الاتحاد لتحقيق أهدافه (٢).

ويتربن على إكتساب عضوية الاتحاد الاشتراكي حقوق (٣) وواجبات (٤)

(٢) المادة ٢٣ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي السوداني مرجع سابق ص ٢٤ .

(٣) حددت المادة ٢٥ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي حقوق عضو الاتحاد الاشتراكي في الآتي :

- الانتخاب والترشيح لمناصب الاتحاد الاشتراكي القيادية .
- الاشتراك في المناقشات وابداء الرأي في إجتماعات الاتحاد التي هو عضو فيها .
- وأن يناقش العوامل المؤثرة على رفع المستوى الإجتماعي والاقتصادي والثقافي لوحدة الأساسية ويشترك في لجان البحث والدراسة للوصول إلى الحلول المناسبة لها .
- التقدم باقتراحات واسئلة إلى أجهزة الاتحاد والتوجه بالانتقادات لرفع مستوى عمل الاتحاد وأجهزته وأن يرفع رأيه إلى أية هيئة قيادية للاتحاد إذا كان مخالفاً لقرارات الاتحاد .
- (٤) حددت المادة ٢٤ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي واجبات العضو في الآتي :
- التمسك بالقيم الروحية الإنسانية والإشترابية للثورة والشعب .
- المحافظة على وحدة الاتحاد الاشتراكي وأجهزته والمنظمات الجماهيرية الشعبية .
- بذل كل جهده وأمكاناته في تنفيذ قرارات الاتحاد الاشتراكي .
- الإلمام بقرارات وبحوث أجهزة الاتحاد وشرحها للجماهير وأن يكون قدوة حسنة للجماهير ومثالا صادقاً للمواطن في المجتمع الاشتراكي .

- أن يقبل قرار الأغلبية وينفذه باخلاص حتى ولو كان مخالفاً لرأيه .
- أن يرفع باستمرار من مستواه الفكري والثقافي وأن يتنهم بمبادئ الميثاق ويشرحه للشعب .
- التضحية بمصلحته الشخصية في سبيل مصلحة الاتحاد الاشتراكي ومصلحة الشعب والثورة وإلا يطلب لنفسه أو لغيره منفعة أو امتيازات واستثناءات .

للعضو . وتزول عضوية الاتحاد الاشتراكي أو تسقط عن الشخص في إحدى حالتين (١).

الأولى : العضو العامل الذي لا يسدد اشتراكه لمدة ستة أشهر متتالية تسقط عنه العضوية العاملة .

الثانية : عضو اللجنة الذي يتخلف بدون سبب مقبول عن مزاولة نشاطه في أعمال اللجنة لمدة ستة أشهر متتالية تسقط عنه عضوية تلك اللجنة .
كما أن النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي قد حدد القواعد والاجراءات التنظيمية الخاصة بمحاسبة الاعضاء على المخلفات التي يرتكبونها (٢) .

٣ - البنية التنظيمية للاتحاد الاشتراكي :

يتكون البنية التنظيمية للاتحاد الاشتراكي من مؤتمر ولجنة على خمس مستويات ثم المكتب السياسي والأمانة العامة ونداقشها على النحو التالي :

أولاً - مؤتمر ولجنة الاتحاد الاشتراكي على خمس مستويات :

(١) الوحدة الأساسية أو الفرع .

الوحدة الأساسية هي قاعدة التنظيم وتتكون في القرية أو الحى أو موقع

- التعرف على مشاكل الجماهر المحيطة بمجاله وأن يعمل لحلها وفق توجيهات الاتحاد الاشتراكي وأن ينقل رأي الجماهر وملاحظاتها للاتحاد الاشتراكي
- اجتذاب العناصر الطليعية لعضوية الاتحاد الاشتراكي ومراكزه لقيادته والوقوف بقوة ضد أعداء الثورة والاتحاد الاشتراكي .

(١) المادة ٣٧ من النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ٣١ .

(٢) المواد من ٢٦ إلى ٣٠ من النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ : وتتلخص أحكام هذه المواد في أن العضو بحاسب إذ إنحرف عن مبادئ الميثاق وأهل في القيام بواجباته أو امتنع عن تنفيذ قرارات الاتحاد الاشتراكي وأجهزته أو أدين في أية جريمة من الجرائم المحلة بالشرف أو الأمانة أما الاجراءات التي يجوز توقيعها على العضو هي : التنبيه واللوم ولوف من العضوية لمدة محددة ، الفصل من لجان منظمات الاتحاد والفصل من العضوية العامة ، على أنه من حق العضو الدفاع عن أى إتهام يوجه إياه كما تكنه الطعن في القرارات انصادرة بتوقيع جزاءات عليه لعام لجنة النظام الداخلى التي يشكلها المكتب السياسي من ثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية .

أنظر أيضاً : قواعد محاسبة الأعضاء التي أصدرها المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني .

الإنتاج أو ما يماثلها (١) أو أى تجمع سكانى به مائة شخص أو أكثر .

ومؤتمر الوحدة الأساسية (٢) هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكى فى مستوى الوحدة ويختص بانتخاب أعضاء اللجنة الوحدة الأساسية وانتخاب مندوبى الوحدة الأساسية لمؤتمر القسم (٣) .

وإلى جانب مؤتمر الوحدة الأساسية فهناك أيضاً وعلى نفس المستوى مؤتمر الفرع . فالوحدات الفرعية فى مجالات العمل هى قاعدة الهرم التنظيمى للاتحاد الاشتراكى فى مجال العمل وينشأ فرع الاتحاد الاشتراكى فى أى مجال عمل به ثلاثون أو أكثر أما المناطق التى لا يتوفر فيها الحد الأدنى فيجوز تجميع العاملين فى أماكن عمل متعددة فى فرع واحد وينطبق على مؤتمر الفرع نفس قواعد تنظيم واختصاصات مؤتمر الوحدة الأساسية (٤) .

أما لجنة الوحدة الأساسية فهى تتكون فى مكان السكن من أحد عشر عضواً ينتخبهم مؤتمر الوحدة الأساسية مرة كل سنتين (٥) وتختص بقيادة العمل السياسى فى الوحدة والاتصال بال جماهير والعمل وسطها وإدارة النشاط اليومى وتنفيذ سياسات وخطط الاتحاد الاشتراكى والتوجيهات التى تصدر إليها من لجنة الاتحاد فى المستوى الأعلى ودراسة التقارير التى تقدم إليها أو المرفوعة منها إلى الأجهزة العليا وتعميق التربية الفكرية الملزمة بمبادئ وأهداف ثورة مايو والعمل المستمر لترقية الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجماهير وتعبئة الجهود لزيادة الإنتاج فى جميع مجالاته كما تختص أيضاً بالتعرف على احتياجات ومشاكل الجماهير

(١) المادة ٤ من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى ، مرجع سابق ص ٨

(٢) يتكون مؤتمر الوحدة الأساسية من جميع أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى الوحدة الأساسية ومدته عامان ويجتمع دورياً مرة كل ستة أشهر على الأقل أو فى دورات غير عادية بناء على طلب لجنة الوحدة الأساسية أو طلب ١/٤ أعضاء الوحدة وتشرف أمانة التنظيم بلجنة القسم على التحضير والدعوة للمؤتمر وتشرف على وضع جدول أعماله ومشروعات قراراته (المادة الخامسة من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى مرجع سابق ، ص ١١) .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) أنظر قواعد تأسيس وتنظيم الاتحاد الاشتراكى التى أصدرها المكتب السياسى للاتحاد .

(٥) المادة ٦ من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى مرجع سابق ص ١١ .

ودراستها والعمل على حلها بالتعاون مع المؤسسات والمنظمات المحلية ورفع ما استعصى منها على الحل إلى تنظيمات الاتحاد الاشتراكي في المستوى الأعلى لحلها والعمل على خلق حياة تنظيمية إيجابية سليمة داخل الوحدة الأساسية والتأكد من أن كافة الاعضاء يؤدون واجبات العضوية بهمة ومن أن الوحدة مجتمعة على دعم الوحدة الوطنية (١) .

أما بالنسبة إلى لجنة الفرع فإنها تتكون من أحد عشر عضواً ينتخبهم مؤتمر الفرع مرة كل سنتين وتنطبق عليها نفس قواعد ونظم لجنة الوحدة الأساسية من حيث طريقة العمل والاختصاصات الخ (٢) .

(ب) القسم : هو قسم الاتحاد الاشتراكي الذي يشمل جميع الوحدات الأساسية القائمة في دائرة مجلس الحكم الشعبي المحلي بالمديرية .

ومؤتمر القسم هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى القسم ويتكون من مندوبين (٣) لجميع الوحدات الأساسية الموجودة في نطاق القسم ومدته عامان

(١) المادة ٧ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ١٢ .
تتخبط اللجنة من بين أعضائها أميناً عاماً وأميناً مساعداً للتنظيم والنشاط ومساعدتين أخريين لوجه النشاط الحظافة وتتخذ إجتماعات دورية هادية مرة كل شهر على الأقل واجتماعات غير هادية بناء على قرار من أمينها العام . (المادة ٦ من النظام الأساسي)

(٢) أنظر قواعد تأسيس وتنظيم الاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق .
(٣) أصدر المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي قواعد تأسيس وتنظيم مؤتمر القسم على النحو التالي :
- كل وحدة أساسية وكل فرع لا تزيد عضوية كل منهما عن ٣٠٠ يمثل كل منهما مندوب واحد .
- كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٣٠٠ ولا تزيد عن ٤٠٠ يمثل كل منهما مندوبان .

- كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٤٠٠ ولا تزيد عن ٨٠٠ يمثل كل منهما ٣ مندوبين .
- كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٨٠٠ ولا تزيد عن ١٦٠٠ يمثل كل منهما ٤ مندوبين .

- كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ١٦٠٠ ولا تزيد عن ٣٢٠٠ يمثل كل منهما ٥ مندوبين .
- كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٣٢٠٠ ولا تزيد عن ٦٤٠٠ يمثل كل منهما ٦ مندوبين .

- لا يزيد عدد مندوبي الوحدة الأساسية لمؤتمر القسم عن عشرة مندوبين بأي حال من الأحوال .

ويجتمع دورياً كل ستة أشهر أو في دورات غير عادية بناء على طلب لجنة القسم أو طلب ربع عدد أعضاء المؤتمر أو ربع عدد لجان الوحدات الأساسية للقسم^(١). ومهمة مؤتمر القسم مناقشة تقارير نشاط الوحدات الأساسية وتحديد سياسات العمل وخطته بين فترات انعقاده في إطار السياسة العامة للاتحاد الاشتراكي وانتخاب لجنة القسم من بين أعضائه وانتخاب مندوبين القسم إلى مؤتمر المنطقة^(٢). أما لجنة القسم فإنها تتكون من عدد من الأعضاء^(٣) ينتخبهم مؤتمر القسم كل عامين من بين أعضائه وتنتخب اللجنة من بين أعضائها أميناً عاماً وأميناً مساعداً للفكر وأميناً مساعداً للتنظيم ومساعدتين لأوجه النشاط المختلفة وتجتمع مرة كل شهر على الأقل^(٤).

وتختص لجنة القسم بكل اختصاصات الوحدة الأساسية بالإضافة إلى مهمتها في قيادة العمل السياسي بالقسم والإدارة اليومية لنشاط الاتحاد في مجاها وتوجيه كافة الوحدات الأساسية بالقسم لأداء واجبها عن طريق لجانها وتنفيذ قرارات وتوجيهات لجنة المنطقة وتقديم التقارير إليها^(٥).

(ج) المنطقة : هي منطقة الاتحاد الاشتراكي التي تشمل عدداً من الأقسام القائمة في دائرة المديرية . ومؤتمر المنطقة هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى المنطقة ويتكون من مندوبين^(٦) لجميع الأقسام في المنطقة ومدته عامان

(١) المادة ٨ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ١٤

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) حددت قواعد تأسيس وتنظيم الاتحاد الاشتراكي التي أصدرها المكتب السياسي للاتحاد أعضاء لجنة القسم على النحو الآتي .

— يكون عدد أعضاء لجنة القسم التي تضم أقل من ١٠ وحدات أساسية أو ١٠ فروع أو ١٠ وحدات أساسية وفروع خمسة عشر عضواً .

— يكون عدد أعضاء لجنة القسم التي تضم أكثر من ١٠ وحدات أساسية و ١٠ فروع أو ١٠ وحدات أساسية وفروع ٣٠ عضواً .

(ج) المادة ٩ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ٥

(٥) المادة ١٠ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ١٥ وما بعدها .

(٦) حدد المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي قواعد تأسيس وتنظيم مؤتمر المنطقة على النحو

التالي :

ويجتمع دوريا كل ستة أشهر أو في دورات غير عادية بناء على طلب لجنة المنطقة أو طلب ربع عدد لجان الأقسام في المنطقة ويختص مؤتمر المنطقة بمناقشة تقارير نشاط الأقسام وتحديد سياسات العمل وخطته بين فترات انعقاده وانتخاب لجنة المنطقة ومندوبي المنطقة لمؤتمر المديرية من بين أعضائه (١).

أما لجنة المنطقة فإنها تتكون من ٢٠ عضواً كحد أدنى و ٢٥ عضواً كحد أقصى (٢) ينتخبهم مؤتمر المنطقة من بين أعضائه كل عامين وتنتخب من بين أعضائها أميناً عاماً وأميناً مساعداً للفكر وأمناء للتنظيم وأمناء مساعدين لإدارة أوجه النشاط المختلفة وتجتمع مرة كل شهر على الأقل ومهمتها قيادة العمل السياسي بالمنطقة والإدارة ، اليومية لنشاط المنطقة وتوجيه كافة الأقسام بالمنطقة لإداء واجباتها عن طريق لجانها وتنفيذ قرارات وسياسات وخطط مؤتمر المنطقة وتوجيهات لجنة المنطقة وتقديم التقارير إليها (٣).

(د) المديرية : وهي المديرية أو المحافظة حسب التقسيم الإداري للسودان وتشمل جميع المناطق القائمة بها .

ومؤتمر المديرية هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى المديرية ويتكون من مندوبين (٤) لجميع المناطق بالمديرية ومدته عامان ويجتمع دوريا مرة كل ستة

= - كل قسم يضم من اثنين إلى خمس وحدات أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل في مؤتمر المنطقة بخمسة مندوبين .

- كل قسم يضم من خمسة إلى عشرة وحدات أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل في مؤتمر المنطقة بعشرة مندوبين .

- كل قسم يضم من عشرة إلى عشرين وحدة أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل في مؤتمر المنطقة بعشرين مندوبا .

- كل قسم يضم من عشرين إلى أربعين وحدة أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل في مؤتمر المنطقة بأربعين مندوبا .

- كل قسم يضم أكثر من أربعين وحدة أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل في مؤتمر المنطقة بثمانين مندوبا .

(١) المادة ١١ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ١٦

(٢) أنظر قواعد تأسيس وتنظيم الاتحاد الاشتراكي التي أصدرها المكتب السياسي .

(٣) هذه الاختصاصات علاوة على كافة الاختصاصات المخولة للجنة القسم أنظر المادتين ١٢ و ١٣

من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ١٦ وما بعدها .

(٤) حدد المكتب الأساسي عضوية مؤتمر المديرية كالآتي :

أشهر كما يعقد دورات غير عادية بناء على طلب لجنة المديرية أو طلب ربع أعضاء المؤتمر أو ربع عدد لجان المناطق بالمديرية أو بناء على طلب الأجهزة القيادية للاتحاد الاشتراكي على نطاق الجمهورية . ومهمة المؤتمر مناقشة تقارير نشاط المناطق وتقارير الامناء واللجان الفرعية والمكاتب الفنية ويحدد سياسات العمل وخطته بين فترات انعقاده كما يختص المؤتمر بانتخاب لجنة المديرية من بين أعضائه وانتخاب مندوبي المديرية إلى المؤتمر القومي العام (١).

أما لجنة المديرية فإنها تتكون من أربعة وعشرين عضواً كحد أدنى وستة وثلاثين عضواً كحد أقصى (٢) ينتخب ثلثهم مؤتمر المديرية من بين أعضائه كل عامين ويعين المكتب السياسي الثلث الآخر كما يعين المكتب السياسي أيضاً أميناً عاماً وامناء مساعدين من بين أعضاء لجنة المديرية وتجتمع اللجنة مرة كل شهر ومهمتها القيام بجميع وظائف لجان المنطقة علاوة على قيادة العمل السياسي بالمديرية والإدارة اليومية لنشاط الاتحاد الاشتراكي وتوجيه كافة المناطق بالمديرية لأداء واجباتها عن طريق لجانها والإشراف على نشاط أجهزة الاتحاد والمنظمات الجماهيرية بالمديرية وتنفيذ قرارات وسياسات وبرامج مؤتمر المديرية وكذلك تنفيذ قرارات وتوجيهات اللجنة المركزية والمكتب السياسي والأمانة العامة وتقديم التقارير الدورية إلى الأمانة العامة واختيار وتدريب الكوادر وإصدار النشرات الدورية والكتب والموافقة على الترشيحات لمجالس الحكم الشعبي المحلي ومجلس الشعب (٣).

(هـ) مستوى الجمهورية ، وهي دولة السودان ويتكون الاتحاد الاشتراكي على مستوى الجمهورية من :

-
- = - كل منطقة تضم من اثنين إلى خمسة أقسام تمثل في مؤتمر المديرية بخمسة مندوبين .
 - كل منطقة تضم من خمسة إلى عشرة أقسام تمثل في مؤتمر المديرية بعشرة مندوبين .
 - كل منطقة تضم من عشرة إلى عشرين قسماً تمثل في مؤتمر المديرية بعشرين مندوباً .
 - كل منطقة تضم من عشرين إلى أربعين قسماً تمثل في مؤتمر المديرية بأربعين مندوباً .
 - كل منطقة تضم أكثر من أربعين قسماً تمثل في مؤتمر المديرية بثمانين مندوباً .
- (١) المادة ١٤ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ، ص ١٧ وما بعدها .
- (٢) أنظر قواعد تأسيس الاتحاد الاشتراكي التي أصدرها المكتب السياسي .
- (٣) المادتان ١٥ و ١٦ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ، ص ١٨ وما بعدها .

١- المؤتمر القومي العام : وهو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى الجمهورية ويتكون من مندوبين لمؤتمرات المديرية وينعقد مرة كل عامين ويجوز انعقاده في دورة غير عادية بدعوة من اللجنة المركزية أو المكتب السياسي أو رئيس الاتحاد الاشتراكي .

ويختص المؤتمر القومي العام برسم السياسة العامة للدولة والخطوط الموجهة للحياة في السودان وتقرير سياسة الاتحاد الاشتراكي وتخطيطه العامة وبرنامج العمل الوطني بين فترات انعقاده وانتخاب رئيس الاتحاد الاشتراكي والذي يصبح في الوقت نفسه رئيساً للمؤتمر القومي العام واللجنة المركزية والمكتب السياسي كما يختص المؤتمر العام أيضاً بترشيح رئيسه لرئاسة الجمهورية وانتخاب واعضاء

٢- اللجنة المركزية : هي السلطة العليا للاتحاد بين فترات انعقاد المؤتمر القومي العام . وهي تتكون من عدد من الاعضاء ينتخب نصفهم كل عامين المؤتمر القومي العام من بين اعضائه ويعين رئيس الاتحاد الاشتراكي النصف الآخر وتجتمع اللجنة المركزية دورياً مرة كل ستة شهور على الأقل بدعوة من المكتب السياسي أو بناء على طلب ربع أعضاء اللجنة المركزية بشرط موافقة رئيس الاتحاد الاشتراكي ومكان اجتماعاتها هو الخرطوم .

وتختص اللجنة المركزية بقيادة العمل السياسي بين فترات انعقاد المؤتمر القومي العام والبت في جميع المسائل الرئيسية التي تثار في حالة عدم انعقاد المؤتمر القومي العام عن السياسة الداخلية والخارجية وتوعية الجماهير ودعوتها لتأييد سياسات الحكومة ومناقشة خطط التنمية وتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر القومي العام ومناقشة ومراقبة تقارير مؤتمرات ولجان المديرية أو انتخاب أعضاء المكتب السياسي وإصدار القرارات التنظيمية للاتحاد وحل أجهزة الاتحاد الاشتراكي إذا أخلت بواجباتها وعزل أي من أعضائها (٢) كما يدخل في اختصاص اللجنة المركزية أيضاً

(١) المادتان ١٨ و ١٩ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) المادة ٢٠ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي مرجع سابق ص ٢١ وما بعدها .

الغاء أو تعديل أى قرار صادر من أجهزة الاتحاد الاشتراكي من المستويات الدنيا، إذا كان فيه خروج على أهداف الاتحاد الاشتراكي أو مبادئه (١).

٣- المكتب السياسي : هو القيادة السياسية العليا للاتحاد الاشتراكي بين فترات انعقاد اللجنة المركزية ويباشر كل اختصاصاتها فيما بين فترات انعقادها بالإضافة إلى قيادة العمل اليومي للاتحاد الاشتراكي وتوجيه أجهزته سياسياً ومناقشة تقارير هذه الأجهزة وتنفيذ قرارات وتوجيهات اللجنة المركزية وإصدار القرارات التنفيذية وتشكيل الأمانة العامة ومتابعة عملها ويتكون المكتب السياسي من الرئيس وهو رئيس الاتحاد الاشتراكي وأربعة عشر عضواً هم : أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق بالإضافة إلى ثمانية أعضاء تنتخبهم اللجنة المركزية من بين عشرة من أعضائها يرشحهم رئيس الاتحاد (٢).

٤- الأمانة العامة :

ينشأ المكتب السياسي ويرأسها أمين عام يعينه رئيس الاتحاد وتتكون من أمانة الفكر والتوجيه وأمانة التنظيم والتعبئة وأمانة التنظيمات الجماهيرية (٣) وأمانة العلاقات العامة وأية أمانات أخرى ينشأها المكتب السياسي .

والأمانة العامة تنحصر مهمتها في أنها مسئولة أمام المكتب السياسي عن تنفيذ جميع قرارات وتوصيات المكتب السياسي وعن المسائل الإدارية والتنظيمية وأجهزة الاتحاد الاشتراكي وعن الإشراف على الإدارات والمكاتب السياسية الفنية الموجودة برئاسة الاتحاد الاشتراكي والمديريات والمنظمات الجماهيرية (٤)، ويجب أن نشير إلى أنه من الملاحظ على جميع المستويات لا تكون اجتماعات ومؤتمرات ولجاناً

(١) المادة ٣٤ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ٣٠

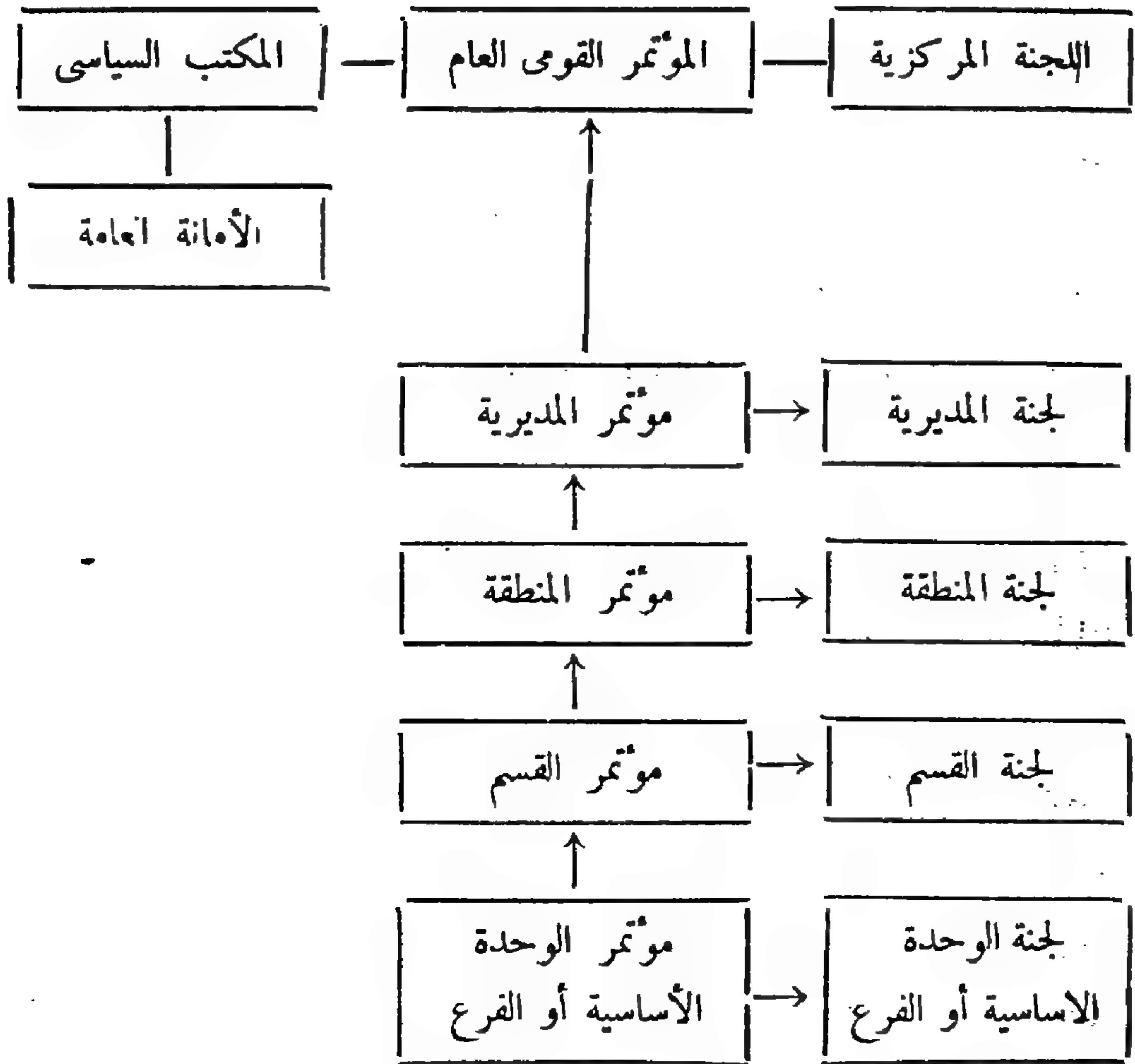
(٢) المادة ٢١ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي ، مرجع سابق ص ٢ وما بعدها.

(٣) التنظيم الجماهيري هو أى تنظيم جماهيري وظيفي يعتبر رافداً من روافد الاتحاد الاشتراكي ويشمل إتحاد شباب السودان وإتحاد نساء السودان وبلدان تطوير القرى وأية تنظيمات أخرى يعتمد عليها رئيس الإتحاد الاشتراكي كتنظيمات جماهيرية .

(٤) المادة ٢٢ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي مرجع سابق ص ٢٣ وما بعدها .

الاتحاد الاشتراكي قانونية إلا بحضور أكثر من نصف عدد الاعضاء كما أن القرارات تصدر بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين (١) .

البيان التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني



ولقد قام البناء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني وهيكله على عدة اعتبارات وضغوط أهمها (٢) .

(١) المادة ٣٦ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي مرجع سابق ص ٣١ وما بعدها .

(٢) خطاب الرئيس جعفر محمد نميري في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القومي . والتأسيسي للاتحاد الاشتراكي في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ مرجع سابق ص ١٤ وما بعدها .

١ - إن الاتحاد الاشتراكي - بجميع روافده - هو الإطار السياسي الشامل للعمل الجماهيري لقوى الشعب المتحالفة في إطاره .

٢ - أن يكون الاتحاد قادراً على خلق وحدة وطنية حقيقية بين قوى الشعب العامل التي لا تنافر بينها بحكم تقارب مصالحها وأن يجسد لقاءها السليم الممثل لارادتها والدافع لآمالها .

٣ - التجسيد الفعال لسلطة الشعب التي تملو جميع السلطات وتحكمها وتوجهها في كل المجالات وعلى كافة المستويات .

٤ - القدرة على الانتشار والتغلغل الواسع وسط الجماهير وقيادة كافة المواقع وخاصة الاستراتيجية منها والقدرة أيضاً على الحركة الواسعة والدائمة وسط الجماهير وتعبئتها في إطار فكره القائم على الميثاق وسياسته وبرامجه بهدف تحويل هذا الفكر إلى واقع ملموس ومعاش عن طريق تنفيذ هذه البرامج .

٥ - ربط عضوية الاتحاد الاشتراكي ومنظماته وجماهير الشعب بالثورة فكرة وحركة وإرادة وأداء .

٦ - ضمان تسلسل الواجبات والمسؤوليات وصيانة هذا التسلسل وفق الضوابط التي تضمن تحقيق الحيوية والتفاعل الواجب بين كافة مستوياته من القاعدة إلى القيادة والعكس وأيضاً ضمان الاتصال اليومي المحكم بين فكر القيادة ونبض القاعدة وحيويتها .

٧ - تحقيق الترابط الوثيق والدائم بين أعضائه وقاعدته وقيادته وتنظيماته الجماهيرية وأن يقوم هذا الترابط على التفاعل والحيوية المحسنة لآمال الجماهير والقدرة على الأداء الفعال .

٨ - اعتبار العضوية تكليف بالخدمة للمواطنين القادرين على الوفاء بها والذين يملكون أن يعطوا مبادئ ثورة مايو من فكرهم وجهدهم الطاقات القادرة والفعالة التي تحيل هذه المبادئ إلى ممارسة وواقع حي .

وعلى كل وبالرغم من أن البعض قد يرى أن هذا البنيان التنظيمي جهازاً

ضخماً يحتاج بناؤه إلى وقت طويل وجهد عظيم إلا أن هذا الوقت والجهد يتناسب مع أهمية الاتحاد الاشتراكي وحيويته .

أن تجربة الاتحاد الاشتراكي السوداني مازالت في البداية وسوف تثبت الأيام والأيام وحدها إذا كان قد استطاع أن يحقق مارسم له من أهداف أو بعضها منها وإذا ما كان قد استطاع كما أريد له أن يكون أمينا على مكاسب ثورة مايو ومبادئها قادرا على صيانتها وتطويرها وخمايتها عن طريق التصاقه بال جماهير وقيادة مسيرتها على درب الحرية والاشتراكية والديمقراطية والوحدة الوطنية .

٥ - الحكم الذاتي الاقليمي للجنوب

عاد السلام إلى ربوع السودان بعد حرب أهلية مروعة مزقت البلاد عمانية عشر عاما وذلك باقامة حكم إقليمي في المديرية الجنوبية (١) في نطاق الوطن الواحد . فقد أعلنت ثورة مايو بعد أيام من قيامها وبالتحديد في ٩ يونيو سنة ١٩٦٩ تحقيق الحكم الذاتي الاقليمي في نطاق السودان الواحد وفقاً لمبدأ ثورة مايو في اشراك المواطنين بطريقة فعالة في حكم بلادهم والاشراف عليها وفقاً لنظام الحكم المركزي ثم تأكد ذلك في ميثاق العمل الوطني الذي أقره المؤتمر القومي التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني في ١٠ يناير سنة ١٩٧٢ . ثم كان القرار الجمهوري رقم ٢٩ بقانون الحكم الذاتي الاقليمي للمديرية الجنوبية لسنة ١٩٧٢ (٢) والذي يعد دستوراً أو قانوناً أساسياً لتنظيم حكم ذاتي إقليمي للمديرية الجنوبية والذي بدأ بالعمل به منذ يوم اصداره في ٣ مارس سنة ١٩٧٢ ثم يصدر بعد ذلك الدستور الدائم للسودان والذي يقن الفكر الثوري المايوي ويدعم المصالح الوطنية ويقر إقامة حكم ذاتي إقليمي في المديرية الجنوبية في نطاق الوطن الواحد .

(١) .المديرية الجنوبية للسودان هي مديرية بحر الغزال والمديرية الأمتوائية ومديرية اعالي النيل وأية مناطق أخرى كانت جغرافياً وثقافياً جزءاً من الكيان الجنوبي (المادة الثانية فقرة ٣ من القرار الجمهوري رقم ٢٩ الصادر في ٣ مارس سنة ١٩٧٢)

(٢) انظر قانون الحكم الذاتي الإقليمي ، نص القرار الجمهوري (تشريع) رقم ٢٩ الذي أصدره رئيس الجمهورية في ٣ مارس سنة ١٩٧٢ ، مشورات وزارة الإعلام والثقافة بجمهورية السودان الديمقراطية ، مطابع الإعلام والثقافة .

ومن المفيد أن نحلل قانون الحكم الذاتي الاقليمي حسب ما جاء به القرار الجمهوري رقم ٢٩ لسنة ١٩٧٢ والذي بمقتضاه أصبحت المديريات للسودان إقليما يتمتع بالحكم الذاتي الاقليمي في نطاق السودان الموحد ويعرف بإقليم جنوب السودان^(١) واعتبرت اللغة الانجليزية لغة رئيسية لإقليم الجنوب إلى جانب اللغة العربية التي تعد لغة رسمية للسودان^(٢) .

ولإقليم الجنوب أجهزة تشريعية وتنفيذية خاصة به^(٣) . وقد حدد قانون الحكم الذاتي الاقليمي المسائل ذات الطابع القوي والتي لا يجوز لمجلس الشعب الاقليمي أو المجلس التنفيذي العالي^(٤) أن يصدر تشريعا أو يمارس سلطة بشأنها . وهذه المسائل على سبيل الحصر هي : الدفاع الوطني ، الشؤون الخارجية ، العملة والنقد ، النقل الجوي والنقل النهري عبر القطر ، المواصلات السلكية واللاسلكية ، الجمارك والتجارة الخارجية ماعدا تجارة الحدود والتجارة في بعض السلع التي تعينها الحكومة الاقليمية بموافقة الحكومة المركزية ، الجنسية والهجرة ، التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . التخطيط التربوي ، المراجعة العامة^(٥) .

(١) السلطة التشريعية الاقليمية :

الهيئة التشريعية لإقليم جنوب السودان هي « مجلس الشعب الاقليمي » وينتخبه المواطنون السودانيون الذين يقيمون في إقليم الجنوب بالاقتراع السري المباشر^(٦) . ويجوز لرئيس الجمهورية أن يعين أعضاء إضافيين في المجلس إذا كانت الظروف لا تسمح بالانتخاب على ألا يتجاوز عدد هؤلاء المعينين عن ربع أعضاء المجلس^(٧) .

(١) المادة ٣ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٢) المادة ٥ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٣) المادة ٢ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٤) المجلس التنفيذي العالي يعينه رئيس الجمهورية بناء على توصية رئيس المجلس التنفيذي العالي ويشرف هذا المجلس على إدارة وتوجيه الشؤون العامة لإقليم جنوب السودان .

(٥) المادة ٦ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٦) المادتان ٧ و ٨ من قانون الحكم الذاتي .

(٧) المادة ٩ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

ويعمارس مجلس الشعب الاقليمى سلطاته التشريعية لحفظ النظام العام والأمن الداخلى لاقليم الجنوب وادارته بطريقة رشيدة وتنميته فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية^(١) ، وذلك فيما عدا المسائل القومية التى لا تخضع للاختصاص التشريعى لاقليم الجنوب والتى حددتها المادة السادسة من قانون الحكم الذاتى الاقليمى على سبيل الحصر .

وبالاضافة إلى ذلك فان اختصاصات مجلس الشعب الاقليمى تتلخص فى :

- ١ - العمل على دعم وحدة السودان واحترام الدستور^(٢) .
- ٢ - فرض الضرائب والرسوم الاقليمية إلى جانب الضرائب والرسوم المركزية والمحلية^(٣) واعتماد الموازنة العامة للاقليم الجنوبى^(٤) .
- ٣ - لعضو مجلس الشعب الاقليمى حق اقتراح اصدار مشروعات القوانين^(٥) ، ولرئيس الجمهورية أن يعترض على أى مشروع قانون يرى أنه يتعارض مع الدستور ومن حق مجلس الشعب الاقليمى بعد اطلاعه على وجهة نظر رئيس الجمهورية أن يعيد عرض مشروع القانون مرة أخرى^(٦) .

(١) وردت هذه السلطات على سبيل المثال فى المادة العاشرة من قانون الحكم الذاتى الاقليمى وأهمها : تطوير استخدام الموارد المالية الإقليمية لتنمية وإدارة إقليم الجنوب . - تنظيم الأجهزة للإدارة الاقليمية والمحلية - التشريع فيما يتعلق بالمرفق والمعدات فى نطاق القوانين القومية - إنشاء السجون والاصلاحات وإدارتها - إنشاء المدارس العامة بجميع مستوياتها وإدارتها وفقاً للخطة القومية - تطوير اللغات والثقافات المحلية - تخطيط المدن والقرى وإنشاء الطرق وفقاً للخطة القومية - إنشاء المستشفيات وإدارتها وإدارة خدمات صحة البيئة - تشجيع التجارة وإنشاء الصناعات والأسواق المحلية وإصدار رخص التجارة وإنشاء الجمعيات التعاونية - مكافحة الآفات وأمراض النباتات والحيوانات وتخصيب الإنتاج الحيوانى - تشجيع السياحة - التعدين والتعجير مع عدم المساس بحقوق الحكومة المركزية عند اكتشاف الغاز الطبيعى والمعادن - التجنيد لخدمات الشرطة وتنظيمها وإدارتها وفقاً للسياسة القومية - تنمية واستثمار وحماية الغابات والمحصولات والمراعى .

- (٢) المادة ٣٠ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى :
- (٣) المادة ٢٤ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
- (٤) المادة ٢٥ فقرة ١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
- (٥) المادة ٢٩ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
- (٦) المادة ٢٧ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى

٤ - لأغلبية ثلثي أعضاء مجلس الشعب الاقليمي أن يطلبوا من رئيس الجمهورية إعفاء رئيس المجلس التنفيذي العالى أو أى من اعضائه عن منصبه ورئيس الجمهورية ملزم بالاستجابة إلى هذا الطلب (١) .

٥ - لأغلبية ثلثي أعضاء مجلس الشعب الاقليمي أن يطلبوا من رئيس الجمهورية تأجيل العمل باى قانون يمس - فى نظر الاعضاء - رفاهية ومصالح المواطنين فى إقليم الجنوب وللرئيس - إذا رأى ذلك مناسبا - أن يستجيب لهذا الطلب (٢) .

٦ - لأغلبية أعضاء مجلس الشعب الاقليمي الحق فى طلب سحب أى مشروع قانون معروض أمام مجلس الشعب إذا رأى أن هذا المشروع يمس رفاهية أو حقوق أو مصالح المواطنين فى إقليم الجنوب (٣) .

(ب) العلاقة بين السلطين التشريعتين المركزية والاقليمية :

تبدو صورة العلاقة بين مجلس الشعب للامة السودانية وبين مجلس الشعب الاقليمي فى الآتى :

١ - لمجلس الشعب السودانى أن يطلب من مجلس الشعب الاقليمي موافاته بالحقائق والمعلومات الخاصة بإدارة إقليم جنوب السودان (٤) .

٢ - تبادل إرسال القوانين ومشروعات القوانين فىرسل كل من مجلس الشعب ومجلس الشعب الاقليمي جميع مشروعات قوانينه والقوانين التى أجازها كل منهما إلى الآخر للعلم (٥) .

٣ - لمجلس الشعب الاقليمي حق طلب سحب مشروعات القوانين المعروضة أمام مجلس الشعب إذا رأى أنها ضارة بمصالح إقليم جنوب السودان .

(١) المادة ١٢ فقرة ١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمي .

(٢) المادة ١٣ من قانون الحكم الذاتى الاقليمي .

(٣) المادة ١٤ فقرة ١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمي .

(٤) المادة ١١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمي .

(٥) المادة ١٥ من قانون الحكم الذاتى الاقليمي .

(ج) السلطة التنفيذية الاقليمية :

يتولى المجلس التنفيذى العالى - نيابة عن رئيس الجمهورية^(١) - ممارسة السلطة التنفيذية ويعين رئيس الجمهورية رئيس المجلس التنفيذى العالى ويعفيه بناء على توصية مجلس الشعب الاقليمى وفى حالة خلو منصب رئيس المجلس التنفيذى أو إعفائه أو استقالته يعتبر المجلس مستقبلاً تلقائياً . أما تعيين وإعفاء أعضاء المجلس التنفيذى العالى فهو من اختصاص رئيس الجمهورية بناء على توصية رئيس المجلس التنفيذى^(٢) وتنحصر مهمة المجلس التنفيذى العالى فى الآتى :

- ١ - تحديد واجبات المصالح فى إقليم جنوب السودان بشرط ألا يمس ذلك أية مسائل تتعلق بوزارات ومصالح الحكومة المركزية إلا بموافقة رئيس الجمهورية الذى ينظم من وقت لآخر العلاقة بين المجلس التنفيذى العالى والوزارات المركزية^(٣).
- ٢ - حق اقتراح اصدار مشروعات القوانين فى مجلس الشعب الاقليمى^(٤).
- ٣ - اعداد موازنة لمواجهة نفقات الخدمات والأمن والإدارة والتنمية الاقليمية وفقاً للخطط والبرامج القومية^(٥).

(د) العلاقة بين السلطين التشريعية والتنفيذية الاقليميتين :

تبدو صورة العلاقة بين مجلس الشعب الاقليمى والمجلس التنفيذى العالى على النحو الآتى :

- ١ - رئيس واعضاء المجلس التنفيذى العالى مسئولون أمام مجلس الشعب الاقليمى عن الادارة الرشيدة لاقليم جنوب السودان إلى جانب مسئوليتهم أمام رئيس الجمهورية^(٦).

(١) المادة ١٦ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٢) المادتان ١٨ و ١٩ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٣) المادة ٢٢ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٤) المادة ٢٨ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٥) المادة ٢٥ فقرة ٢ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٦) المادة ٢٠ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

٢ - لرئيس واعضاء المجلس التنفيذي العالى حق حضور اجتماعات مجلس الشعب الاقليمى والاشتراك فى مداولاته دون أن يكون لهم حق التصويت إلا إذا كانوا اعضاء فى مجلس الشعب الاقليمى^(١).

ومهما يكن من أمر فقد كرس قانون الحكم الذاتى الاقليمى لاجنوب ذاتية الجنوب المتميزة فى عدة أمور منها على سبيل المثال اعتبار اللغة الانجليزية لغة رئيسية لاقليم جنوب السودان وذلك مع عدم المساس باستعمال اللغات الاخرى رغم النص على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للسودان الموحد^(٢) ، ومنها على سبيل المثال أيضاً تعيين مدينة « جوبا » عاصمة لاقليم جنوب السودان ومقر للهيئتين التشريعية والتنفيذية للاقليم^(٣) ، ومنها على سبيل المثال ثالثاً أن يشكل مواطنوا اقليم جنوب السودان نسبة من مجموعة قوات الشعب المسلحة وذلك باعداد تتناسب والحجم السكانى لاقليم جنوب السودان^(٤).

(١) المادة ٢١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٢) المادة ٥ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٣) المادة ٢٣ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٤) المادة ٢٦ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

المؤتمر الدولي الثالث للافريكانيين

بقلم الاستاذ الدكتور محمد السيد غلاب

عميد معهد الدراسات الافريقية

وجهت جامعة هوفر الامريكية بالاشتراك مع مكتب المؤتمر الدولي للافريكانيين الدعوة لعقد المؤتمر الثالث في أديس أبابا في الفترة بين ٩ - ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ ، وقد لبي الدعوة حوالي ثلاثمائة عضو يمثلون عشرين دولة معظمها دول أفريقية ثم دول أوروبية ثم دولتين أمريكيتين هي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودولة أسوية واحدة هي كوريا الجنوبية ولم يحضر المؤتمر دول أفريقيا ذات الحكم العنصرى .

ويلاحظ في تمثيل الدول المختلفة أن أكبر الوفود على الاطلاق هو وفد الولايات المتحدة الأمريكية الذى تكون من ٧٧ عضواً ، منهم من يمثل الجامعات ومنهم من يمثل مراكز الابحاث في وزارة الخارجية الأمريكية ، كما أن الولايات المتحدة أرسلت بعض المندوبين من الملونين وأن لم يكونوا من ذوى المكانة العلمية المطلوبة ويأتى بعد وفد الولايات المتحدة من حيث العدد وفد بريطانيا ثم وفد فرنسا ثم وفد الاتحاد السوفيتى ثم وفد هولندا ، فهذه وفود أوروبية كبيرة العدد ذات وزن علمى . ومن الوفود الأوربية الأخرى وفود تمثل مراكز ومعاهد دراسات أفريقية ، مثل وفد بولندا وفد السويد وفد إيطاليا ، وفد المجر وفد يوغوسلافيا .

أما من المنطقة العربية فقد مثلت مصر والسودان والمغرب والجزائر فقط . كما أن وفد إسرائيل الذى أرسل إبحاثا للمؤتمر فلم يحضر المؤتمر . والملاحظ أن التمثيل العربى ضئيل لا يتناسب مع مكانة الأمة العربية في أفريقيا . فمصر يمثلها ثلاثة أعضاء والسودان يمثلها عضوان والجزائر يمثلها عضو واحد والمغرب يمثلها

عضو واحد حضر بدعوة خاصة بصفة عضواً من المكتب . أما ممثل الصومال فكان ملازماً للوفود العربية باستمرار .

وقد مثل مصر عميد معهد الدراسات الافريقية بصفته الممثل الرسمي لجمهورية مصر العربية ، وتشكل الوفد في أديس أبابا نفسها إذ تقابل مع الأستاذ الدكتور عبد الملك عوده مساعد رئيس الأهرام والأستاذ غير المتفرغ بالجامعة ، والأستاذ الدكتور على كامل أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة عين شمس الذي دعى لالقاء بحث في الجزء العلمي من المؤتمر .

وكان لكل وفد صوت واحد عند التصويت . وكان حضور جلسات المؤتمر الختامية مقصوراً على أربعة فقط من كل وفد .

عقد المؤتمر في قاعة أفريقيا بادييس أبابا . وهي قاعة مشهورة تضم أيضاً اللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، وقد شهدت عدة مؤتمرات إفريقية سياسية واقتصادية ، منها المؤتمر العاشر لمنظمة الدول الافريقية في العام الماضي وهي معدة خصيصاً لأغراض المؤتمرات ، ومزودة بسماعات تنقل للمستمع الترجمة الفورية للغة الفرنسية والإنجليزية وتسمع للأعضاء بالحركة المريحة أثناء شهود الجلسات ، كما تسمع لهم بمغادرة القاعة أو دخولها دون أحداث أى اضطراب في سير الجلسات .

وقد افتتح المؤتمر صاحب الجلالة هيلاسلاسي الأول امبراطور أثيوبيا بكلمة ألحها باللغة الامهرية واذيغت ترجمتها الفورية كما وزعت هذه الترجمة فيما بعد ، وقد لاحظ جلالة الامبراطور أن معظم أعضاء المؤتمر من الافريقيين وأن معظم الابحاث المقدمة للمؤتمر باقلام الإفريقيين ، وهذا على عكس المؤتمر الأول الذي عقد في أكرا عام ١٩٦٢ أو المؤتمر الثاني الذي عقد في داكار عام ١٩٦٦ . وقال الامبراطور أنه قد حان الوقت الذي يطرح فيه الافريقيون دور التابع في مناقشة مسائلهم ، ويمثلون دور الاصيل وياخذون مصيرهم في أيديهم يدرسون بانفسهم ويقررون لأنفسهم ، كما لاحظ الامبراطور في كلمته أن عدد المشتركين في المؤتمر أكبر من عددهم في المؤتمرين السابقين ، وهذا دليل على ازدياد وعي الافريقيين بمشاكلهم وزيادة تقدمهم وأخذهم بأساليب البحث والعلم الحديثين .

وأشاد الامبراطور بدور العلم وأهميته في معالجة مشاكل القارة ، وأهمها مشاكل الفقر والجهل والمرض . وقال أن البحث العلمي وحده هو الكفيل بحل مشاكل التنمية .

ثم ألقى الدكتور على مزروعى الأستاذ السابق بجامعة مكريرى والأستاذ حالياً بجامعة هوفر كلمة مكتب المؤتمر . فقال أن أول مؤتمر عقد في أكرا عاصمة فكرة الدعوة الافريقية ، وأن المؤتمر الثانى عقد في داكار عاصمة فكرة الزنجانية أما المؤتمر الحالى فيعقد باديس أبابا عاصمة من يقوم بالوحدة الافريقية .

ولاحظ أن أعرق دولتين في أفريقيا كانتا تولىاظهرهما للقارة ، وهى مصر وأثيوبيا . أما فى مصر فقد قام جندى هو جمال عبد الناصر بدعوة مصر لتأخذ دورها الافريقى وفى أثيوبيا أقام الامبراطور هيلاسلاسى الأول بالدعوة الافريقية فى بلاده . وبذلك عادت أعرق دولتين أفريقيتين ، وهما مصر وأثيوبيا . ودعا لأن يهتم المؤتمر بأبحاث التغلب على مشاكل الجفاف ، ويخفف آلام الاثيوبيين الذين يعانون من ويلات الطبيعة وتقيرها عليهم بالمطر اللازم مما أدى إلى انتشار المجاعة . الضيافة .

وكان آخر المتحدثين فى جلسة الافتتاح ممثل منظمة اليونسكو التى ساهمت فى تكاليف المؤتمر ، وذكر أن اليونسكو لم تقم بشيء يذكر فى ميدان الدراسات الافريقية . ومما هو جدير بالذكر أن اليونسكو ومؤسسة فورد كانتا أكبر مساهمتين فى نفقات المؤتمر . أما أثيوبيا فقد قدمت المكان وساهمت بشيء من نفقات الضيافة .

وتنقسم أعمال المؤتمر إلى لجان خمس هى : اللجنة التاريخية ، واللجنة الاقتصادية واللجنة السياسية واللجنة الثقافية واللجنة الاجتماعية واللجنة العلمية . وكانت جلسات المؤتمر أو جلسات اللجان تعقد على فترتين ، الفترة الصباحية من الساعة التاسعة إلى الساعة الواحدة بعد الظهر والفترة المسائية من الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة بعد الظهر .

ولما كان عدد أعضاء الوفد المصرى صغيراً ، فقد ضم إليه السيد عادل الحضرىسكرتير ثان بالسفارة المصرية . وحرص أعضاء الوفد على حضور أغلب جلسات اللجان الخمس وتابعوا باهتمام أعمال اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ، كما حضروا بعض جلسات اللجنة التاريخية والاجتماعية . وألقى الاستاذ الدكتور

محمد السيد غلاب بحثاً في اللجنة السياسية عن نشأة وتطور الدولة في إفريقيا الشمالية .

وتم طبع الأبحاث التي أقيمت في المؤتمر وكانت توزع على الأعضاء تبعاً .

وتخلل أعمال اللجان المتخصصة ، اجتماعات عامة أقيمت فيها محاضرات عامة هي : التاريخ الإفريقي ، والعلم وإفريقيا ، ومن الموضوعات التي لقيت اهتماماً خاصاً موضوع إسرائيل والعنصرية البيضاء في إفريقيا ، وموضوع الاشتراكية الإفريقية ، وموضوع الحكم العسكري في إفريقيا . وموضوع الفدرالية في إفريقيا . وناقش المؤتمر في لجنة خاصة موضوع الجفاف في إفريقيا .

واشترك في المؤتمر علماء عديدون عملوا خلال اللجان المختلفة ، مثل علماء الجغرافيا والانتروبولوجيا والميكروبيولوجيا .

ومن الاتجاهات الهامة التي برزت في المؤتمر ضرورة إعادة كتاب تاريخ إفريقيا ، من وجهة نظر إفريقية ، فالتاريخ الإفريقي كتبه أوروبيون وغيرهم من خارج القارة ، ولا يزال هذا التاريخ ينتظر من يكتبه من تاريخ إفريقيا نفسها . وضرورة دراسة المجتمعات الصغيرة العديدة في إفريقيا الزنجية ، وما تحمله من قصص شعبي هو سجل حقيقي للتاريخ الإفريقي ، وبعبارة أخرى تخلص التاريخ الإفريقي من قبضة الاستعمار Decolonization of African History والتخلص من الاعتماد على الوثائق المكتوبة ، وربط التاريخ الإفريقي بالشعوب الإفريقية (الانتروبولوجيا) وبعصر ما قبل التاريخ .

وقد دعا صاحب هذا المقال في بحثه إلى مثل هذا فيما يتعلق بتاريخ غرب إفريقيا بصفة خاصة .

كما برز في المؤتمر تعاطف الدول الإفريقية مع مصر في قضيتها ، ودمج إسرائيل بالعدوان والعنصرية ، وأوجه التطابق بين العنصريين في جنوب إفريقيا والامبرياليين في جنوب إفريقيا أيضاً وبين إسرائيل .

وفي أثناء المؤتمر ألقى بحث للدكتور علي مزروعى في جامعة هيلاسلاسى الأول عن إفريقيا والشرق الأوسط والزيوت . قال فيه أن تكتل دول الشرق الأوسط

العربية ووضع قيود على تصدير بترولها يعادل في أهميته الهزيمة التي ألحقها اليابان بالأسطول الروسي عام ١٩٠٥ فاول مرة تستعمل قوى أسيوية أفريقية بفضل اتحادها سلاحا اقتصاديا استراتيجيا هاما ضد الولايات المتحدة والدول الضالعة مع اسرائيل . وأن هذه هي نقطة تحول كبرى في تاريخ العالم الثالث . ستبرز فيه دول الشرق الأوسط العربية قوة كبرى في العالم . وذكر أن الخطوة الثانية هي استخدام الارصدة العربية في تخفيض سعر الذهب ، وبذلك توجه هذه الدول سلاحا فتاكاً في صدر جنوب أفريقيا . وتنبا بأن لامكان لاسرائيل في المنطقة .

وتخلل المؤتمر يومان للرحلات الداخلية في أثيوبيا بعضها بالسيارة وبعضها بالطيارة :

وعقدت جلسة عمل ختامية لاعداد قرارات المؤتمر يوم الاثنين ١٣-١٢ . وفيه نوقشت قرارات المؤتمر تمهيداً لعرضها على أعضاء الوفود الرسمية للتصديق عليها .

وهذه القرارات هي :

- ١ - تغيير اسم المؤتمر إلى المؤتمر الدولي للدراسات الافريقية .
- ٢ - اختيار جامعة زائير مقرا للمؤتمر الدولي الرابع للدراسات الافريقية .
- ٣ - ضرورة الاهتمام بمشكلة الجفاف والقيام بمشروعات حفظ المياه وتخزينها لمواجهة ذبذبات المطر .
- ٤ - ادانة الاستعمار البرتغالي والتفرقة العنصرية .
- ٥ - ادانة احتلال الأراضي الافريقية بواسطة القوات الاجنبية وادانة ضم الأراضي بالقوة .

وكان هذا القرار الأخير بمجهود خاص من أعضاء الوفد المصري ومساندة الوفد السوداني والوفد الصومالي . وعند أخذ الاصوات عليه في الجلسة الختامية يوم الثلاثاء ١٤-١٢ نال موافقة الأعضاء جميعاً .

ويعتبر هذا المؤتمر ناجحاً تماماً من الناحية الأكاديمية ، فقد قدم له أكثر من ١٠٠ بحث جاد في ميادين الدراسات الافريقية المختلفة . وهو حصيلة ضخمة لعدد

كبير من العلماء ، كما أن مناقشاته اتسمت بالموضوعية والجدية وبتحرر الفكر والتقدمية .

كما عقد اجتماع فرعى لمديرى وعمداء معاهد الدراسات الافريقية الحاضرين فى المؤتمر ، تبادل فيه الحاضرون المعلومات عن معاهدهم ووسائل الدراسة والبحث فيها والمطبوعات التى تصدرها . وكان الحاضرون يمثلون : جامعة أوبسالا وبها معهد للدراسات الافريقية ، يدرس فيه من يحضر للدرجات الجامعية العليا . ويرسل البعثات الاركيولوجية والانثروبولوجية فى أقطار أفريقيا المختلفة ، ومنها بعثة حفائر التربة . وتدعو الباحثين من الخارج . كما ترسل طلبة لاجراء بحوث ميدانية فى أفريقيا .

ومعهد الدراسات الاثيوبية فى أديس أبابا وهو يعمل بالتعاون مع جامعة ميرابورز الامريكية . ويهتم بالبحوث الخاصة باثيوبيا نفسها . ويهتم بجمع التراث الكمنى الاثيوبى . ومشاكل البيئة لغرض التنمية .

ومعهد نيجيريا الذى تأسس عام ١٩٦٣ فى اكوروك بجنوب شرق نيجيريا . والقسم الافريقى بجامعة لايبزج (المانيا الشرقية) . وهو جزء من معهد الدراسات الشرقية ، وهو متعدد الاهتمامات ويدرس اللغتين السواحلية والهاوسا .

ومركز الدراسات الافريقية الآسيوية فى هونغارييا . وتأسس فى بودابست سنة ١٩٦٠ . وهو نشط فى إصدار النشرات والدراسات ومعهد الدراسات الافريقية الآسيوية فى جامعة الخرطوم وقد تأسس سنة ١٩٧٢ . ورغم حداثة عهده فهو نشط فى إصدار النشرات الاعلامية عن نفسه .

ولم يحضر الاجتماع ممثلو معهد الدراسات الافريقية بالاكاديمية السوفيتية .

ومعهد الدراسات الافريقية فى جامعة نورث إيسترن بالولايات المتحدة ، ومعهد الدراسات الافريقية بجامعة وارسو . وقد تبنى مديره الدعوة إلى تنظيم اجتماعات وندوات خاصة بعمداء ومديرى هذه المعاهد .

كما حضرته ممثلا لمعهد الدراسات الافريقية فى مصر . وبمقارنة معهدنا هذا بالمعاهد الأوربية

أو الأمريكية أو الأفريقية ، نجد أنه لا ينقصه إلا الاعتمادات اللازمة للنشر من ناحية وللأبحاث الميدانية من ناحية أخرى . ورغم هذا فهو أكثر إنتاجا من الناحية الأكاديمية وأكثر جدية في العمل من كثير من مراكز البحث الأخرى .

وفي النهاية فاني ادعو إلى ضرورة الاهتمام بالاشتراك في أمثال هذه المؤتمرات الدولية بعدد أكبر وأكثر تنوعا من المشتركين حتى يمكن تنظيم كافة أعمال اللجان المختلفة والتخصص فيها . وتوفير الاعتمادات اللازمة لذلك ، والاتصال بالهيئات المنظمة لهذه المؤتمرات في وقت سابق .

وختاما أود أن اسجل أن الوفد المصري قدم ثلاثة أبحاث ، أحدها عن الجغرافيا السياسية لغرب أفريقية (غلاب) والثاني عن العلاقات المصرية الأفريقية في العصور الوسطى (شوقي الجمل) والثالث عن تخطيط المدن الأفريقية (على كامل) .

وقد طبعت هذه الأبحاث ووزعت ضمن أعمال المؤتمر . وقد نوقش منها بحثان هما بحث كاتب هذا المقال وبحث الدكتور على كامل . ولم يناقش بحث الدكتور شوقي الجمل لعدم حضوره المؤتمر .

كما استطاع الوفد المصري وضع قرار إدانة العدوان الأجنبي على الأراضي الأفريقية وضمها بالقوة :

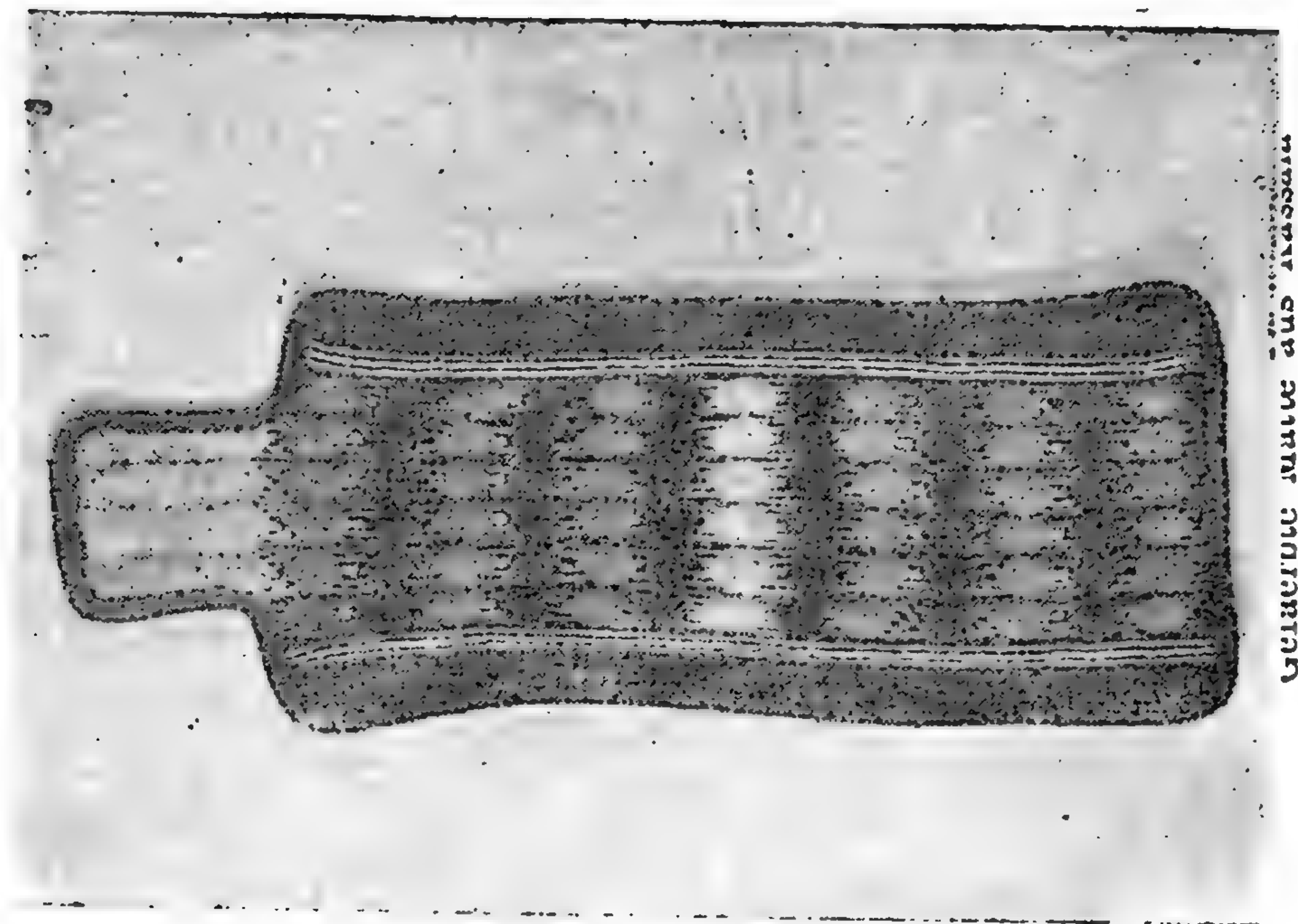
محمد السيد غلاب

عميد معهد الدراسات والبحوث الأفريقية

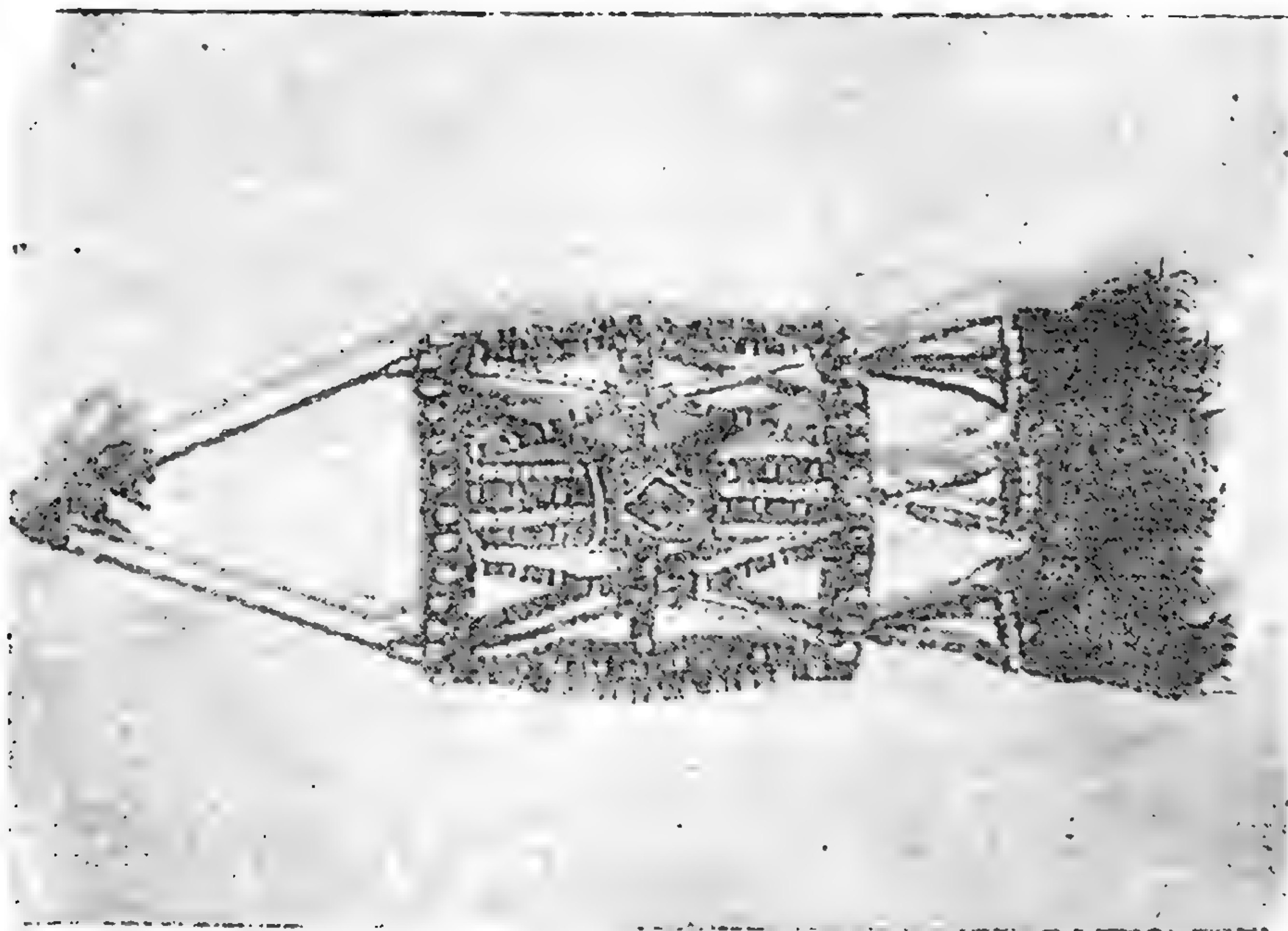
جامعة القاهرة

تم الطبع بالمراقبة العامة لطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعى

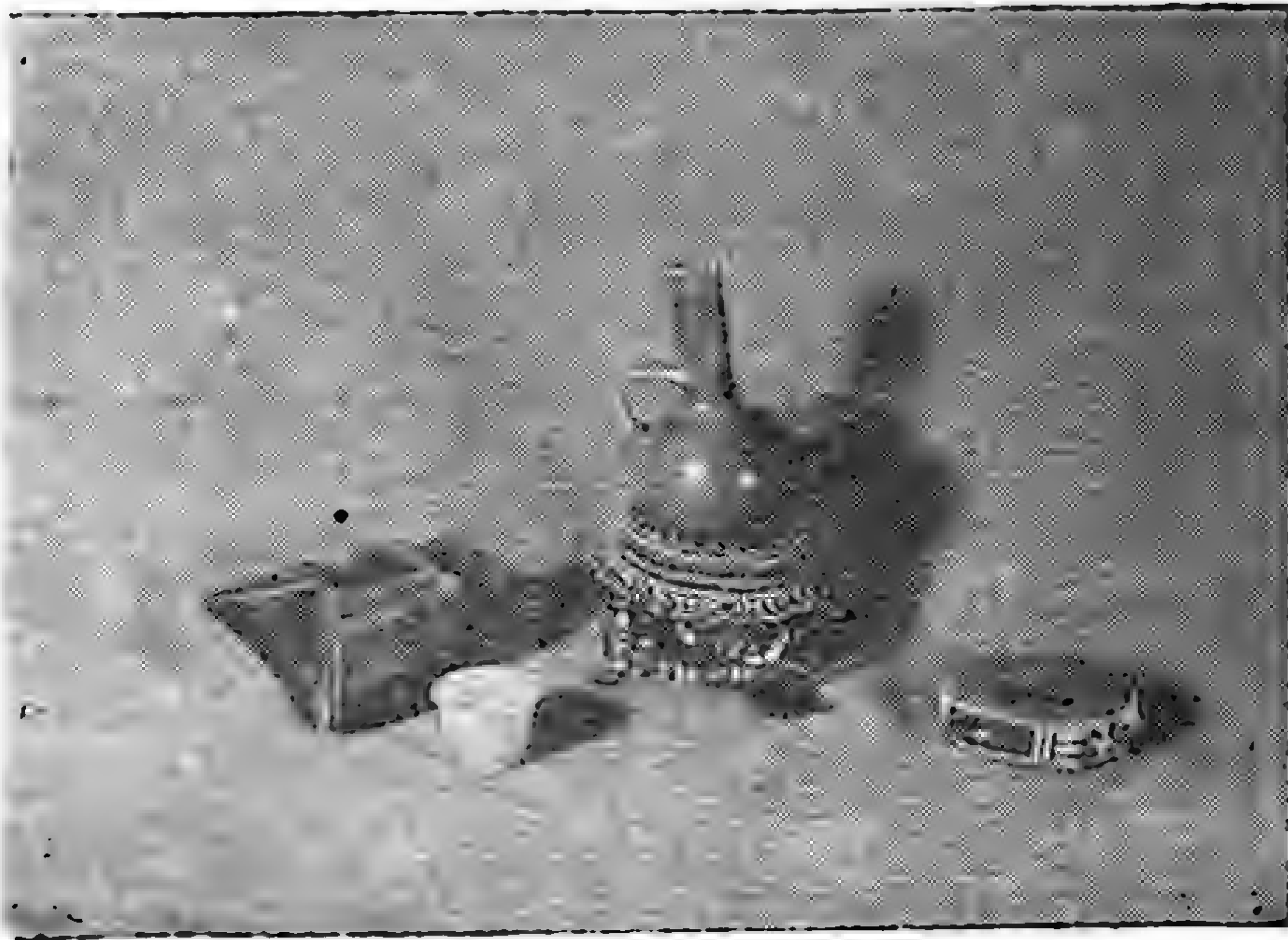
المراقب العام
على محمد حسن اسماعيل



Geräusch aus dem

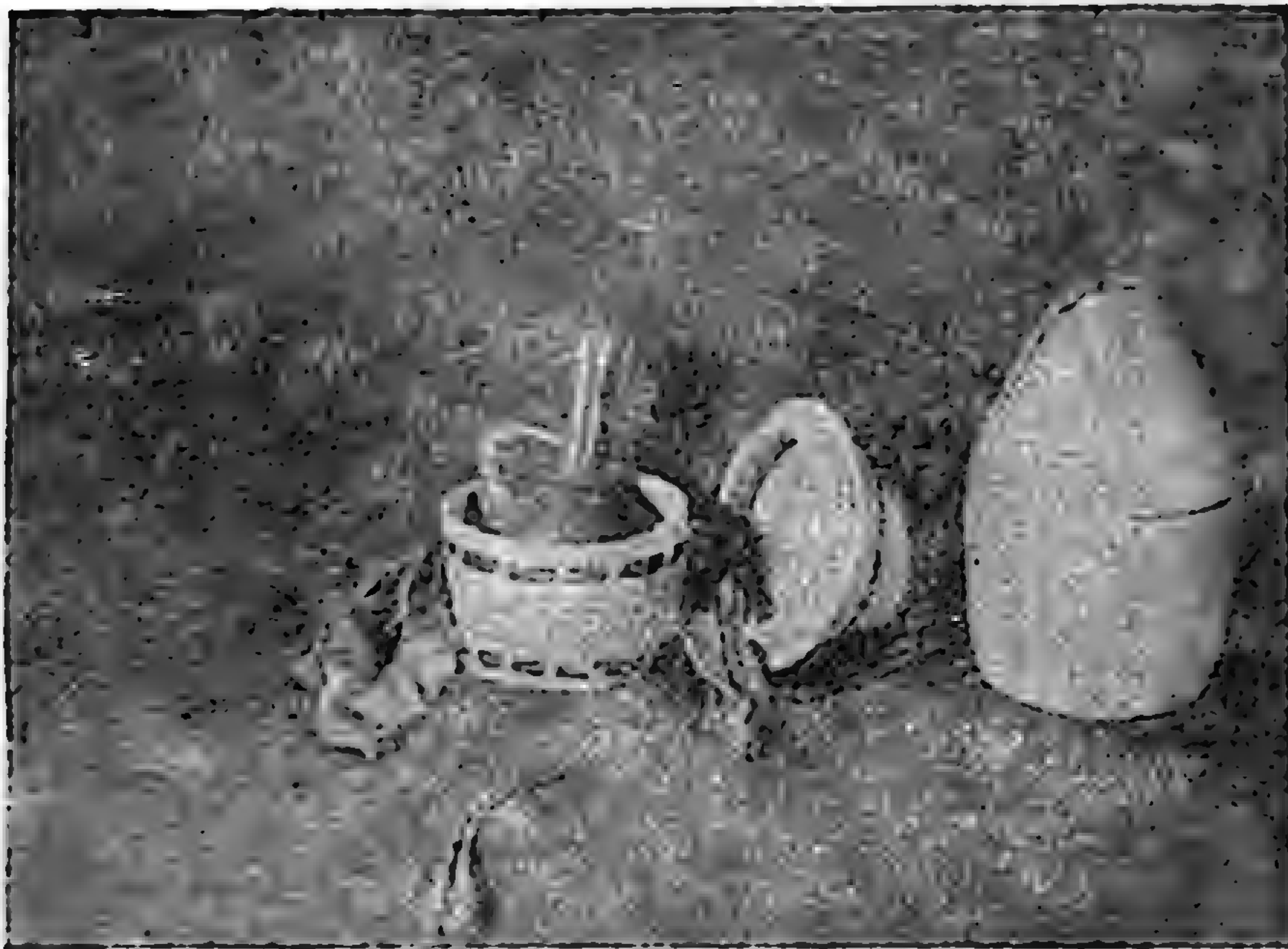


Zierrahmen



Utensilien zur Kaffeebereitung

1. Kaffeekanne aus Ton (Gabana) genannt. 2. Holzernes Kannchen mit Sieb
3. Kaffee-Trinkschale. 4, 5. Geflochtener Strohring als Untersatz fuer die
Tonkanne.

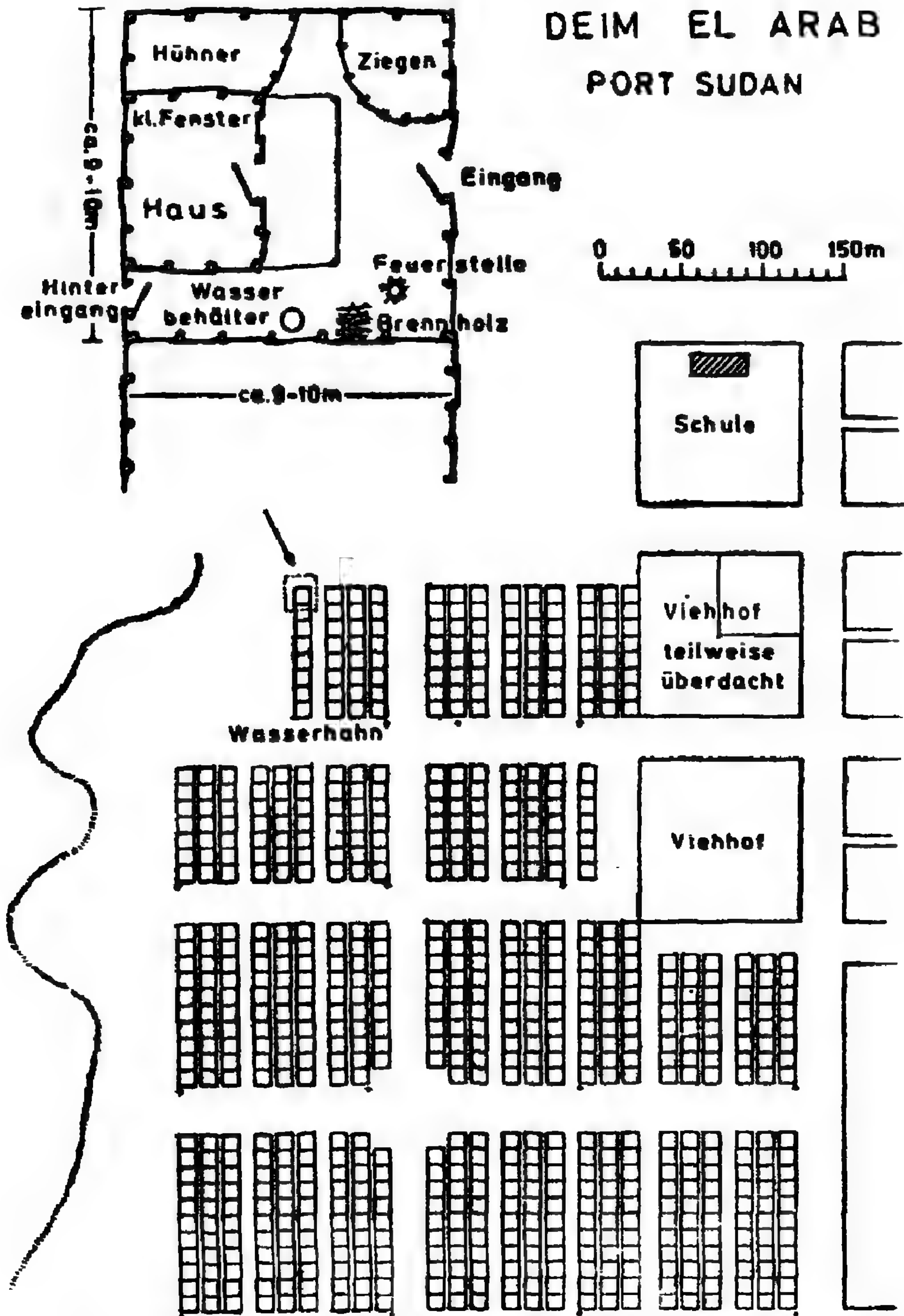


1. Geflochtener Korb zur Aufbewahrung und zum Transport der Kaffeekanne
aus Ton. 2. Holzbehälter mit Deckel, zum Transport und zur Aufbewah-
rung der Tonkanne.

gießt man noch drei - oder viermal kochendes Wasser. Dem Kaffee wird uebrigens gemahlener Ingwer zugesetzt, um dem Getraenk einen besonere scharfen Geschmack zu geben.

LITERATURVERZEICHNIS

CHUKAIR, Naum : Tarikh el-Sudan, Kairo 1903.



Butterschmalz, das nicht nur fuer den Hausbedarf, sondern auch zum Verkauf hergestellt wird, bereiten die Frauen zu. Sie fuellen Milch in gegerbte Ziegenhaeute und schuettern sie so lange, bis sich die Butter abgesetzt hat. Diese Butter wird gekocht und zum Verkauf in Glasflaschen, zum Hausgebrauch in Kuerbisschalen abgefüellt.

Diejenigen Hadandawa, die in der Naehel einer Staedt wohnen, backen heute auch das sudanesishe *Brot*, das "Kisra" genannt wird. Sie bereiten es aus Hirsemehl. Zunaechst wird die Hirse grob geschrotet, dann auf dem Mahlstein mit Wasser vermischt und fein gemahlen. Die fluessige Masse wird mit einer Tasse auf eine eiserne Platte ueber dem Feuer gegossen (s. oben : Feuerstelle). Das Brot wird mit gekochtem Fleisch gegessen ; einige Hadandawa essen heute auch Gemuese dazu.

Im Sueden des Hadandawa-Gebietes backt man eine andere Art von Brot, das im Kanisterofen (s. oben : Feuerstelle) zubereitet wird. Dazu verwendet man Hirseteig, der mit Asida vermischt und zu kleinen Laiben geformt wird, Welche man innen an die Kanisterwand klebt. Das fertige, noch warme Brot essen die Hadandawa mit Milch und Butter oder mit gekochtem Fleisch.

Die *Gemuesesorten* der in Stadtnaehel lebenden Hadandawa sind Huelsenfruechte, Tomaten, Auberginen, Kuerbisse, Spargelkuerbisse, "Bamia" (Hibis L.) und "Mulukhiya" (corchorus oliterius L.) Das Gemuese wird zusammen mit in Butter geroesteten Zwiebeln sowie mit Tomaten-saft und Wasser gekocht. Dazu fuegt man noch die gewuerze "Schatta" (capsicum conicum mey, eine Pfefferart), gewoehnlichen Pfeffer, Kuemmel, Koriander und Salz.

Als *Hauptgetraenk* der Hadandawa gilt der *Kaffee*, "Gabana", der uz jeder Tageszeit getrunken wird. Die Zubereitung nimmt verhaeltnismaessig viel Zeit in Anspruch ; denn die Kaffeebohnen werden jedesmal frisch geroestet und anschliessend sehr fein gemahlen. Das Roesten der Bohnen geschieht auf folgende Weise : Man legt sie in eine mit zwei Griffen versehene Holzschale (s. oben : Kuechengeruet) und gibt gluehende Kohlen dazu. Dann wird die Schale hin- und hergeschuettert, bis die Bohnen gebraeunt sind. Nachdem man die Kohlestuecke mit einer Zange entfernt hat, werden die Bohnen in einem Tuch abgerieben. Haeufig roestet man Kaffee auch in einem Blechkaennchen auf dem Kanisterofen. In einem hoelzernen Moerser werden die Bohnen sofort anschliessend mit einem metallenen oder steinernen Stoekel fein zerstampft. Waehrenddessen kocht schon das Wasser in einem Blechkaennchen. Mit dem Wasser wird der gemahlene Kaffee in einem Holz- oder Blechkaennchen ueberbrueht. Beim Ausgieessen der Fluessigkeit aus diesem Kaennchen verhindert ein Sieb aus Palmfaser, welches im Asugub steckt, daes Kaffeesatz in das Tonkaennchen gelangt. Gabana wird aus sehr kleinen Tassen getrunken. Ueber den zurueckgebliebenen Kaffeesatz

Die Tasche wird verschlossen, indem man die drei kleinen Klappen durch eine große ueberdeckt. Durch zwei Lederoesen an beiden Seiten sind zwei rote Baumwollkordeln gezogen, die verknotet werden.

5. Die Nahrung und ihre Zubereitung :

Die wichtigsten Nahrungsmittel der Hadandawa sind Hammelfleisch, Milchprodukte und eine Hirseart, *andropogon sorpghum*, "Dukhn" genannt.

Morgens essen die Hadandawa "Belila", das sind gekochte *Hirse*-Koerner. Man gibt die Hirse in kochendes Wasser und laeBt sie aufquellen. Die weichen Koerner mischt man entweder mit Milch ode mit Zucker. Die Mahlzeit wird gegen sieben Uhr eingenommen.

Ihre Hauptmahlzeit essen die Hadandawa nachmittags, und zwar gegen 18 Uhr, wenn die Maenner nach Hause zurueckkehren. Das Getreide fuer diese Mahlzeit wird jeden Tag frisch gemahlen. Kochendem Wasser setzt man unter staendigem Ruehren langsam das Hirsemehl zu, bis ein dicker Brei entsteht. Das dauert nur einige Minuten, und die fertige "Asida" wird in einer Schuessel mit Milch, Butter und Zucker oder mit gekochtem Fleisch vermengt. Am haeufigsten iBt man "Asida mit Fleisch oder Sauermilch. Belila und " Asida gehoeren zur taeglichen Nahrung aller Hadandawa, ob sie im Gebirge, in Doerfern oder in der Naehe der Staedte wohnen.

Das Fleisch wird von Maennern zubereitet. Esist gewoehnlich *Hammelfleisch*. Meist schlachtet jeder Mann fuer seine eigene Familie und kocht das Fleisch in Wasser ab. Ein Hammel ernaeht eine Familie fuer zwei oder drei Tage. Auf dem Markt gibt es besondere Fleischbrater, bei denen die Maenner meist ihre Mittagsmahlzeit einnehmen. Die Bratkuechen verkaufen eine bestimmte Bratensorte, "Salat" genannt. Hadandawa-Salat ist im ganzen Sudan bekannt und wird nur aus Hammelfleisch zubereitet. Der dabei benutzte Ofen besteht aus einer Metallschuessel, die zur Haelfte mit Kohlen gefuellt ist. Auf die Kohlen legt man saubere Steine. Sobald diese Steine gluehen, schneidet der Koch das Fleisch in kleine Stuecke, wascht es und wuerzt es mit Pfeffer, Kuemmel und Salz und laeBt es vier bis fuenf Stunden auf den heiBen Steinen garen. Jede halbe Stunde erneuert er das Feuer und wendet er das Fleisch.

Nur zu bestimmten Anlaessen, z.B. bei einer Heirat oder einem Begraebnis, werden *Rinder* geschlachtet, und man bereitet das *Fleisch* fure Mahlzeiten zu. Diejenigen Hadandawa, die in oder bei Staedten leben, kaufen auch manchmal Rindfleisch, lassen es trocknen und bewahren es als Konserve auf. Die nomadisierenden Hadandawa dagegen verwenden nie Rindfleisch fuer ihre taeglichen Mahlzeiten.

auf dem Markt gekauft. Die fertige Dilka wird nochmals erhitzt und auf den Koerper aufgetragen. Dies geschieht in einer Ecke des Wohnraums, wo sich eine Grube befindet, in der Akazienholz verbrennt. Mit Oel eingerieben und mit einer Decke umhuellet, setzt sich die Frau vor das Feuer und laeBt den Rauch an sich vorbeiziehen. Nach diesem Schwitzbad kuehlt sie ihren Koerper langsam ab und reibt sich mit Dilka ein. Sie laeBt das Mittel einziehen und auf dem Koerper trocknen. Die noch auf der Haut haftenden Reste schabt sie schließlich ab. Das Einreiben mit Dilka soll sich medizinisch guenstig auswirken. So schreibt z. B. Na'um Schukair[1], daB Dilka die Haut pflegt und die Transpiration des Koerpers mindert.

Jede Handandawa-Frau traegt so viel *Schmuck* wie nutr eben moeglich. Meist besteht dieser Schmuck aus Gold. So befestigen verheiratete Frauen einen goldenen Ring vorne im Haar. Dieser Ring gilt als Ehering, wird aber erst nach der Geburt eines ersten Kindes angelegt. Als Kopfschmuck tragen die Frauen eine Art Netz, das aus vier Reihen aufgefaedelter Goldmuenzen und aus Ketten von Perlen, Muscheln und Gloeckchen besteht. Am Hinterkopf haengen zwei Quasten herab. BroeBe Ringe aus Gold werden ferner an der Ohrmuschel befestigt. Durch die Nasenfluegel steckt man kleine oder groeBe goldene Ringe. Den Hals schmuecken kleine, aus Gold und Perlen gefertigte Ketten, auBerdem ein sehr langes, bis auf die Brust herabhaengendes Geschmeide aus Goldmuenzen. GroeBe Halsketten werden nicht nur aus Gold, sondern auch aus Perlen und Muscheln hergestellt. Die Frauen tragen auBerdem silberne Armaender (komat) und einen FuBreif (aklil) aus dem gleichen Material. Armbaender bestehen aber nicht nur aus Silber ; es gibt auch solche aus doppelten Lederriemen, die mit aufgereiheten Glasperlen umwunden sind. Oft ist der Armschmuck auch aus mehreren Glasperlenschnueren geflochten. Neben dem Perlenschmuck, welchen die Frauen selbst anfertigen, gibt es neuerdings Fabrikware, die auf dem Markt gekauft wird, z. B. Armreifen aus verschiedenfarbigem Kunststoff. Fuer den Oberarm verwendet man etwa Reifen aus weiBem Plastik mit schwarzen Kreismustern.

Zur Tracht der Frau gehoert Much eine *Geldtasche*. Die Boerse wird aus naturfarbenem feinem Ziegenleder hergestellt, dessen aeueBere, sichtbare Seite eine orange Toenung hat. Die fast quadratische Tasche ist an beiden Seiten mit schwarzen Lederstrefen kunstvoll verziert, die ein Flechtmuster bilden. Innen besitzt die Geldboerse drei Faecher, die je eine Klappe haben

(1) Schukair, 1903, S. 211.

und ueber Ruecken und Kopf wieder zurueck ueber die andere Schulter, so daB es ueber der Brust herabhaengt. Unter diesem Kleidungsstueck traegt die Frau eine Art Rock und eine Weste, diese Weste jedoch nur an bestimmten Feiertagen.

Ihre *Haare* flechten die Hadandawa-Frauen zu sehr kleinen Zoepfchen, die ganz dicht beieinander liegen. Als Kamm benutzen sie eine eiserne Nadel, die in einem Holzgriff steckt. Die Haare werden nie geschnitten und nur einmal im Monat gekaemmt. In die Haare reiben sich die Frauen Fett oder Oel, auBerdem geriebenen Ton mit Parfuem und Weihrauch. Diese Kosmetikstoffe werden in zwei Holzschalen, die durch einen Steg miteinander verbunden sind, aufbewahrt. In die eine Schale gibt man Fett oder Oel, in der anderen werden geriebener Ton mit Parfuem, Weihrauch und Fett vermengt. Dieses Gemisch reiben sich die Frauen gegenseitig in die Enden ihrer Zoepfe. Ueberhaupt helfen sie sich gegenseitig bei der Haarpflege.

Ihre *Augenschminke* verwahren die Frauen in einem Holzflaeschchen, das mit farbigen Perlschnueren umwickelt ist. Mit einem griffelaehnlichen Aluminiumstab tragen sie die Farbe auf ihre Unterlider auf.

Die Hadandawa-Frauen verbringen viel Zeit mit ihrer Koerper- und Schoenheitspflege. Alle 14 Tage legen sie z. B. "*Henna*" auf. Dies ist ein Pulver, das aus den getrockneten Blaettern und Stengeln einer gleichnamigen Pflanze (*lawsonia inermis*) gewonnen wird. Das Henna kaufen die Frauen auf dem Markt verruehren es mit Wasser und verschiedenen Duftstoffen zu einer breiigen, klebrigen Masse. Auf ihre Handflaechen und die aeuBersten Fingerspitzen, ebenso auf die FuBsohlen und Zehen zeichnen sie verschiedene Muster, die mit der Henna-Masse bedeckt werden. Waehrend eines ganze Nachmittags laeBt man das Ganze trocknen. Wenn dann am Abend Haende und FueBe gereinigt werden, hat die Henna schwarze muster auf der Haute hinterlassen. Diese Prozedur wird an drei aufeinanderfolgenden Nachmittagen, an denen die Frau nicht arbeitet, wiederholt.

Ein anderes Mittel der KoerperpflWge ist "*Dil'ka*", ebenfalls eine teigartige Masse, mit welcher die Frauen morgens und abends ihren Koerper einreiben. Einen Teil von Dilka stellen die Frauen selbst her. Sazu bereiten sie einen Teig aus Hirse, der in einem Topf aufs Feuer gesetzt wird. Auf diesen Topf stellen sie einen zweiten mit brennendem Weihrauch und Akazienholz, uftsich dem Hirseteig mit. Der mit Duft versetzte Brei wird dann noch zusaetzlich mit einer Masse aus Mehl, Gewuerznelken, Weichsel-, Sandel- und Weihrauchholz vermischt. Diese Gewuerze hat man

jenigen Hadandawa, die unter einem religioesen Fuehrer leben oder zur Familie des Haeuptlings gehoeren, schneiden jedoch ihre Haare regelmae Big und tragen einen Turban. Der Turban besteht aus einer Muetze aus Baumwolle und einem Stueck weiBem Stoff, das etwa 1 m. lang und 20 cm. breit ist. Dieses Tuch wird ueber die Muetze und um den Kopf herum geschlungen.

Ein Mann fuehrt stets drei Dinge mit sich : ein Schwert, das zu seiner Verteidigung dient, einen Dolch, der in einem Ledergurt getragen und fuer die verschiedensten taeglichen Arbeiten verwendet wird, und einen Stock, mit dem er Schlangen vertreibt und Hunde wegstoeBt. Am rechten Oberarm traegt er eine kleine Lederschachtel, in welcher sich seine Amulette befinden. Seine FuBbekleidung besteht aus Sandalen, die heute aus alten Gummireifen hergestellt sind.

Bis zum Alter von 14 Jahren gehen die *Jungen* in Hemd und langer Unterhose. Erst danach legen sie die eigentliche Maennertracht an.

Kleine *Maedchen* tragen Kleidchen europaeischer Art, dazu ein Kopftuch. Wenn sie zehn Jahre alt geworden sind, beginnen sie, die vollstaendige Frauentracht anzulegen. Jungen und Maedchen bis zum Alter von neun bis zehn Jahren lassen ihre Haare wachsen. Erst danach rasiert man ihnen den Hinterkopf kahl, laeBt jedoch die uebrigen Haare stehen. Jungen und Maedchen gehen meist barfuss.

Frueher wurde allen Kindern im Alter von zehn Jahre eine *Stammes-tatauierung* im Gesicht angebracht. Sie bestand aus drei waagerechten Strichen, die mit einer gluehenden Klinge oder einem Nagel eingebrannt wurden. In die Wunde traefelte man eine Pflanzenfarbe, damit die Narbe eine hellblaue Farbe bekommen sollte. Das Anbringen einer Stammesmarke war unter allen Bedscha-Staemmen verbreitet. Heute betrachten die Einheimischen diese Sitte nicht mehr als schoen. Daher wird sie von der jungen Generation nicht mehr weiter gepflegt.

Die Kleidung der Hadandawa-Frau besteht aus einem groBen Stueck Stoff entweder aus Baumwolle oder aus Seide. Eine Tuchbahn von 12 Meter Laenge wird in zwei Teile geschnitten. Die beiden Bahnen naecht man dann an ihren Laengsseiten aneinander. Beliebte Farben sind Gruen, Orange gelb, Blau, Rot und Violett. Die Stoffe kaufen die Hadandawa uebrigens bei indischen Textilhaendlern in den groBen Staedten. Beim Ankleiden wird das groBe Tuch einmal rockartig um den unteren Teil des Koerpers gewickelt und vorne befestigt. Dann legt man das freie Ende des Stoffes nach hinten

schnur gezogen. Mit dieser Schnur lassen sich zwei seitliche Lederschlaufen ueber Spitze des Deckels zusammenbinden.

Zur Aufbewahrung von Butterschmalz benutzen die Hadandawa ausgehoehlte, getrocknete *Flaschenkuerbisse*. Auch Schoepfloeffel lfuer Milch bestehen aus solchen kleinen Kuerbissen, die in der Laengsrichtung durchgeschnitten, dann ausgehoehlt und getrocknet werden. Bei solchen halbierten Kalebassen bildet der Hals des Kuerbis, der leicht gebogen ist, den Griff. Die Hoehlung selbst hat einen Durchmesser von etwa 9,5 cm. und ist ca. 5 cm tief.

Die *MelkgefaeBe* der Hadandawa sind aus Palmblattstreifen geflochten. von innen mit Mehlbrei ausgestrichen, welcher das GefaeB wasserdicht macht. MelkgefaeBe haben die Form eines auf seiner Spitze stehenden Kegels. Unten sind sie von einem breiten Ring umschlossen, der als FuB dient. Die GefaeBe bleiben unverziert und haben die natuerliche, leicht gelbliche Farbe getrockneten Strohs. Solche Behaeltnisse werden zum Auffangen der Kuh- Ziegenmilch benutzt. Einige Hadandawa verwenden zum Melken heute auch Blecheimer, was aber sehr selten vorkommt.

Zum Aufbewahren von Tellern und Toepfen gibt es in den Hadandawa-Haeusern eine besondere *Haengevorrichtung*. Sie besteht aus einem Ring aus Palmblattstreifen, der an den Enden zweier sich kreuzender Baender befestigt ist. Im Kreuzpunkt der Baender wird eine Schnur angenaecht, mit welcher sich das Geraet an der Wand aufhaengen laeBt. In den fre schwebenden Reifen legt man die Toepfe bzw. Teller. Vom Ring, der selbst mit farbigen Faeden aus Ziegenwolle umwickelt ist, haengen als weitere Verzierung vier Wollquasten herab.

4. Kleidung, Schmuck und Koerperpflege :

Das wichtigste Kleidungsstueck der *Maenner* der Hadandawa ist ein grosses weisses Baumwoll-oder Battistuch. Dieses Tuch, das etwa eine Laenge von 9 m. besitzt, wickeln sie von einem Ende her um die Lenden, waehrend andere Ende ueber die Brust und die linke Schulter geworfen wird und lose ueber den Ruecken herunterhaengt. Es laeBt den groeBten Teil des Oberkoerpers und der Beine frei. Darunter tragen die Maenner lange weiBe Unterhosen. Die Reichen unter ihnen besitzen auBerdem noch ein langes weiBes Hemd.

Die meisten Maenner schneiden ihre Haare, die uebrigens nie gewaschen, aber eingefettet werden, nur alle zwei Jahre. Ihre Kaemme sind aus Holz und haben einen oder bis zu fuenf lange Zinken. Die eine Seite des Kamm-Griffs ist meist mit Recht- und Sechsecken schwarz bemalt. Die

Hals mit einem kleinen Ausguß. Vom unteren Drittel des Halses fuehrt ein geschwungener Griff zum Bauch.)

Ein geflochtener *Strohring*, der mit Lumpen umwickelt und mit rotem Stoff bezogen ist, dient als Untersatz fuer die Tonkanne. An der Außenkante des Ringes sind als Verzierung Ornamente aus verschiedenfarbigen Perlen aufgenaecht. Die obere und untere Begrenzung des Musters ist durch je eine Reihe abwechselnd schwarzer und weißer Perlen gekennzeichnet. Eine andere Art des Untersatzes sind *Drahtringe*, die auf einem stoffbespanntem Gestell ruhten. Auf den Stoff werden Perlen in vielen Farben genaecht. Am oberem Ring sind zusaetzlich zahlreiche Anhaenger aus Perlschnueren und Wollquasten angebracht.

Die *Kaffee-Trinkschalen* bestehen aus weißem Porzellan, das mit roten oder blauen Strichen handbemalt ist.

Zum Transport und zur Aufbewahrung der Tonkannen benutzt man im Norden aus Palmblaettern geflochtene *Koerbe*. Die naturfarbeneu Koerbe sind z. B. mit zwei dunkelbraunen Lederstreifen verziert. Der Deckel hat die Form eines bikonkaven Kegelstumpfes und ist ebenfalls geflochten und auf die gleiche Art verziert wie der Korb selbst. Um den Deckel auf dem Korb festzuhalten, sind an den Seiten zwei gruene, seidene Schlingen befestigt, die ueber der Spitze zusammengebunden werden koennen.

Im Sueden benutzt man zum Transport der Tonkannen dagegen hoelzerne unverzierte *Behaeltnisse* mit einem Deckel, der mit zwei Lederriemen am unzeierte *Behaeltnisse* mit einem Deckel, der mit zwei Lederriemen am Topf befestigt wird. Der Deckel ist Kegelfoermig, an der Spitze leicht abgestumpft und durchbohrt. Von zwei Seiten des unteren Teils des Gefaebes fuehren zwei schmale Lederriemen nach oben, die sich ueber dem Deckel zusammenknoten lassen und ihm so einen festen Halt geben.

Zur Aufbewahrung und zum sicheren Transport der *Trinkschalen* benutzt man im Norden ein geflochtenes *Strohkoerbchen* mit Deckel. Der Deckel ist kegelfoermig und unten mit einer braunen, gedrehten Ziegenwollschnur umnaecht. Von zwei Seiten des Koerbchens laufen ueber die Spitze des Deckels zwei Schlaufen aus Ziegenwolle. Ein dritter Wollfaden, an der Spitze des Deckels befestigt, wird durch die beiden Schlaufen so zusammengezogen, daB der Deckel des Koerbchens fest sitzt.

Im Sueden benutzt man fuer den gleichen Zweck *Holzdosen* mit Deckel. Der Deckel ist an der Spitze durchbohrt. Durch das Loch wird eine Leder-

einen oder zwei solcher Kochtoepfe, außerdem Schuesseln und Schalen aus Holz. Die *Tontoepfe* sind bauchige Gefaesse die etwa 6 cm. unter dem Rand drei knopfartige Griffe tragen. In diesen Toepfen kochen die Hadandawa Frauen ihre Hauptmahlzeit ("Asida"). Die *hoelzernen Schuesseln*, – aus dem man die zubereitete 'Asida ißt, sind ziemlich groß ; sie haben einen Durchmesser von ca. 35 cm.

Im ganzen Hadandawa-Gebiet wird noch heute der *Reibstein* verwendet. Er besteht aus zwei Teilen, und zwar dem eigentlichen Mahlstein und der Handwalze. Beide Teile sind aus dem gleichen Material gefertigt, einem Gestein von grauer Farbe mit kleinen schwarzen Flecken.

Außer dem eigentlichen Koch- und EBgeschirr gibt es noch die verschiedenen *Utensilien zur Kaffeebereitung*. Dazu gehoeren hauptsaechlich :

a) eine flache *Holzschale* mit Griffen von 17 cm. Durchmesser (Darin roestet man die Kaffeebohnen, in dem man sie zusammen mit gluehenden Kohlestuecken schwenkt. Haeufigen braeunt man sie aber auf einer *Blechplatte* auf dem Kanisterofen) :

b) ein *Moerser*, entweder Einfuhrprodukt aus dem Sued-Sudan aus hartem, roetlich-braunem Holz, den sich aber nur reichere Familien leisten koennen, oder ein kleiner geringerer Qualitaet, der von den meisten Hadandawa benutzt wird (Letzterer wird im Lande selbst aus Akazienholz von Maennern hergestellt. Die Kaffeebohnen zerkleinert man im Moerser mit einem *Eisen- oder SteinstoeBel*. Den eisernen StoeBel erwerben die Hadandawa als Einfuhrprodukt, und Stuecke dieser Art sind nur bei reicheren Familien im Gebrauch. Der Stampfer ist am unteren Ende kugelig ausgeformt. die meisten Hadandawa benutzen einen steinernen, etwa 15 cm. langen StoeBel.) ;

c) das *hoelzerne Kaennchen* mit Sieb (Es wird zum Kaffeeaufbruehen benutzt. Man schuettet Kaffeepulver in das Kaennchen und darauf das kochende Wasser. Dann wird der Kaffee in eine Tonkanne umgegossen. Beim Ausgießen des Kaffees verhindert das Sieb, daß der Kaffeesatz mit ausgeschuettet wird. Holzkaennchen besitzen oft eine rechteckige Form, auch der Innenraum ist rechteckig ausgehoeht. Sie haben einen halbrunden Henkel, der vom Boden bis zum oberen Rand des Kaennchens reicht. Der Ausguß ist schnabelfoermig. Heute sind Kaennchen aus Holz selten geworden ; statt ihrer benutzt man hauptsaechlich solche aus Blech.) ;

d) die *Kaffeekanne*, wie der Kaffee selbst "Gabana" genannt (Sie ist aus braunem Ton und hat einen kugeligen Bauch und einen langen, duennen

Schichten duenner Aeste ausgefuellt, die rechtwinklig uebereinander liegen. Das Bettgestell wird mit verschiedenen Arten von Matten, duennen und dicken, bedeckt. Es dient als Sitz- und Schlafgelegenheit sowie als Aufbewahrungsplatz fuer Haushaltsgeraete. In Betten dieser Art schlafen meist die Frau und die Kinder. Als *Kissen* dient ein laenglicher, flachgepreBter Lederschlauch, der bemalt und an den Schmalseiten mit je drei Lederfransen, heute auch mit Plastikschnueren verziert ist. Das Kissen wird von den Frauen mit wohlriechenden Basilienkraeutern gefuellt.

In allen Formen der Behausung, mit Ausnahme des Zelmes, gibt es noch ein *kleines Bett*, "Onnal" genannt. Es ist laenglich und hat vier dicke FueBe, auf die ein Rahmen aus Aesten genagelt wurde. Anstatt der duennen Aeste, die beim Inbagi-Bett den Rahmen ausfuellen, sind hier Seile verwendet. Ueber das Gestell wird eine Matte gelegt. In Betten dieser Art schlaeft der Hadandawa-Mann.

In den Wohnungen finden wir auch kleine *Stuehle*, die viereckig und etwa 30 cm. hoch sind und deren Sitzflaeche ebenfalls aus Seilen besteht. Nur in den Zelten fehlen Stuehle.

Eine jede Hadandawa-Familie besitzt mindestens fuenf *Matten* in verschiedenen GroeBen und Formen. Es gibt Matten, die als Sitzunterlage verwendet werden, und solche, die als Gebetsteppich dienen. Man verfertigt als Gebetsteppiche auch runde Matten. Runde Stuecke finden auBerdem als Untersatz fuer die getreidemuehle Verwendung. Im ganzen Hadandawa-Land sind die Matten aus ungefaerbten Palmblaettern hergestellt, auBer in der Naehel von Kassala, wo man die Blaetter orange, rot oder gruen einfaerbt. Dieses Faerben der Matten ist eine Tradition des Halenga-Stammes, von dem die Hadandawa diese Sitte im Laufe der Zeit uebernommen haben.

Die Siedlung Deim el-Arab bei Port Sudan bildet eine Ausnahme in der Art der Wohnungsausstattung. Dort gibt es Hadandawa, die zusaetzlich einen *Schrank* und ein *Regal* fuer Teller, Tassen, Glaeser und Toepfe besitzen. Diese Einrichtungsgegenstaende sowie auch die *Toepfe* und *Schuesseln* aus Aluminium, Kupfer und Eisenblech haben die Bedscha bei den Bewohnern der Staedte kennengelernt. Solche Moebel sowie Koch- und EBgeraete dieser Art kannte man frueher nicht. Aber heutzutage werden sie auch schon im Norden in der Naehel der Staedte benutzt.

Auf den Bergen im Nordteil des Hadandawa-Landes und in den Doefern im Sueden benutzt man hingegen noch immer die alten Kuechengerate, das heiBt Toepfe aus Ton und Schuesseln aus Holz. Jede Familie besitzt

des Kanisters. Danach wird die Feuerstelle mit Matten und Erde zugedeckt, Zuweilen benutzt man als. Feuersrelle zum Kochen auch einen Kanister, der nicht in die. Erde eingegraben ist. Dabei wird die geschlossene. Seite nach oben gestellt, auf der man dann. Kohle oder Holz verbrennt. Den Kochtopf setzt man direkt in das. Brennma'erial oder auf. Steine ueber einer. Feuergrube. Manchmal wird ueber die Feuerstelle auch eine. Eisenplatte gelegt, die auf zwei *gro Ben.* Steinen ruht. Die Platte ist quadratisch, und unter ihr wird ein. Holzfeuer entzuendet ,

Man faßt die gluehenden Holz- oder Kohlestuecke mit einer eisernen Zange. Sie ist meist an ihrer unteren Haelfte mit dreieckigen und halbrunden Kerben verziert. Die Schmalseiten, mit denen die Kohlen oder Holzstuecke festgehalten werden, sind zweimal tief eingekerbt, so daß drei Zacken entstehen. Um das Feuer anzufachen, verwendet man Faecher, die aus naturfarbenem Palmblattstroh schneckenfoermig geflochten sind. Ihre aeußere Kante wird mit einer Schnur aus Ziegenwolle umnaecht.

Im Hof gibt es auch einen Platz fuer Kleinvieh und Gefluegel. Oft befinden sich dort noch mehrere kleine Betten und Matten zum Sitzen.

Der *Innenraum des Hauses* ist bei allen Gebaeudetypen gleich eingerichtet und ausgeschmueckt. Er wird stets durch einen *Vorhang* in zwei Teile geteilt. Die Waende sind mit *Zierrahmen* geschmueckt, die entweder mit gewoehnlichem Tuch oder mit Stoff bespannt wurden, der mit Perlen und Muscheln besetzt ist. Und zwar bestehen Vorhang und Wandschmuck aus rotem Tuch, das auf Matten aufgenaecht wurde. An die Wand wird manchmal auch eine "Schamla" (Woldecke) gehaengt.

Das *Mobiliar* der Hadandawa ist sehr schlicht. Dabei erscheint die Ausstattung der Wohnungen hinsichtlich ihrer wichtigsten Elemente im ganzen Hadandawa-Gebiet gleich. sei es nun in den Wohnquartieren am Rande der Staedte, in den Siedlungen auf den Bergen oder in den Doerfern im Sueden, gleichgueltig auch ob es sich um Mattenzelte, Holzhaeuser oder Lehmziegelgebaeude handelt.

In jeder Wohnung findet man z. B. eine *große Bettstatt*, "Inbagi" genannt, die fuenf Meter lang, zwei Meter breit und einen Meter hoch ist. Dieses Bett ruht auf sechs dicken, 90 cm. hohen Aesten als Fueßen. Diese Aeste werden an den vier Ecken des Bettes in der Erde befestigt, außerdem ist eine Stuetze in der Mitte der Laengs-seite angebracht. Auf die Stuetzen werden vier Aeste als Rahmen genagelt, und dieser Rahmen ist mit zwei

Die *dritte feste Hausform* ist der kegelfoermige, sogenannte "Guttia" Typ" dessen Wand aus Lehmziegeln und dessen Dach aus Stroh bestehen. Das Guttia-Haus ist kein eigentlicher Bedscha-Typ, sondern die Bedscha uebernahmen es erst von den West-Afrikanern, die allerdings seit langer Zeit im Hadandawa-Land leben(1). Das im Grundriß kreisrunde Lehmziegelhaus hat einen Durchmesser von etwa 5 m. Die Wand ist etwa 2 m. hoch. Die Dachspitze hat eine Hoehe von ca. 2,50 Meter. Jedes dieser Gebaeude hat eine niedrige Tuer aus Holz oder Blech und ein sehr kleines Fenster, das Tag und Nacht offen bleibt. Beim Bau der Haeuser wird zuerst die Wand aus ungebrannten Ziegeln errichtet. Dabei laeßt man eine etwa einen Meter hohe Oeffnung fuer die Tuer und an einer Seite ein Loch fuer das Fenster. Danach wird das Dach aufgesetzt, das aus einer inneren Schicht von Zweigen und einer aeußeren von Stroh besteht. Diesen Haustyp findet man in allen Doerfern des Suedens. Auch er wird von den Maennern gebaut. Neben diesen Haeusern gibt es einen mit Stroh ueberdachten Platz zum Kochen und Sitzen, an dem sich aber auch die Tiere aufhalten.

3. Wohnungsausstattung und Hausrat(1) :

Alle Formen von festen Behausungen bestehen meist nur aus einem einzigen Raum und haben einen das Gebaeude umgebenden Hof. In einer Ecke des Hofes befindet sich der *Wasserbehaelter*. Zur Aufbewahrung des Wassers dient im Bergland des Nordens und in den Doerfern im Suedteil des Hadandawa-Gebiets ein Schlauch aus gegerbtem Ziegenleder. In den Wohnquartieren im Umkreis der Staedte des Nordens benutzen die Hadandawa ein großes Gefaß aus Ton fuer diesen Zweck. Solche Gefaße sind etwa einen Meter hoch und haben oben einen Durchmesser von ca. 40 cm. Beide Arten von Wasserbehaeltern eignen sich sehr gut dazu, das Wasser auch bei großer Hitze kuehl zu halten. Beide Formen von Behaeltern werden auf einem Holzgestell angebracht.

In einer anderen Ecke des Hofes befindet sich die *Feuerstelle*, die zum Kochen, besonders auch zur Kaffeezubereitung, und zum Backen benutzt wird. Beim Backen bedient man sich eute eines Kanisters, der tief in die Erde eingegraben und dessen offene Seite nach oben gerichtet ist. Im Kanister verbrennt man Holz und Stroh, bis Wand heiss geworden sind. Dann klebt man den Teig in Form der Brotlaibe auf die Innenseite

(1) Muendliche Ueberlieferung.

(1) Im Folgenden gehe ich bei der Beschreibung von Haushaltsgegenstaenden oft von einzelnen typischen Stuecken meiner Sammlung aus.

Uebrigens ist das Zeltgestaenge mit zwei Schichten von Matten, einer innere aus duennen und einer aeueßeren aus dickeren Matten, bedeckt. An eine Seite laeßt man eine Tueroeffnung, die Tag und Nacht nicht geschlossen wird. Von innen naecht man Decken aus Ziegenwolle, die "Schamla" heißen, als Verkleidung gegen die Matten von Dach und Waenden des Zelts.

Vor jedem Zelt befindet sich eine Grube fuer das Feuer. Ueber die Grube legt man zwei Steine, so daß eine Kochstelle entsteht. Das Kochgefaeß wird auf diese Steine gestellt.

Aus Matten errichtete Behausungen der beschriebenen Art (bait el bursch) findet man im Norden am Rande der Staedte und auf den Bergen, ebenso im Sueden des Landes am Rande der Doerfer der ackerbautreibenden Hadandawa.

b) *Staendige Behausungen :*

Im Norden des Hadandawa-Gebietes gibt es zwei Arten fester Behausungen, erstens Haeuser, deren Waende und Daecher aus Holzbrettern konstruiert sind, und zweitens Gebaeude, deren Waende aus Astwerk und Stroh und deren Daecher aus Holzzweigen, Matten und Stroh bestehen. Beide Haustypen haben eine laengliche Form. Der *erste Haustyp* besitzt eine Grundflaeche von etwa 15 x 9 m und eine Wandhoehe von 2 m. Das Giebeldach ist etwa 3 m hoch. Solche Haeuser werden von den Maennern gebaut : Man setzt zunaechst die Stuetz- und Eckpfosten in die Erde, dann werden die Holzplatten, die etwa einen Meter lang und 30 cm breit sind, von unten beginnend so an die Pfosten genagelt, daß sie sich wie Dachschindeln ueberlappen.

Die *zweite Hausform* hat eine Grundflaeche von etwa 5 x 4 m. Zunaechst werden die Waende aus dicken Aesten errichtet, die fachwerkartig mit Palmblattfasern zusammengebunden sind. Die Zwischenraeume schließt man dann mit Holz- oder Blechplatten. Beim Bau des Daches wird zunaechst ein Gerippe aus biegsamen Aesten errichtet. Darauf legt man eine Schicht Stroh, und darueber wird die Konstruktion mit Palmblattmatten so abgedeckt, daß das ganze Dach von außen die Form eines Tonnengewoelbes erhaelt. Neben den Gebaeuden dieser Art liegt ein mit Stroh ueberdachter Platz, an dem sich gewoehnlich die Frauen aufhalten und kochen. Haus und Anbau werden von Maennern errichtet.

Man findet den ersten Haustyp in den Siedlungen bei Port Sudan und bei Sinkat, den zweiten auch bei Sinkat und bei Gebeit.

Dugein besuchte, lagerte dort eine Nomaden-Gruppe aus der Umgebung von Aroma, die ihre zehn Zelte in weitem Abstand voneinander aufgeschlagen hatte.

El-Duppa dagegen, das 5 km von Aroma entfernt liegt, besteht aus Lehmziegelhaeusern des Guttia-Typs, die von einer einzigen Großfamilie bewohnt werden. Abseits von diesen Haeusern stehen die Zelte der jungverheirateten Paare. Diese Wohnweise ist am Anfang einer Ehe wirtschaftliche. Außerdem verlangt die Tradition, daß man waehrend der ersten Ehejahre in einem Zelt lebt. Zwischen den nahegelegenen Weidegebieten und dem Dorf liegt der gemeinschaftlich benutzte Brunnen.

Eine Wohngemeinschaft besonderer Art lebt auf dem Berg *Hamaschkureib*, etwa 100 km von Aroma entfernt. Auf diesem Berg, auf dessen Hoehe waehrend der Regenzeit ein Bach fließt, liegen ziemlich weit verstreut etwa 200 Mattenzelte. Sie werden von Kleinfamilien aus verschiedenen Hadandawa-Unterabteilungen bewohnt, die sich hier unter der Leitung eines religiösen Fuehrers zusammengefunden haben. Die Siedlung verfuegt ueber eine Schule fuer Jungen und drei Koran 'schulen und zwar eine fuer Maenner, fuer Jungen und fuer die weiblichen Bewohner. Die meisten Frauen sind aber trotz der Schulbildung des Arabischen nicht maechtig. Ihren Lebensunterhalt verdienen die Leute durch Viehzucht. Außerdem nutzen sie eine große Anzahl von Dum-Baeumen. Einmal in der Woche wird ein Markt abgehalten, den auch Haendler aus Aroma besuchen.

2. Die Hausformen

a) *Temporaere Behausungen* :

Die Lebensweise der nomadisierenden Hadandawa erfordert, daß das Material fuer ihre Behausungen leicht transportabel ist. Ihre Zelte bestehen daher aus Matten, die aus Palmblaettern geflochten sind. Die Zelte errichten Frauen — entweder aus den mitgefuehrten Matten oder aus solchen, die an Ort und Stelle gemeinsam geflochten oder fertig gekauft wurden. In der Mitte einer Grundflaeche von etwa 5 x 3 m werden vier dicke, etwa 3 m lange Holzstangen in die Erde gesenkt. Um diese Stangen herum steckt man aehnlich große Stoecke im Abstand von einem halben Meter voneinander in den Boden. An den Fuß jedes Stocks werden ein Ziegel oder ein Naturstein gelegt, damit die Stoecke festen Halt haben. Von der Stangen in der Mitte aus haengt man dann die Matten so nach außen, daß sie ueber die am Rande stehenden Stoecke geschlagen werden koennen. Die nebeneinander angeordneten Matten sind mit Faeden aus Ziegenwolle oder Holznaegeln zusammengehalten

Das Dorf besteht aus etwa 100 Wohnabteilungen, die allerdings nicht nach einem bestimmten Plan angeordnet sind. Die Gebaeude sind alle vom Gut'ia-Typ. Jedes Haus besteht aus einem Raum und hat einen eigenen Hof. Innerhalb der mehrere Gebaeude umschließenden Mauer gibt es einen mit Stroh ueberdeckten Platz fuer die Tiere.

Am Rande des Dorfes liegt ein Brunnen. Die Felder befinden sich in der Naehel des Dorfes. Außerdem steht ein gemeinschaftliches Weidegebiet fuer das Vieh aller Bewohner zur Verfuegung. An oeffentlichen Einrichtungen existieren zwei nach Geschlechtern getrennte Volksschulen, die Kontrollstelle des Regierungsbeamten, welcher den Ackerbau ueberwacht, und ein Gericht.

Wagar zeichnet sich wegen seines Gemueseangebans und durch seinen Markt gegenueber anderen Doerfern aus. Der Gemueseanbau, der in der Umgebung von Wagar erst durch Bewaesserungsanlagen moeglich wurde, liegt in staatlicher Hand, und die Hadandawa arbeiten hier in staatseigenen Unternehmungen. Die Erzeugnisse werden vornehmlich in die Stadt Aroma und in deren Umgebung geliefert.

In der Naehel von Wagar gibt es mehrere Wohnplaetze von Nomaden und Halbnomaden. Ich nenne hier als Beispiele nur Sabun und Tementai. *Sabun*, das ueber einen Brunnen verfuegt, liegt etwa 2km oestlich von Wagar und wird von einer einzigen Groefamilie bewohnt. Der Platz besteht aus etwa zehn Mattenzelten, die nicht weit voneinander entfernt im Busch aufgestellt sind. Die Groefamilie zieht das ganze Jahr hindurch mit ihrem Vieh ueber Land und kehrt nach Sabun erst zurueck, wenn alle Weiden erschoept sind. In Sabun duerfen keine Fremden lagern. Sogar Besucher werden nur in Begleitung eines Mitglieds der dort beheimateten Groefamilie zugelassen.

Tementai ist der Wohnplatz der Haeuptlingsfamilie der Hadandawa. Er liegt etwa 8 km westlich von Wagar. Die Siedlung gliedert sich in zwei Teile, naemlich den eigentlichen Wohnplatz und das Weide- und Brunnengebiet. Die Weide liegt etwa 2 km vom Lager entfernt, das etwa 30 bis 50 weit auseinander stehende Mattenzelte umfaßt. Tagsueber gehen die Maenner mit dem Vieh auf die Weide. Nebenbei treiben sie auch Ackerbau.

Als weitere Beispiele fuer Nomadenlager fuehre ich noch Dugein und el-Duppa bei Aroma an. *Dugein* ist ein Wohnplatz, der nicht ausschlieBlich von einer bestimmten Groefamilie bewohnt wird. Jeder Hadandawa kann sich, wenn seine Weidegebiete erschoept sind, hier niederlassen. Als ich

verfuegt ueber zwei Brunnen, von denen einer das Trinkwasser, der andere das zum Waschen und Spielen benoetigte Wasser liefert.

Am Rande der Stadt liegt eine Siedlung, die aus ungefaehr 50 Lehmziegel-Hausern besteht. Die Bewohner dieser Siedlung sind Viehzuechter, die — je nach der Entfernung ihrer Weideplaetze — fuer einige Zeit ihre Hauser verlassen und dort dann nur ihre Frauen und Kinder zuruecklassen.

Auf den Bergen und in der Ebene um Sinkat findet man auBerdem noch Zeltlager der Nomaden. Meist bilden etwa zehn Mattenzelte ein solches Lager.

Wegen der guenstigen im Sommer dort herrschenden Witterungsverhaeltnisse suchen die Hirtennomaden mit Vorliebe den Berg *Erkowitz* auf. Auf dieser Hoehe kann man zur Sommerszeit mehrere kleine, aus je etwa fuef Mattenzelten bestehende Zeltlager sehen.

Auch *el-Geif*, ein Vorort von *Suakin*, wird von den Hadandawa bewohnt. Hier leben die Familien, die sich nicht ganz von Suakin trennen wollten, als es seine Bedeutung als Hafenstadt verlor. Sie wohnen in festen laenglichen Holzhausern. Die Maenner ziehen mit dem Vieh auf nahegelegene Weidegebiete. Einige treiben auch Fischerei.

b) *Im Sueden* :

Der Sueden des Hadandawa-Gebietes umfaßt das Gash-Delta. In diesem Teil des Landes gibt es im Gegensatz zum Norden viele *Doerfer*, deren Bewohner seBhaft geworden sind und die Siedlung nun nicht mehr verlassen. Mit der Ausbreitung des Ackerbaus im Gash-Delta seit 1925 entstanden auch diese festen Siedlungen. Die Doerfer, in denen die ackerbautreibenden Hadandawa leben, sind Mekali, Tendelai, Metateib, Tementai, Hadaliya und Wagar.

Alle Doerfer gleichen sich in Form und Anordnung. Lediglich die Niederlassungen der Viehhirten, die auBerhalb der festen Siedlungen wohnen, unterscheiden sich in ihrer Anlage. Als Beispiel waehle ich die Doerfer Tendelai und Wagar sowie die Siedlungen der Hirten in deren Naeh, auBerdem die Wohnplaetze auf dem Berg Hamaschkureib.

Tendelai liegt ungefaehr im Zentrum des Gash-Deltas. Das Dorf ist in kleine Viertel unterteilt, wobei jedes Quartier aus etwa fuef bis sieben Hausern besteht. Die einzelnen Gebaeudegruppen umgibt ein Zaun aus Stroh oder eine Lehmziegelmauer mit einem hoelzernen Tor, das nachts durch einen Vorlegebalken verschlossen wird. Die Bewohner jedes Viertels sind miteinander verwandt, aber jede Kleinfamilie besitzt ihr eigenes Haus.

haben, immer noch nicht arabisch sprechen. Die arabische Sprache beherrschen nur die Maenner und die Kinder. Der Grund hierfuer ist, daB die Frauen im Gegensatz zu den Maennern kaum in Kontakt mit der AuBenwelt treten.

Die Siedlung *Belinai* liegt etwa 5 km noerdlich von Port Sudan. Dieser Wohnplatz umfaBt etwa 50 laengliche Holzhaeuser und ca. zehn Mattenzelte, die in weitem Abstand voneinander aufgestellt sind. Je drei bis fuenf Haeuser umgibt ein Zaun, der ebenfalls aus Holz gemacht ist. Jedes Gebaeude besteht aus zwei Raeumen und hat einen groBen Hof. Eine Haeusergruppe wird jeweils von einer GroBfamilie bewohnt, deren Maenner als Arbeiter oder Angestellte der sudanesischen Behoerden in Port Sudan arbeiten. In den Zelten leben Nomaden, die mit ihrem Vieh und ihren Zelten jeweils in der Regenzeit zu ihren Weidegebieten ziehen und in der Trockenzeit wieder nach *Belinai* zurueckkehren. Es gibt auch eine oeffentliche Getreidemuehle und zwei Baeckereien. Neben der ortseigenen Wasserleitung steht eine Traenke fuer das Vieh.

Omna liegt am noerdlichen Rand der Siedlung *Deim el-Arab*. Dieses Wohnquartier besteht aus etwa 60 Holzhausern, deren Bewohner groeBtenteils Halbnomaden sind. Immer wenn sie mit ihrem Vieh wegziehen, lassen sie ihre Haeuser leer zurueck. In den Weidegebieten errichten sie dann Mattenzelte. Als ich dieses Wohnquartier im Januar 1966 besuchte, waren die meisten Haeuser geschlossen. Bis auf jene Gebaeude, deren Bewohner als Hafenarbeiter, Handwerker oder Haendler in Port Sudan arbeiteten, war die Siedlung menschenleer. Die Halbnomaden sollen bis zu drei Monaten in den Weidegebieten bleiben(1). Diese Weideplaetz lagen zur Zeit meines Besuches bei Suakin, wo es in jenem Winter geregnet hatte. Auf meiner Reise nach Suakin habe ich tatsaechlich Leute aus *Omna* getroffen.

In *Sinkat* wohnen die *Hadandawa* ausnahmsweise zum Teil auch innerhalb der Stadt. Die kleineren Gruppen, die man ueberall in der Stadt antrifft, betreiben Handwerk und Handel. Gleichzeitig dienen sie der Familie des *Khatmia*-Ordens, die ueber groBen Grundbesitz verfuegt. Von ihr erhalten sie ihre Wohnung und zum Teil auch ihren Lebensunterhalt. Die Gebaeude sind laengliche Lehmziegelhsaeuser, die zwei oder drei Raeume enthalten und einen groBen Hof besitzen. Sie stehen dicht beieinander und sind nur durch enge StraBen getrennt. In der Stadt gibt es zwei Volksschulen, eine fuer Jungen und eine fuer Maedchen, auBerdem ein Krankenhaus. *Sinkat*

(1) Persoenliche Mitteilung der Leiterin der Frauenvereinigung.

der Haeuser. Diese Siedlung ist die einzige, die auch auf der Stadtkarte von Port Sudan eingezeichnet ist. Deim el-Arab beesitzt ueber 700 Haeuser und liegt, nur durch eine breite StraBe von der uebrigen Stadt getrennt, am westlichen Rande von Port Sudan.

Die einzelnen aus Holz und Blech gebauten Haeuser sind so angeordnet, daB verwandte Personen dicht bei einander leben koennen und daB eine Art von Wohnblocks entsteht. Diese Blocks sind durch StraBen voneinander getrennt.

In dieser Siedlung gibt es zwei Volksschulen, eine fuer Jungen und eine fuer Maedchen, auBerdem ein Gasthaus, in dem Durchreisende umsonst uebernachten koennen, ferner ein Haus, in dem die Maenner ihre regelmaeBigen Versammlungen abhalten, und ein Gebaeude fuer die Frauenvereinigung. Dort koennen Fraeuen und Maedchen, die keine Schule besucht haben, naehen und lesen lernen.

Eine der HauptstraBen dieser Siedlung bildet das Einkaufszentrum, wo man Geschaefte fuer Lebensmittel, Haushaltsgeraete und Textilien sowie Handwerker findet. Diese Geschaefte sind auBer freitags taeglich bis spaet in die Nacht hinein geoeffnet. In jeder HauptstraBe gibt es eine Wasserleitung mit einer Zapfstelle. Am Rande der Siedlung liegt ein groBer Platz, auf dem jede Familie einen Stall fuer ihr GroBvieh besitzt.

Salalab liegt etwa 5 km westlich von Port Sudan. Die Bewohner Salalabs stammen aus den Bergen, siedelten sich in Port Sudan an und wohnten vor 1905 in der Mitte der Stadt. Als Port Sudan Hafenort geworden war, siedelten die Hadandawa in ihr heutiges Wohngebiet um, da sie dort vom Kontakt mit Fremden verschont blieben(1).

Die Siedlung besteht aus ungefaehr 100 freistehenden Holz-Haeusern, die nicht in einer vorgeschriebenen Ordnung angelegt sind. Jede Familie bewohnt ein eigenes Gebaeude. Die sudanesischen Behoerden errichteten eine vierklassige Volksschule fuer Jungen, nehmen aber sonst kaum EinfluB auf das Leben in Salalab. Die Siedlung verfuegt ueber ein Lebensmittelgeschaeft und ueber eine oeffentliche Baeckerei. In einigem Abstand von den Haesern befindet sich ein Lagerplatz fuer die Tiere. Sobald eine Familie es sich leisten kann, errichtet sie dort einen eigenen Stall. Auf diesem Platz befinden sich auch die einzige Wasserstelle der Siedlung und die Viehtraenke.

Fuer diese Siedlung ist bemerkenswert, daB ihre weiblichen Bewohner die doch schon vor langer Zeit ihre isolierte Haimat in den Bergen verlassen

(1) Muendliche Ueberlieferung unter den Bewohnern der Siedlung.

Es handelt sich in dieser Artikel um die Materielle-Kultur bei den Handandowa. Im Artikel vorher haben wir das soziale Leben bei diesem Volk gehandelt, dazu auch gaben wir einen Ueberblick ueber das Gebiet und ueber der Zweck der Forschung.

Dieser Artikel handelt :

1. Die Siedlungsformen in das Gebiet der Hadandowa.:
 - a) Im Norden,
 - b) Im Sueden.
2. Die Hausungen :
 - a) Temporare Behausungen,
 - b) Staendige Behausungen.
3. Wohnungsausstattung und Hausrat.
4. Kleidung, Schmuck und Koerperpflege.
5. Die Nahrung und ihre Zubereitung.

In den kommenden Artikel werden wir der Sozio-Kulturelle Wandel bei den Hadandowa handeln.

V. DIE MATERIELLE KULTUR DER HADANDAWA

1. *Die Siedlungsformen.*

a) Im Norden :

Die Hadandawa und die uebrigen Bedscha haben eine ausgesprochene Abneigung dagegen, sich mit Fremden zu vermischen. Daher leben sie im allgemeinen isoliert, auBerhalb oder am Rande der Staedte. Im Nordteil des Hadandawa-Gebietes, das heiBt von Port Sudan bis *Derudeb*, wohnen die *Hadandawa* in Quartieren in den Randbezirken oder in der Nachbarschaft von *Staedten* (mit Ausnahme von Sinkat—dort gibt es Hadandawa auch in der Stadt—), teilweise aber auch auf den Bergen. In diesem Teil des Landes gibt es keine doerfflichen Ansiedlungen.

Die Staedte, in deren Umkreis Hadandawa leben und die ich besucht habe, sind Port Sudan, Sinkat, Gebeit, Erkowit und Suakin. Die Siedlungen bei *Port Sudan* sind von Angehoerigen aller Bedscha-Staemme bewohnt ; denn bei Port Sudan verlauft die Grenze zwischen den Territorien der Amara und der Hadandawa. Als dieser Ort im Jahre 1905 Suakin als Hafenstadt abloeste, siedelten die Hadandawa und viele Amara und Bischarin dorthin ueber, weil sie im Hafen Arbeit suchten. Die Siedlungen bei Port Sudan heiBen Deim el-Arab, Salalab, Belinai und Omna.

Deim el-Arab, das vor 1905 entstand, ist die groeBte und aelteste Siedlung bei Port Sudan. Es zeigt eine wie ein Schachbrett gegliederte Anlage

ويعتبر ديم العرب أكبر وأقدم حى فى بور سودان ، ويفصله عن المدينة شارع واحد فقط غرب بور سودان ، ويلاحظ فى هذا الحى بصفة عامة أن المنازل منظمة بحيث يستطاع الأقارب السكن بجوار بعض ، ويفصل كل مجموعة عن الأخرى شارع ، هذا إلى جانب المدارس الابتدائية وبيت الضيافة ، ومبنى الاتحاد النسائى .

أما فى الجنوب : فى دلتا الجاش توجد قرى كثيرة بعكس الشمال ، ومن حيث الشكل والنظام نجد أن هناك تشابه كبير بين جميع القرى فيما عدا مساكن الرعاه الذين يعيشون خارج هذه الأحياء السكنية ، ومثل هذه القرى :

تندلاى ، مكل ، متاييب ، تمتاى ، هديا ووجر (وقر) .

أما من حيث أشكال البيوت ، فنجد أن هناك نوعين من المساكن :

مساكن مؤقتة ، حيث يتطلب نمط الحياة الرعوية ، وبحيث أن تكون المادة التى تصنع منها مساكنهم خفيفة الحمل ، ولذلك نجد أن خيامهم مصنوعة من الحصير .

مساكن دائمة ، يوجد نوعين من المساكن الدائمة الثابتة ، بيوت تبنى من ألواح الخشب وأفرع الشجر والقش ، وأخرى تبنى من الطوب التى وهذه الأخيرة مخروطة الشكل وتسمى القطية تتكون جميع المساكن الثابتة من غرفة واحدة ولها فناء يحيط بالمبنى ، وتتشابه هذه الغرفة فى تأثيثها وزخرفتها فى جميع أنواع المباني المختلفة ، وهى تقسم عادة إلى جزئين بواسطة ستار ، كما تزين الحوائط .

أما أثاث البيت : فهو بسيط ، عبارة عن سرير صغير (عنجريب) وكرامى صغيرة من القش إلى جانب عدد من الحصر للاستعمالات المختلفة ويستعمل المائدة قدور فخارية وصحون خشبية إلى جانب حجر الطحين والجبنه (أبريق القهوة)

أما الملابس : فنجد أنهم يلبسون الأثواب التى تلف حول الجسم ، ويلبس الأولاد قميص وسروال وتلبس البنات ملابس أوربية بالإضافة إلى غطا الرأس .

والعناية بالجسد : تجدل السيدة شعرها فى صفائر صغيرة جدا ومكرسة بجوار بعض والشعر لا يفصل إلا نادرا ويدهن بالدهن ، ولا تقص السيدة شعرها أبدا أما الرجل فيقصه مرة كل سنتين

وتقضى السيدات معظم وقتها فى العناية بالجسد ، حيث تقوم بعمل الحناء والدلكة وتزين المرأة بالمديا

من المجوهرات المشغولة بالخرز والودع .

وفى ما يخص الغذاء لدى المندنوة فهو يتكون من لحم الضأن ومنتجات الألبان وحبوب الدخن وهم لا

يأكلون الخضراوات والفاكهة إلا نادرا والمشروب الأساسى لديهم هو القهوة .

وسوف أتناول فى المقال القادم التغير والتقدم الإجتماعى والحضارى لدى هذه القبائل وأسباب هذا التغير.

BEDSCHA — HADANDOWA
EINE ANTHROPOLOGISCHE FORSHUNGSREISE IN DAS
GEBIET DER BEDSCHA

الهندوة — بجا
بحث أنثروبولوجى فى منطقة البجا

للدكتورة سعاد شعبان

يعالج هذا المقال الحضارة المادية لدى قبائل الهندوة ، وقد سبق أن تناولت فى المقال السابق « الحياة الإجتماعية » باعطاء فكرة عن المنطقة مبينة الهدف من هذا البحث ولكى يكون البحث شاملا ، كان لا بد أن يلى المقال السابق دراسة للناحية الحضارية وهو موضوع هذا المقال وتشمل :

١ - أنماط الأحياء السكنية

٢ - أنماط البيوت

(أ) مساكن موقته وهى عبارة عن خيام من الحصير وتسمى « بيت البرش »

(ب) مساكن ثابتة وهى أما أن تكون من الخشب أو من الطين

٣ - الأثاث والأدوات المنزلية

٤ - الملابس والمجوهرات والعناية بالجمد

٥ - الغذاء وطريقة إعدادة

١ - فيما يخص الأحياء السكنية وبيان أوجه التشابه والاختلاف فى جميع أنحاء المنطقة فقد بدأت ببحثها فى شمال منطقة الهندوة ، وهى المنطقة الواقعة فيما بين بور سودان ودرديب ، أما فى الجنوب فتشمل منطقة دلتا الجاش .

من حيث التجمعات التى فى الشمال نجدها بجوار المدن وفوق الجبال ، وخاصة مدن بور سودان ، سنكات ، حييت ، وهذه الأحياء تشمل :

ديم العرب ، بليناى ، سلا لا ب وأمنة (بجوار بور سودان) .

rences between these two powerful neighbors because they felt that this is one of the classical ways of maximizing gains, especially when the issue of survival is pressing. The Gambian leaders think that their cultivation of good ties with Guinea will serve as an effective leverage in their dealings with Senegal.

In fact, when the Portuguese invasion of Guinean territory took place, President Jawara expressed his strong support for President Toure ; and, again, when the security forces in the Gambia captured about 38 anti-Toure Guineans, the Gambian government cooperated fully with the Guinean establishment(17). One result of this crisis was Guinea's decision to open a diplomatic mission in the Gambia. The Guinean mission is now in operation and Toure's regime has offered to help the Gambia, although presently Guinea's ability to help is very limited.

Gambian leaders, one can argue, are trying to play traditional power politics to survive in the African international system. Unprepared to join a Senegambian fraternity, these leaders now seek ways to buttress their positions, both locally and internationally. Locally, they hope to be able to appeal to the people by stressing their Gambianess, that is, the Anglo-African admixture in their psycho-cultural make-up, and by pointing out the need for closer cooperation among the ethnic groups in what is Gambia today.

On the international level, however, they harp on their Commonwealth membership, whenever the question of Sene-Gambia emerges ; and in the great debate over ideological beliefs, they disown any interest in radicalism, but at the same time, they deny any links with conservatism. Internationally, the slogan of progressive moderation seems to be the guiding star to the Gambian ship of state.

In conclusion, therefore, we hope to reemphasize the fact that Gambia recognized the limitations both of her size and of her resources, and, for this reason, she has developed specific strategies for survival in the international system. Sensitive to the international system, Gambia has tried to establish relationships with other countries in the hope of enhancing her survival capabilities. But, whether this system of self-evaluation and self-protection will continue to pay big dividends, only time will tell.

(17) *The Gambian News Bulletin* (December 5, 1970) pp. 1-3.

was why President Jawara told a Western correspondent early in the post-independence period that he is a “progressive modernate”.

This ambiguous definition of his political position has been a blessing rather than a wrath for President Jawara. He has used his political shrewdness along with his country's smallness to carve a special place for himself in the African continent. Dr. Jawara clearly does not have the dominating personality of a Kwame Nkrumah, and indeed a tiny fraction of the African people would suspect him of nursing any notion about ruling or dominating Africa. For this reason, Gambia's Jawara or Jawara's Gambia fares well within the African continent.

It is this shrewdness of the Gambian leader that makes him the target of criticism from Gambians who believe in a more militant, if not radical position. But it is this same shrewdness that makes many Senegalese diplomats concede their inability to stampede Gambia into accepting a federation.

To illustrate this point, I have to cite examples from the African system itself. Let us take the Portuguese invasion of Guinea, and see how the Gambian regime responded to this crisis. For those who know little or nothing about the relationship between Guinea and Senegal, a few introductory words would be sufficient.

Guinea and Senegal were part of the French colonial community, but in 1958, when DeGaulle gave a choice of independence to the African colonies, only Guinea opted for it. Since that time, Guinea has been looked upon by other Franco-phonie African states as the political leper of their community. The revolutionary rhetoric and actions of Sekou Toure became more and more distasteful, particularly to the Senegalese ruling elites. When the Portuguese invasion of Guinea fell to the ground, Sekou Toure demanded the repatriation of all Guinean counter-revolutionaries living in Senegal(16). To this demand, President Senghor of Senegal gave a deaf ear. This strained the relationship between the two countries ; and, as a result of this uneasy relationship, it became not very common to hear, over the radio stations of both countries, propagandistic vituperations directed against each other.

Here one may ask the question : where does Gambia fit into this matrix? This is the question that I seek to answer, hoping that it will illustrate the point I have raised earlier. The Gambian leaders capitalized on the diffe-

(16) For details in the role of the Gambia in this crisis, see *The Gambja News Bulletin* (Nov. 22, 1970) ; “Gambia-Guinea Joint Communiqué”, *The Gambja News Bulletin* (D (December 5, 1970) ; *Gambja News Bulletin* (December 3, 1970).

But another question still persists : what are the implications of this policy for Gambian viability ? Well, the implications are many and conflicting. First of all, the Gambian ruling elites believe that their hob-nobbing with the West does help them in their quest for the collective legitimization of their country's status in the international system. In searching for answers to their viability problem, Gambian leaders feel that the West may grant them both the financial and psychological blessings necessary for their viability. The encouragement of Western capital through the granting of tax investment concessions is one of the many ways by which the ruling elites hope to enhance their extractive capabilities.

This may sound contradictory, but the rationale for such a policy is that the flow of foreign capital into a developing area provides opportunities which would be non-existent otherwise. The Gambian leaders are ready to lecture anyone who has patience to listen on the economics of tourism, and their recent efforts to advertise and sell the Gambia as a holiday resort only confirm my assertion.

But what other implications does the Gambian policy have for the viability issue ? Here, we can argue that Gambian leaders believe that their policy towards tourism and other kindred matters will help in their drive to diversify the country's economy. To these men, anything that helps in the transformation of the Gambian economic system from a monocultural to a diversified economy is worthy of testing.

Yet, the viability problem does not rest entirely on the Gambian economy ; it also depends on the African power distribution. Gambia is interested in a power equation which will remove any lingering doubt her integrity as a subsystem in the African system of states⁽¹⁵⁾. Fearful of Senegalese intentions, Gambian leaders wish to operate within the African circle in the most prudent manner.

This policy is consciously designed to enhance the viability of the Gambia as a state. Unwilling to listen to any suggestions of pro-federalist elements in Gambia and Senegal, the Gambian leaders try to steer a middle course between the conservative camp and the radical group. I guess this

(15) This point was reiterated by President Jawara when he addressed the first Guinean Ambassador, Monsieur Boubakar Kassory Bangoura. The President said that the Gambia "attaches paramount importance to the respect for the territorial integrity of every member state of the United Nations ... be they near or far". *Gambia News Bulletin* (June 22, 1971 ; p. 1

results, if any, has she gained ; and, (3) what are the effects and implications of such a policy on Gambia's viability ?

The Gambia pursues this policy by identifying with Western states or other Western allies on certain issues which are of crucial importance to the Western states or their allies. For example, when the Western nations, especially the U.S.A., fought tooth-and-nail against the arrival of Mao's representatives at the United Nations, Gambia joined the fight by actively lobbying against the pro-Peking group.

There were, however, other factors propelling Gambia towards an anti-Peking direction, and among these is the fact that the Nationalist Chinese close allies of the U.S.A. have been working miracles in the Gambian rice fields. And, since the fruits of their labors in the Gambia increased the Gambian government's domestic position, many a Gambian politician found it inconceivable to oppose the Nationalist Chinese in the U.N. debates. This Pro-Taipeh policy of the Gambia government has persisted right up to the present moment. Recently, the Taiwan government came to the rescue of their Gambian allies who were recovering from a painful drought. The Nationalist Chinese gave L 8,000 (32,000 Gambian Dalasis)(12) to the Gambian government for this purpose.

Coming to the results of the Gambian policy towards the West, one finds that they are largely, and certainly, limited. Gambia undoubtedly has received some aid from the West, but not as much as she would have liked. Despite this limitation on the aid, her policy towards the West and the peripheral Western states, like Sweden, has made it possible for her to host thousands of tourists from Scandinavia(13). Indeed, new faces from Western Europe are going to be seen in the Gambia, once the German and British tourist agencies begin to operate(14).

Tourism, therefore, is a result of this Gambian courtship of the West, and the effects of tourism on the Gambian economy are by no means insignificant. Many Scandinavians are now frequenting the Gambia ; some are engaged in tourist businesses in the country ; and many more are beginning to invite and host Gambian students in Scandinavia. All these are the effects of the Gambian policy towards the West, and they are going to give rise to many more effects of which only time can tell.

(12) *Gambia News Bulletin* (March 29, 1973).

(13) See *The Gambia News Bulletin*, June 27, 1971.

(14) *Africa Briefing International*, September 22, 1973.

Gambian leaders are capitalizing on Gambia's Commonwealth membership to distinguish her more and more from Senegal.

The development of closer ties with the Commonwealth West African states has given rise to close personal friendship between the Gambian leader and his counterparts in these other Commonwealth countries. Of particular significance is the friendship between Dr. Jawara and General Gowan. In fact, Dr. Jawara's unflagging support for the General's campaign against Biafra has been construed by many suspectful critics as a way of winning support from Nigeria in any future confrontation between Gambia and her Francophonic neighbor, Senegal.

But, if this is the hope of the Gambian rulers, the utterances of Gowan on the subject have shelved the matter. The two states, Gambia and Senegal, *West Africa* reported Gowan saying, must deal with their own problems(11). Yet, these statements do not end the speculation and Gambian leaders bank heavily on Commonwealth support in case of emergency on the African front.

This takes us to the next circle, the Western circle. The Gambian strategy is that Gambia's economic insignificance, at least in the eyes of the Western nations, should not deter Gambians from operating in a prudent manner in the international system. Faced with an ideological struggle between the East and the West, the Gambian leaders stick to their policy of supporting the Western Power they know best. This is to say that they prefer old ways, old ties, and old relationships to uncertainties inherent in any shift from one camp to the other.

But, here again, there may be other considerations. This writer will venture to say that Gambia's operations within the Western circle are based on two important assumptions. First, that the Gambia, by courting the Western states and their Asian allies, can more and more validate her claim as an independent state ; and by hoping that Western countries would be similarly convinced, Gambian elites therefore expect support and assistance from these countries whenever their integrity is in jeopardy. Second, fearing the wrath of the West as well as that of the conservative African states, the Gambian leadership prefers the label of "progressive moderate" to that of an "African radical".

With respect to the two assumptions enumerated above, the following deserve our consideration : (1) how does Gambia pursue this policy ; (2) what

(11) *West Africa* is the London-based monthly that deals with issues about the western part of Africa.

During this period the British government gave L 2 million interest free loan to the Gambia (6).

Though the Gambia has accepted the generous offers of help from the British government, her leaders have tried to minimize dependency. In 1967 Dr. D. K. Jawara wrote an article for the *New Commonwealth*, in which he stressed the Gambia's desire to be viable. Indeed, Jawara prided himself with the successful balancing of the Gambian budget in 1967 (7). This was a big psychological boost, for the Gambian quest for viability made it necessary. The Gambian leaders believe that, apart from the need to maintain friendly ties with the old "Mother Country", there is the need to remind the Senegalese rulers that Gambia is, after all, different from Senegal, since Gambians still cherish the political-cultural similarities of the Commonwealth peoples.

The Gambian leaders have demonstrated this in their diplomatic ventures abroad. The recent State Visits of President Jawara to Nigeria and Sierra Leone and the return visits of leaders of these countries have accentuated this Gambian position (8). In his speech at the Sierra Leone Parliament, Dr. Jawara dwelled on the historical connections in politics, administration, trade and migrations between Gambia and Sierra Leone.

The second reason why the Gambia has joined the Commonwealth is because the technical knowledge of the Commonwealth members would be at Gambia's disposal. Recently, Mr. I. M. Garba Jahumpa, the present Minister of Finance, restated the Gambia's belief that good would come out of the Commonwealth (9). This statement was made after he had returned from a Commonwealth conference. He revealed that in the New Commonwealth Education Study Fellowship Scheme, which would replace the Ten-Year old Commonwealth Education Bursary Scheme, the Gambia with other Commonwealth countries would enjoy better educational facilities ranging from three months to three years. He emphasized that aid was forthcoming in the area of book development and literacy (10).

Whether this is a realistic appraisal of the relationship and the benefits it offers, only time will tell. But one thing seems to be clear ; that is, the

(6) *The Gambja News Bulletin* May, 13, 1971, p. 1.

(7) Dr. D. K. Jawara, "Gambia", *New Commonwealth*, No. 10 (1967), p. 457.

(8) See *Gambjan News Bulletin*, Feb. 20, 1971 ; Jan. 27, 1973.

(9) See "The Gambia Will Benefit from the Commonwealth", *Gambja News Bulletin*, March 13, 197x, p. 1.

(10) *Gambjan News Bulletin* (March 13, 1971).

With such an understanding, one can then proceed to examine the various strategies for survival used by the Gambian ruling elites to buttress their state's position vis-a-vis other states. In this respect, I would be inclined to say that this mini-state has for the past eight years pursued policies consciously designed to enhance the survival capabilities of both the regime and the state.

The first and perhaps the most important strategy is the one that seeks to create at home a political situation which encourages compromise or co-optation. This is to say, the politics of non-coercion or cooptation are used to keep the regime on solid ground. Reading clearly the signs in the dangerous elements which pose serious threats to the regime. Rather than set up a dictatorship of the rural areas, which by the way is numerically possible, President Jawara seeks to bring into his cabinet people from the highly influential urbanites (most of whom are Wolof by language) (5).

Such a strategy is rational and rewarding, for it creates the necessary *modus vivendi*, from which the other strategies flow. That is, by coopting or winning over elites from potentially dangerous areas, the regime avoids the possible booby traps on the home front. But I would hasten to add that, though the ethnic arithmetic may give rise to a working power equation sooner or later one of the numbers contributing to the power question may lose its value, and thereby create a breakdown. At any rate, however, such a development has not yet taken place in the Gambia. And, until such a situation arises, we can hold on to the arguments advanced above.

The second strategy is Gambia's utilization of the traditional technique of manipulation of the conflicts among big power neighbors by smaller states. In so far as Gambia is concerned, three circles are of significance to her immediate needs. The first deals with the Commonwealth circle ; the second, with the Western circle; and the third, with the African circle. The Commonwealth circle is important to the Gambia for two reasons: first, there is the financial aid from Britain, and we must remember that when the Gambian leaders decided in 1964 that they too wanted to join the club of independent states, the British government promised to help in the balancing of the Gambian budget. In fact, the British contributed heavily to the development chest of the Gambia during the 1967/71 period. The British government has also assisted the Gambia to meet her 1971/74 development program.

(5) These political alignments are discussed lengthily in my Ph. D. dissertation on *Political Parties and National Integration in the Gambia* (University of Virginia, 1972).

mid-fifties, the colonial economic experts banked heavily on the ilminite production, hoping that Gambia's economic woes would be once and for all done away with by such a gold mine. Unfortunately such a dream quickly faded away, once those investors turned their backs away from the Gambia. The British colonialists who were running the Gambia at the time became disillusioned, for previous efforts and time were fruitlessly expended on poultry, fisheries, and timber schemes (2). To the average British colonial official, Gambia was just a hopeless case.

This became more and more widely expressed when the wind of change began to sweep across the African continent. For, since every African colony was demanding independence, many thought that Gambia would join the bandwagon. Many British officials as well as some Gambians, however, felt that independence was unsuited for this little country simply because of the scarcity of resources and the unviability of the territory. Those who held this view argued quite strongly and persuasively that an independent Gambia was a bad investment and that Gambians were gambling with their lives by choosing such a disastrous course (independence(3)).

Well, the train of events decided otherwise, and today Gambians are among those marching soldiers of the Third World who are fighting a war, not against other human beings, but against time and underdevelopment. Faced with the question of survival in an international system whose older members have perfected both the techniques of power and the techniques for survival, this little country is now determinedly struggling to carve a place for itself in the international system dominated by nuclear giants.

Gambia's struggle for viability is based on three assumptions. First, there is the fear that any manifestation of inviability compromises, if not destroys, the personality of a state. Second, in the language of Karl Deutsch, the Gambian leadership assumes that Gambia's dignity would be tampered with in the realm of international relations if she does not prove her viability and self-sufficiency (4). And, finally, Gambian leaders also assume that failure to meet the economic and social demands of their internal clientele would lead to breakdown and chaos.

(2) Harry Gailey discusses these schemes in his *A History of the Gambja* (New York : Frederick Praeger, 1965;, pp. 142-153.

(3) "Gambia : A Gamble ?" *Venture*, Vol. 17, No. 3 (March, 1965;, pp. 11-12.

(4) Karl Deutsch, in his *Nerves of Government*, defines dignity as the ability to use one's personal ty. See pp. 131-132 for the application of this to the state's behavior. (New York : The Free Press, 1966).

GAMBIA : A STATE IN SEARTH OF VIABILITY

By
SULAYMAN NYANG*

When the colonialist Goliaths began to retreat from the vast territories over which they had greedily held on for several decades, the nationalist Davids soon found out to their dismay that the parcelling out of spoils was only a small part of the responsibilities accompanying their victory. For, immediately after independence, they learned that their new responsibilities called for the establishment of institutions guaranteeing the continued existence of law and order in their societies ; for the creation and development of a sense of peoplehood among the diverse tribal groups over whom previously the colonialist giants ruled ; and, finally, for the construction of technological foundations on which economic, social, cultural, and political facilities had to be built, if the defeated Goliaths were to be kept at bay⁽¹⁾

Gambia, Africa's smallest state, came into existence in 1965, almost four years after the year which is now commonly called Africa's year. Though a latecomer in the ranks of African independent states, this small West African state is the microcosm of the total condition of the developing countries. In fact, this little country personifies the blunder of a colonial power ; that is, she is the absurd result of the colonial feuds of the European powers, particularly France and Britain.

Historical and geographical circumstances seemingly have conspired to make Gambia a struggling state in search of viability. Resting on the bosom of Senegal, Gambia occupies a territory of 4,000 square miles, and her population, as of the 1963 census, does not yet reach 400,000. This country's source of revenue is groundnut (or peanut), which is the cash crop grown by almost 90% of the population. Unlike her distant neighbors, say Zaire and Ghana. Gambia does not have any valuable mineral resources. In the

(1) Arnold Rivkin, *Nations by Design* (Garden City : Doubleday, 1967, pp. 1-7.

* Dr. NYANG, a Gambian citizen, is currently the Acting Director of African Studies and Research, Howard University, Washington, D.C.

help delimit the state. Another reason lies in the homogeneity of environment and people, who find no difficulty in changing loyalty from one chief to the other, who after all is of the same racial affinity.

Islam in west Africa marked a turning point in its history. Under the urge of the new faith more powerful states arose under the organization of more zealous potentates of mixed Berber and Negroid blood. They had the zeal for spreading Islam to the Negroid forest area and their states took advantage of Islamic law and jurisdiction to lay the foundations of strong states. They had regular relations with Islamic centres in Rabat, Querawan, Tripoli, Cairo and further relations with Mecca, Medina, Damascus and Baghdad.

Thus Sudanic peoples not only attained nationhood but succeeded in establishing nation-states. They needed time, as was allowed other nations to strengthen their structure and elaborate other governmental requirements. However this was denied for them at the advent of European colonial powers.

NOTES

1. For practical appreciation of the growth of African states Vide Church, H. in the *Changing World*, ed. East, G. & Moodie, A. E. London 1956, Chapter XXX and XXXI.
2. *Op. Cit.*
3. Vide, Arkell, A.J. *Early Khartoum*, London, Oxford University Press, 1949 ; Shaheinab: an Account of the excavation of a neolithic occupation site, London. Oxford University Press, 1953 ; Clark, J.D. The problem of Neolithic Culture in Subsaharan Africa pp. 600–621 in *Background to Evolution in Africa*, ed. by Walter W. Bishop & J. Desmond Clark, the University of Chicago Press, Chicago, London, 1967.
4. *Op. Cit.* also, ride, Cornevin, R. *Histoire des peuples de l'Afrique Noire*, Berger-levrault, Paris, 1963, pp 87–133, & 190–165.
5. DAVIDSON, B. *Old Africa Rediscovered*, 1959.
6. Cf. JONES, A.H.M. & MONROE, E.A, *History of Ethiopia*, 1935.
7. Cf. GAUTIER, E.F. *Le Passe de L'Afrique du Nord, les siecles obscurs*, 2me. edn. 1952, Also Ibn Khaldun, *Histoire des Berbers*, 3 vols. tr. de slane (Paris, P. Gautier, 1925.
8. Vide note 3 above, and Sir Mortimer Wheeler, *Rome beyond the Imperial frontiers*, Penguin, 1954 and Bovill, E.W. *Caravan of the Old Sahara*, 1933 ; *The Golden Trade of the Moore*, 1958.
9. Howells, W. *Mankind in the making*, London, 1959, pp. 313–317.
10. *Ibid.*
11. MURDOCK, G.P. *Africa, Its Peoples and their Culture History*, New-York, 1959, pp. III ff.
12. Ibn Khaldun, *Op. Cit.*
13. Note 8.
14. Cf. Joly, R.W.A. *History of the African Peoples*, London, 1970, pp. 50 ff.

of patterns which seem to recur, and which to a limited extent seem to be comparable among different regions, periods and cultures. The process of Social mobilization and of nation building have recurrent phenomena in history. What uniformities can we find in the growth of nations in West Africa and the Sabannah belt ? In this area nearly every state or ruling lineage had a traditional ancestor who came from the desert or the north, fought some enemy of the people, killed it and established his rule. This is a reflection of the relations between the desert nomads and the Sudanese settlers. The Sudanic corridor had a power of absorbing outside influences, assimilating it and sudanizing it ultimately. This happened once and again from the Senegal in the west to the Funj kingdom on the Bule Nile in the east. This process had the one virtue that it kept Sudanic states alert and alive prevented stagness, which caused the downfall of non-Sudanic states on the Nubian reach of the Nile (14).

The Sudanic corridor witnessed the shift of national power form one centre to the other. Each centre had previously a coherent population of a certain lineage who had already shifted from subsistence agriculture to exchange economies. This change of economy provided for material wealth and military power. The seat of the new ruling power had always been a town of considerable growth, in this case a focus of caravan trades which secured both increasing ties of social mobility, communication and multiple economic change between the town — or the capital — and other caravan termini, and between town and country.

Each state in West Africa while secured in walled cities kept control over basis communication lines linking important rivers, towns and trade routes in a flow of transport, travel and migration. The Senegal and Upper Niger rivers each in turn were controlled by successive states. This grid of communication helped to facilitate the growth of state in West Africa.

The successive states of West Africa however had common characterists. They all had no clearly defined borders. In fact the idea of a clean-cut border-lines of states is quite a newly advent of the modern European mind. Previously, nearly everywhere in the world ; states were separated from each other by broad no-man's land called frontier areas. The extent to which a state stretched from its cores depended on the strength of the potentiate. If the chief of the state is strong enough, he could seize a wider area, if weakness creeps in, the borders of the state shrink. This had a similarity with other steppe states of the Mongol-Tartar origin in central Asia before the Russian conquest. One reason for this is lack of physical features to

in the same time the natural foe and the dependent of the savannah people. They usually graze the moisture regions, escort caravans across their homeland and eventually from time to time, when successive seasons of dry weather occur, raid the savannah country, conquer it, settle on its fringe, form a dynasty and at last become assimilated in the indigenous population. This is the pulse of Africa, akin to the pulse of Asia which was described by E. Huntington

Hence, the desert nomads were bound up in a vast rhythm of history with peoples who lived to the south and to the north of them. Ibn Khaldoun in the fifteenth century made this rhythm of human migration the theme of his history (12). The beduins encroached on the Mediterranean or the savannah settled areas, dominated and formed the new successive state. It can be added to this that when the settled area was organized under a strong central regime, it extended further into the desert and the nomadic people were forced to pay tribute to the strong power. These inter-relationships between the sand and the sown-like other akin relations in central Asia-marked the history of northern Africa west of the Nile Valley until the era of European colonization.

The main commodities carried by caravan routes during the first centuries A.D. were salt and gold. Gold came in profusion from Wangara region in upper Volta, Modern Guinea and Mali, between the confluences of the Niger, Senegal and Faleme rivers. It was located where salt caravans from the north assembled and hence the celebrated silent trade took place. Salt was mined in Taghaza, a village far off in the Northern desert. Thus caravan routes were well established across the desert from Sijilmasa, Taghazea to Sanhaja country and Timbuktu and Gao, and from Tripoli through Fezzan to Kano and Lake Chad. More caravan routes were established especially after Arab conquest of North Africa and introducing the camel on a large scale (13).

This favoured the rise of trade centres and town dwellers communities. Trade cities lined the southern fringe of the desert thus creating desert ports busy in trade and cosmopolitan population. The geography of the Savannah region made it a natural corridor free from any obstacle, a sea of grassland where movement cannot be easier, a melting place where ideas, institutions and blood strains could meet, fuse and strengthen one another.

At many places and times tribes have merged to form peoples ; and peoples have grown into nations some nations founded empires and empires have broken up again to form smaller units. This process shows a number

not border lines, but frontier regions, the Delata and the Lower Nile valley up to the 1st cataract being the core of the state.

Ethiopia emerged in the first centuries of our era as a Semito-Hamitic state, extending its borders to the Red-Sea on one side and to the lower Blue-Nile on the other, but the core of the state remained the plateau, a strong hold and a refuge. Ethiopia however, had strong relations with south Arabia and strong religious affiliations with the Coptic church of Egypt. Ethiopia had always been a symbol of political freedom and independence (6).

The political formation of North Africa was influenced by two distinct elements : Mediterranean and Berber or indigenous elements. The Libyans, Numidians and other Berber nations had always withdrawn into their mountainous refuge, leaving the littoral to phoenician, Greek, Roman or Vandal brief and successive occupations. This however came to an end when after long struggle with the Arab conquerors they submitted to new conditions and shared lively in the formation of political entities under the aegis of Islam, not only in their own country but also across Gibraltar in Spain and across the desert in the country of the Sudan (7).

The Berbers had long and nearly uninterrupted relations with the Savannah belt and West Africa. Perhaps the desert Berbers coined the term Ghana or Ghinia which means the black or ethiops in their language. The Sahara had for long been regarded as a barrier. In fact it has been more of a link between the Mediterranean and the tropical parts of Africa. It was more hospitable and well inhabited up to the Neolithic times (8). When desiccation was complete about the fifth millenium B.C. both the animal and human populations of the Sahara either migrated to the south or sought refuge in the many scattered oases of the desert. It is thought that the Negroid race itself evolved in the southern part of the Sahara, an evidence of Asselar finds near Tembectu (9). Most of this race migrated south in the Mesolithic and after with the receding water supply and so it was that the savannah came to be the country of the black or Bilad al-Sudan who abandoned their ancient Sahara sites and settled in the grasslands bordering the desert (10).

By the first millenium A.D. the dominant desert nomads had emerged as the Tuareg-fair skinned Berbers whose military skill and toughness enabled them of wresting a livelihood from the slender resources of their land. (11) Like other herdsmen in the old world the Berber nomads engaged themselves in two activities ; trading and raiding. Their marginal existence made them

Second, the newly created states, in many respects sprang in the moulds of previous ones. It is therefore necessary to assess the validity of state formation in political geographical terms.

This may reveal constant deeply rooted factors and variable less valid ones in the structure of these states.

Northern Africa is a vast territory comprising more than half of the continent. To point out major geographical divisions one is at once faced with a Mediterranean littoral with a mountainous hinterland in North Africa and desert shoreline east of Tunisia separated from the savannah and woodland country in the south by a huge belt of almost rainless desert, the Sahara. This division gives the impression that the Mediterranean littoral was quite separated from tropical grass and forest Africa. This seeming obstacle is cut through in the East by the River Nile and was eventually crossed in the west by early caravans. To begin with the River Nile in Eastern Africa is the most prominent natural phenomenon which cut through the desert belt and link the equatorial plateau and Ethiopia where it gets its water with the Mediterranean shores where it flows. Needless to say that the early civilization of Egypt and its very existence as Herodotus said is the gift of the Nile. The land of Egypt was built up many millenia ago by the silt of Ethiopia ; thus filling up the elongated gulf of the Mediterranean with rich silt. The Egyptian civilization is the flower of African soil.

In return the Egyptian civilization penetrated into the sub-Saharean region upstream the Nile. The extent of Egyptian culture influence cannot be exaggerated. In fact the cultural relations between Egypt and the rest of Africa began long ago in the pre-historic times. The African Neolithic in Shakhena and Badari were similar (3). Before the Sahara became completely desiccated in the 6th millenium B.C. traffic was active between Fayoum, Kharga, the Nile Valley in Egypt across the desert to the grass corridor south of the Sahara. (4) Evidence continues to be collected about cultural diffusion up the Nile and across the desert.

The fruit of these relations was the emergence of Kush (IX—xth cent. B.C.), which eventually became a secondary source of Egyptian influence in Africa (5). Kush was a true African state, bearing all characteristics of grassland states.

The ancient times were concluded in Northern Africa with the complete formation of the Egyptian state with its historic frontiers, Gaza in the east, Cyrenaica in the west and Nubia in the south. These however were

GENESES OF POLITICAL STATES IN NORTHERN AFRICA

By

Prof. Dr. MOHAMED EL-SAYED GHALLAB

A hundred years ago Africa was not yet completely discovered. Yet the fate of Africa particularly south of the Sahara was being formulated during this last century. Expeditions of discovery, missionary activities, colonialism and imperial interests, all shared in the formation of present African states.

Confining ourselves to Northern Africa, we are presented at once with two genetically different types of states ; old sedentary states and new nomadic or semi-nomadic evolving ones. This classification coincides with the major ethnic division of the continent into Semitic-Hamitic peoples in the east and north and the Sudano-Negritic peoples south of the Sahara. Nevertheless, regions of contact showed more or less affinities to both types of states.

There are some common idea about African states. Some ascertain that most African nations do not have long histories as nationalities and that their nationalities have been created in the crucible times of a revolutionary struggle against a colonial power. (1) They also believe that the unity of the nations was forged in the fight against an external enemy (2).

The present writer claims that nationalities were not new and imported concepts in Africa. On the contrary African nationalities were in active evolution just before they were cruelly aborted by colonial powers. Nevertheless their geneses remained dormant until it was high time for them to emerge though in new shapes.

Archeological and anthropological studies have shown that African peoples in pre-colonial period had grown political entities of some sort and were in fact in their way of forming nation-states by their own initiative.

This paper will put the emphasis on West Africa for many reasons. First, there is a certain homogeneity, ethnic and cultural, in West Africa.

CONTENTS

	Page
1. Prof. Dr. MOHAMED EL-SAYED GHALLAB : Geneses of Political States in Northern Africa	1
2. SULAYMAN NYANG : Gambia — A State in Search of Viability	7
3. Dr. SOUAD SHA'ABAN : Bedscha-Hadandowa, Eine Anthropologische Forshungsreise in Das Gebite Der Bedscha	17

OUR BULLETIN

This is the first issue of this scientific bulletin published by the Institute of African Studies, Cairo University.

The goal of this bulletin as apparent from the essays published here is purely academic. It is to publish recent researches either done by the specialized staff of the institute or by others. These researches deal with the different aspects of the continent of Africa.

Our Institute views this bulletin as a complement to its scientific mission, because, as a specialized institute, it aims foremost to encourage studies dealing with our continent and also to publish all new research and findings about it. Its aim is also to exchange this knowledge with other Institutes and Universities or other scientific bodies either in African Countries or anywhere else all over the world.

As we welcome this exchange of knowledge which serves our combined efforts, we hope that these studies about the African Continent, its inhabitants their activities, their civilization and their contributions towards the progress of mankind may always develop and grow.

Editor

Editor : Prof. Dr. M.A. SEOUDY :

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

Prof. Dr. M. A. SEOUDY

33, Misaha Street, Dokki, Cairo, Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 3

1974

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 3

1974

Issued by the Institute of Research and African Studies, Cairo University.